

THE AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO



3 8534 00601 5907

98B3525 part 919

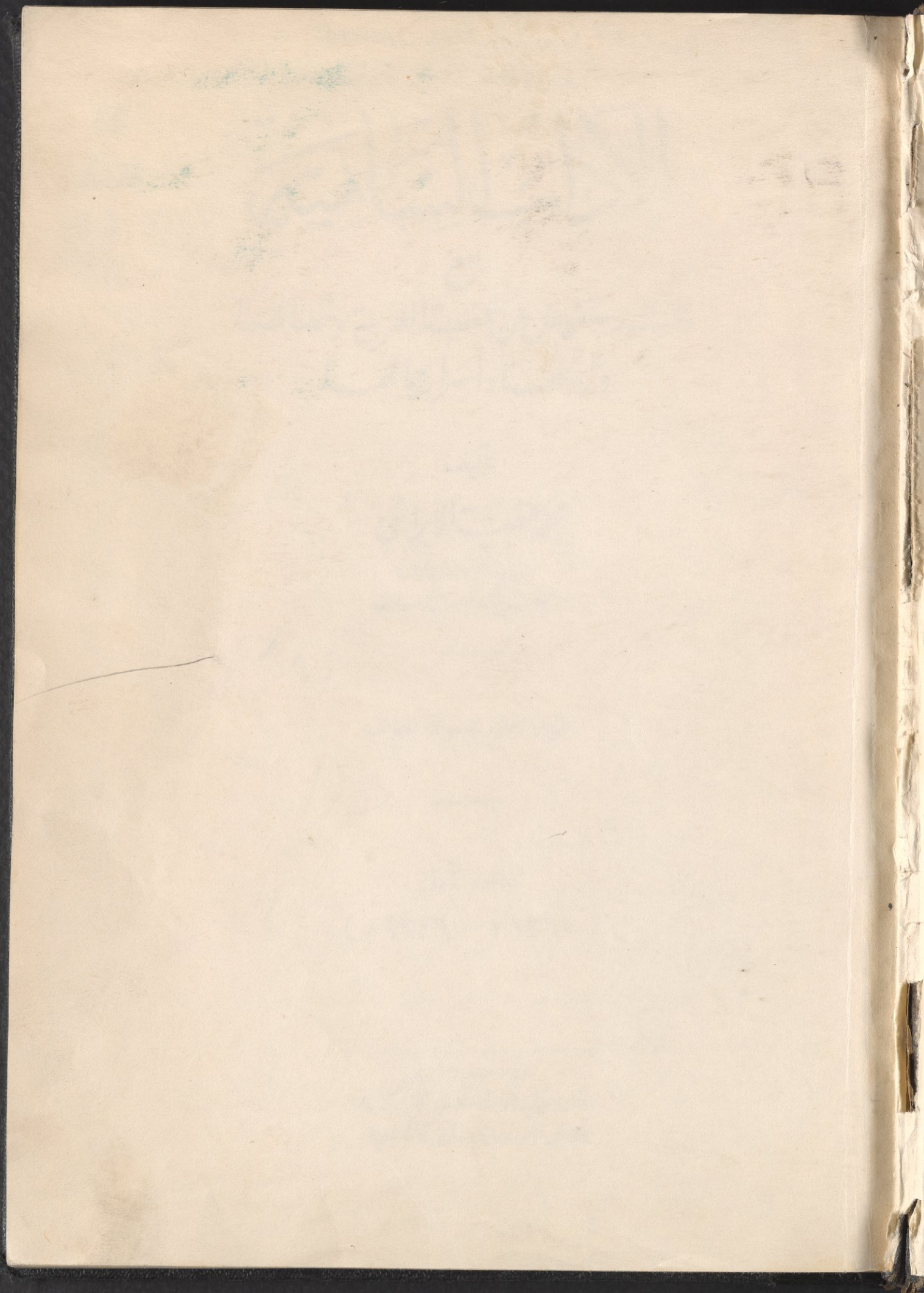
(sh)



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

10-14



AS

175-118

177-149

177-190

al-Ibrāshī, Muḥammad 'Atīyah
al-Ādāb al-Sāmīyah

PJ

6074

I 2

1946

الآداب السامية

مع

بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها
وثروتها وأسرار جمالها

تأليف

محمد عطية الأبراشي

خريج جامعي أستراليا ولندن

والمفتش العام بوزارة المعارف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

(١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م)

ملتمزموا الطبع والنشر أصحاب
دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في خلقه
للمخلوقين تبييناً لما في غيبتهم

سفيان

كتاب التبيين

في بيان ما في غيبتهم

36606

سفيان بن عيينة

كتاب التبيين

(٥٣٦١٠ - ٣٣٨١٠)

كتاب التبيين
في بيان ما في غيبتهم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، أما بعد :
فقد اشغلت العناية بالدراسات السامية ، منذ قَوِي اليقين بفائدة هذه الدراسة ،
وبخاصة عندما فكر قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، ودار العلوم ، في تقرير
هذه الدراسة . وما من شك في أن العربية متصلة اتصالاً تاماً بمجموعة اللغات
السامية ، وأن المتخصصين بدرس العربية في حاجة ماسة إلى الوقوف على نشأة هذه
اللغات وآدابها ، وصلة بعضها ببعض .

وقد كان لي الحظ في دراسة هذه اللغات ، بمعهد اللغات الشرقية ، وكلية الملك
بجامعة لندن . وحينما عدت إلى مصر سنة ١٩٣٠ ، كلفت تدريسها بدار العلوم ،
ثم بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، فأتيحت لي الفرصة في تأليف « المفضل » في
اللغة السريانية ، والاشتراك في وضع كتاب « الأساس » في اللغة العبرية .

ولإتمام هذا البحث ، أخذت على عاتقي وضع كتاب يتناول مباحث اللغات
السامية ، على نحو يفيد المتخصص ، كما يفيد القارئ المثقف ، الذي يتوق إلى الوقوف
على آثار أجداده السابقين ، حاملي لواء الحضارة في الشرق . والذي لا ريب فيه
أن نور المدنية قد انبثق في أرض المشرق ، وعلى أيدي هؤلاء الساميين القدامى
نشأت أول حضارة عرفها التاريخ .

وقد أصبح واجباً على كل مثقف في هذا العصر ، أن يقف وقوفاً تاماً على آداب تلك الأمم ، وأن يكون على حظ لا بأس به من العلم بأساليب لغاتها ، فيعرف كيف نشأت وتطوّرت ، وأثر بعضها في بعض ، وكيف أن العربية كانت أجمل لغة بين هذه اللغات ، وأقرب إلى الأم السامية الأولى ، وكيف تغلبت على أخواتها ، حتى انتهى إليها هذا التراث الضخم ؛ تراث العرب في الجاهلية والإسلام .

وقد آثرت في هذا البحث ، أن أتناول اللغة العربية بشيء كثير من الدرس المفصل ؛ لأنها المقصودة بالذات ، بين أخواتها الساميات ، فكتبت عن العرب وأخلاقهم ، واللغة العربية وخصائصها ، وثروتها وجمالها .

وقد اضطلع بهذه الدراسة بعض العلماء من أهل الشرق ، فجدير بمن يتولون اليوم أمر اللغة العربية ، أن يعملوا على نشر الآداب السامية ، بين أوساط المتعلمين والمتقنين ؛ لأنها تقوى في كل شرق عربي حسّه وشعوره بمجد آبائه ، والاعتزاز بهذا المجد ، والعمل من جديد على بعثه قوى الأركان ، متين البنيان ؛ فتعود إلى الشرق حضارته السالفة ، ومدنيته الغابرة ، التي فيه نشأت ، ومن أفقه أشرقّت ، فنقلت العالم من شظف إلى ترف ، ومن ظلم وجهالة ، إلى معرفة وعدالة .

هذه بعض الآمال التي تحيى اليوم في صدر كل شرق عربي غيور ، فضلاً عما يرجوه للعربية الفصحى من عهد سعيد ، تستعيد فيه سيادتها اللغوية ، والثقافية والاجتماعية ، والله الموفق والمعين .

محمد عطية البراشي

جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ هـ

جزيرة الروضة في : إبريل سنة ١٩٤٦ م

الفصل الأول

نشأة اللغات السامية

اللغات السامية هي تلك اللغات المنسوبة إلى سام بن نوح عليهما السلام ، وقد نشأت في آسية وإفريقية ، وبعضها حتى لا يزال يتكلم بها ملايين البشر ، وتحمل كنوزا وافرة من الثقافة والأدب ، وبعضها ميت ذهبت آثاره بذهاب الأيام . وهذه اللغات هي :

اللغة الآشورية ، والعبرية ، والفينيقية ، والآرامية ، والعربية ، والإثيوبية ، والمهرية السوطرية^(١) . وقد سماها هذا الاسم العالم (شلوزر^(٢)) ؛ لأن معظم الشعوب والأمم التي تكلمت أو تتكلم هذه اللغات من أولاد سام بن نوح ، كما ورد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة^(٣) .

(١) Mahri - Socotri (٢) Schlozer

(٣) وهنا نقتبس بعض الآيات من هذا الإصحاح من سفر التكوين : « وهذه مواليد بني نوح : سام وحام ويافث ، وولد لهم بنون بعد الطوفان . وسام أبو كل بني عابر أخو يافث الكبير ولد له أيضاً بنون . بنو سام عيلام وأشور وأرفكساد ولود وآرام . وولد لعابر ابنان : اسم أحدهما فالج ؛ لأن في أيامه قسمت الأرض ، واسم أخيه يقطان . ويقطان ولد له الموداد وشالف وحضر موت ويارج . وهودرام وأوزال ودقلة . وعوبال وأبيئيل وشبا . وأوفير وحويله ويوباب ، وكان هؤلاء بني يقطان . وكان مسكنهم من ميسا إلى ناحية سفار جبل المشرق . هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم وألسنتهم . »

ويرى (نولدكه) العالم البحاثة الألماني أن ترتيب الشعوب في سفر التكوين مؤسس على الاعتبارات السياسية والجغرافية ، لا اللغوية والتاريخية . ومما يعترض به على هذه التسمية :

(أولاً) في الآية الثانية والعشرين من هذا الإصحاح عد « عيلام ^(١) ولود ^(٢) » من أبناء سام ، مع أن لغة العيلاميين في (سسيانا) ولغة اللوديين لا صلة لهما باللغة العبرية . ومعنى هذا أن كون عيلام ولود من أبناء سام لا يستلزم أن تكون اللغة التي يتكلمها العيلاميون واللوديون سامية .

(ثانياً) أن الفينيقيين أو الكنعانيين الذين تشبه لغتهم لغة بني إسرائيل لا يعدون من أبناء سام ، مع أن لغتهم سامية كاللغة العبرية . ولكننا على أى حال نرى أنفسنا مضطرين إلى قبول هذه التسمية : ساميين ، ولغات سامية ؛ لأن الجميع قد ارتضاها وقبلها ، وسلم بها أخيراً .

ارتباط اللغات السامية بعضها ببعض

لا ينكر أحد أن هناك صلة كبيرة تربط اللغات السامية بعضها ببعض .

وأهم هذه اللغات : العربية ، والعبرية ، والآرامية ، والسريانية - وهى فرع من الآرامية - والحبشية التي يتكلمها النوبيون في بلاد النوبة .

وفي القرن الحادى عشر بعد الميلاد أخذ « أبوزكريا ^(٣) يحيى » يستعمل في اللغة

العبرية الطرق التي كان يستعملها علماء النحو في اللغة العربية ، فوضع أساساً للموازنة

بين اللغات السامية . وكان المعروف من قبل أن هناك قرابة بين اللغتين الآرامية والعبرية ، وكان يظن أن الآرامية هي العبرية المحرفة ، أما تعصب اللغويين من الإسرائيليين فقد جعلهم يعدون اللغة العبرية أصلاً لا اللغتين الآرامية والعربية فحسب ، بل لكل اللغات السامية الأخرى أيضاً ، ووافقهم المسيحيون على هذا الرأي . والكل متفق على أن الصلة بين اللغات العبرية والعربية والآرامية أكثر من الصلة بين العربية وأى لغة أخرى ، وأن الصلة بين اللغات السامية أكثر من الصلة بين اللغات الهندية الأوروبية . ولا يشك في ذلك أحد . وتختلف اللغات السامية القديمة كل منها عن الأخرى اختلافاً قليلاً ، ولهذا تجد - حتى في القرن السابع عشر - المستشرقين من العلماء أمثال (هوتنجر^(١)) و (بوكارت^(٢)) و (كاصطيل^(٣)) و (لودولف^(٤)) رأياً واضحاً في أن هناك صلة بين اللغات المختلفة ، وقد سبقهم إلى هذا الرأي العلماء العبريون الذين عاشوا في القرون الأولى مثل (يهودا بن قريش^(٥)) .

خواص اللغات السامية أو النقط المشتركة بينها

إن خواص اللغات السامية وبعبارة أخرى النقط المشتركة بينها هي :

- ١ — الاشتراك في أن أصول الكلمات ثلاثة : الفاء والعين واللام .
- ٢ — التشابه في تكوين الأسماء والأفعال .
- ٣ — التشابه بين أنواع الضمائر (متكلم ومخاطب وغائب) ، وفي اتصالها بالأفعال .
- ٤ — المشابهة في زمني الفعل الرئيسيين : التام والناقص ، أو الماضي والمستقبل .

Castell (٣)

Bochart (٢)

Hottinger (١)

Jehuda ben Koreish (٥)

Ludolf (٤)

(١) Amharic

- ٥ — تغير الحركات في وسط الكلمات ، وبتغير الحركات يتغير المعنى .
- ٦ — التشابه الكبير في تكوين الجمل وتركيبها .
- ٧ — تمتاز بحروف الحلق وهى الألف والماء والعين والحاء ، وبحروف الإطباق وهى الصاد والضاد والطاء والنظاء .
- ومع هذا نجد أن اللغة الآشورية - وهى لغة سامية قديمة جدا - ليس فيها كل هذه الخواص التى تختص بها اللغات السامية . وفى بعض اللهجات الحديثة كاللغة السريانية الحديثة قد تغير الأسلوب القديم ، واختفى كثير من هذه المميزات ، وقل الشبه . ومع هذا لا يزال فى استطاعتنا أن نحدد الصلة بين اللهجات السامية القديمة واللهجات الحديثة ، ونتبعها ، ونوضحها ، ونبين - ولو بالتقريب - كيف تكونت اللهجات الحديثة من القديمة . ولما كان من الممكن البرهنة على أن اللهجات الحديثة أخذت من القديمة ، أمكننا أن نحكم بأنه لا بد من وجود صلة بين القديم والحديث ، مهما تغير شكل اللهجات الحديثة ، ومهما زال مظهر اللغات القديمة .
- كل هذه اللغات السامية قد تفرعت من اللغة السامية الأولى ، لغة سام بن نوح ؛ تلك اللغة التى انقرضت منذ عصور طويلة ، وليس من السهل تحديدها ؛ فأبناء سام كانت لغتهم واحدة ، ولكن تفرقهم إلى طوائف مختلفة فى جهات مختلفة أدى إلى وجود لهجات ، تختلف كل منها عن الأخرى بعض الاختلاف .
- ومن السهل الحكم على اللغة بغير تردد إن كانت سامية أو غير سامية بمجرد التأمل فيها ، والنظر إليها ، إلا إذا تأثرت قواعد اللغة السامية أو ألفاظها بلغة أجنبية غير سامية كما فى اللغة الأمهرية^(١) فإننا قد نشك فيها .

اللغة السامية الأولى

ليس من السهل أن نعرف اللغة السامية الأولى معرفة حقيقية ، وإن كان من الممكن معرفة الكلمات والتراكيب المشتركة في اللغات السامية على العموم ؛ تلك الكلمات والتراكيب التي تدل على أن أصلها واحد ، وهو لسان سام بن نوح ، وعلى أنها كانت جزءاً من اللغة السامية الأولى ؛ تلك اللغة التي لم يصل إلى معرفتها أحد.

فأسرة اللغات السامية أسرة قديمة جداً ، ولو أنها لم تتشعب ، ولم تمتد جغرافياً ، كلغات الأسرة الهندية الأوروبية . يقول : « فون كريمير ^(١) ، وجويدري ^(٢) ، وهوميل ^(٣) » : إن الساميين قد هاجروا قديماً إلى شمال بلاد العرب ، ثم استوطنوا تلك البلاد . وقبل تكوين اللهجات السامية المختلفة استعمل الساميون في كل مكان اسماً للجمل ، الذي لا يزال يظهر في كل لهجة من اللهجات . ولم يكن لديهم أسماء لشجر النخل أو ثمره ، أو للنعامة في مكانهم الأول ؛ فالساميون قد عرفوا الجمل قبل أن يعرفوا النخيل أو النعامة . ومن تلك الجهة وهي شمال بلاد العرب هاجر الساميون إلى بابل قبل أن يهاجر الآريون إليها . وأقدم موطن لأدب الساميين هو وادي دجلة والفرات . ويزعم آخرون من اللغويين وهم : « سيس ^(٤) ، وسبرنجر ^(٥) ، وسكريدر ^(٦) ،

Hommel (٣) Guidi (٢) Fon Cremer (١)

Schrader (٦) Sprenger (٥) Sayce (٤)

وَدِي جُوج^(١) وَرَايْت^(٢) » أن المهد الأصلي للساميين قد كان في الجزء الجنوبي من بلاد العرب، ثم انتشروا تدريجياً في شبه جزيرة العرب . يقول : (سبرنجر) : « إن الساميين جميعاً طبقات متتابعة من العرب » ، ويعضد « سيس » في كتابه « الأجرومية الآشورية^(٣) » هذه النظرية قائلاً : « إن كل التقاليد السامية تدل على أن بلاد العرب هي الموطن الأصلي للساميين ؛ فهي الأرض التي ظلت منذ زمان متوغل في القدم خاصة بهم . »
ومما يؤيد ذلك أن الميزات الجنسية التي لهذا الشعب كشدة العقيدة ، والميل إلى الخيال ، والقسوة ، تدل على أنه شعب بدوي ، نشأ في الصحراء ، فشب متأثراً بآثار تلك البيئة .

ويرى « دى جوج » أن الجو البديع لبلاد العرب الداخلية والجمال الجسمي للعرب يدلان على حقيقة لا نزاع فيها ؛ وهي أن اللغة العربية تقرب كثيراً من اللغة السامية الأولى ، وتتصل بها أكثر من اللغات السامية الأخرى .
وحيثما تختلف اللغات المتفرعة من أصل واحد ، ولغة معينة ، نجد من الممكن دائماً معرفة اللغة التي حافظت على أصلها ، والتي لم تحافظ على أصولها .
ويزعم بعض علماء اللغة أن من الممكن معرفة لغة سام الأولى . وإلى هؤلاء نوجه هذا السؤال : هل يستطيع العالم اللغوي الذي يعرف اللغات المتفرعة من اللغة اللاتينية القديمة حق المعرفة ، ويمجدها كل الإجابة . أن يكتب اللغة اللاتينية ، ويرتبها من جديد ، إذا فقدت جميع الكتب الخاصة باللغة اللاتينية ؟ ولا ريب في أن الجواب بالسلب .
ومما لا شك فيه أن لدينا في اللغات السامية المختلفة مجموعة كبيرة من الكلمات المتشابهة في حروفها وحركاتها وعباراتها .

(١) De Goeje (٢) Wright (٣) Assyrian Grammar (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

وقد كانت هذه الكلمات جزءاً من اللغة السامية الأولى . ومع هذا فإن التشابه في تكوين الكلمات الأصلية أوفى الكلمات التي استعيرت من لغات أخرى قد يُضِلُّنا في الحكم . وفي كل لغة من اللغات السامية مجموعة من المفردات التي لا وجود لها في اللغات السامية الأخرى . ويفسر هذا بأن هذه المجموعة من الكلمات قد اختفت في أخواتها من اللغات ، أو أهمل استعمالها ، ولم نستطع معرفتها والوصول إليها . وهناك كلمات سامية أصلية قد اختفت مثل كلمة «لَيْث» بمعنى أسد؛ فإنها اختفت من اللغتين العبرية والآرامية لتترك مكانها لكلمات أخرى تحمل محلها . وهناك كلمات غريبة لم يبق لها أثر، مع أن العبريين أو الآراميين أو الحبشيين قد استعاروها من قديم الزمان من لغات تختلف عن لغاتهم كل الاختلاف .

وقد يسأل سائل : أى اللهجات السامية الحية تشبه اللغة السامية الأولى كل الشبه؟ والجواب أنه ليس من المهم أن نعرف أى اللغات السامية الحية أكثر شبيهاً باللغة السامية الأولى ؛ فقد زعم الباحثون في بادئ الأمر أن جميع اللغات السامية قد أخذت من اللغة العبرية أو من اللغة الآرامية ، ثم تنازلوا عن هذه النظرية ؛ لأنها لم تستند إلى بحث علمي ، وأخذوا بعد هذا يعضدون الرأي القائل بأن هناك صلة كبيرة بين اللغة العربية واللغة السامية الأولى . وحجتهم في هذا أن في اللغة العربية آثاراً قديمة تقرب كل القرب من لغة سام ، فهناك تشابه في الخواص ، ومقاطع الكلمات ، والألفاظ ، والتراكيب .

ومع أن اللغة العربية غنية بألفاظها وعباراتها وأساليبها قد تبنت كلمات امتازت بسهولة ، في حين أن اللغات السامية الأخرى وضعت مفردات تختلف كل الاختلاف عن اللغة السامية الأولى .

وفي كثير من الأمور نجد اللغة العبرية واللغة الآرامية أقدم كثيراً من اللغة العربية . ويجب التسليم بأننا نعرف اللغة العربية أكثر من معرفتنا للغات السامية القديمة الأخرى .

وهناك من يقول إن اللغة الآشورية بالنسبة للغات السامية والعالم السامي كاللغة السنسكريتية^(١) بالنسبة للغات الهندية الأوروبية، ولا يسلم بهذا الرأي أحد حتى العلماء باللغة الآشورية ؛ فهو رأى بعيد عن الصواب ، لا يستحق أن ينقض بالأدلة والبراهين .

وفي الموازنة بين اللغات السامية يجب أن تكون اللغة العربية وقواعدها أساساً لتلك الموازنة . وفي التفصيلات يجب أن نفكر في اللغات التي من فصيلة واحدة حينما نقوم بالموازنة ، بقدر ما يوصلنا إليه علمنا بهذه اللغات . وفي الوقت الذي نبحث فيه عن اللغة السامية الأولى نجد أن اللغة العبرية أكثر فائدة للباحث من اللغة الحبشية ، وأن في اللغة الآرامية والآشورية واللهجات الحديثة التي لا نعرف عنها إلا قليلاً ثروة ثمينة لمن يريد البحث . وبالبحث الغوى يمكن عمل موازنة بين القواعد والمفردات في اللغات السامية .

العقلية السامية :

إن الساميين لا يختلفون في عقليتهم وتفكيرهم عن غيرهم من الشعوب والأجناس ، ولا يقلون عن غير الساميين في التفكير السياسي ، والتنظيم الحربي ، هذا ما نعتقده ، وما يؤيده التاريخ ، ولو أن بعض المتعصبين من المستشرقين أمثال

(رينان) الفرنسي^(١) يحطون من شأن الساميين وتفكيرهم ومواهبهم في الشؤون السياسية والحربية ، ولكنها البيئة وظروف الحياة هي التي غيرت من نفسياتهم . وإن من ينظر إلى تاريخ العرب القدماء والمقَابِئين من بني إسرائيل يجد أن العرب والمقَابِيين يفوقون الغربيين في شجاعتهم الحربية ، ومهارتهم السياسية ، ومثلهم الخلقية . وفي الشعر العربي القديم آيات بينات تدل على قوة في الخيال ، وسمو في التفكير ، وعذوبة في التعبير ، وجمال في الشعور ، ورقة في المزاج ، وعظمة في الشخصية ، وبطولة في الحرب ، ومهارة في السياسة . وما أمر خالد بن الوليد في البطولة ، ومعاوية بن أبي سفيان في السياسة ببعيد على القارئ .

الصلة بين اللغات السامية وغيرها من اللغات :

لقد حاول كثير من العلماء آونة بطرق علمية ، وأخرى بطرق غير علمية - أن يثبتوا أن هناك صلة بين اللغات السامية واللغات الهندية الأوربية . وكان من الطبيعي أن يفرضوا - أن الساميين والهنديين الأوربيين كانوا جيراناً في قديم الزمان ، وكان هناك تشابه في الملامح الجسمية بين هؤلاء وأولئك ، ويستنبطون من هذا أن اللغات السامية واللغات الهندية الأوربية انحدرت من أصل واحد ، ولغة واحدة .

ولكن لم تنجح هذه المحاولات ؛ فمن الممكن أن نقول إن جميع اللغات - لا اللغات السامية والهندية الأوربية فقط - أخذت من أصل واحد ، ولغة واحدة . ولكن قد حدث اختلاف كبير بين اللغات بعضها وبعض منذ القدم في العصور

(١) ارجع إلى : Renan : Histoire des Langues Semitiques

التي قبل التاريخ ، فأزال هذا الاختلاف ما كان بين اللغات الأولى من صلات .
ولو استمرت هذه الصلات وأوجه الشبه ما استطعنا تمييز لغة من أخرى .
وإننا لا ننكر أن اللغات التي من فصيلة واحدة يمكن تحليلها لغوياً وعلمياً
ومعرفة الصلة أو العلاقة التي بينها مهما تطل العصور ، ومهما تتغير الأزمنة .
ومن الأمثلة التي تضلل الباحث اللغوي وجود ألفاظ مشتركة بين اللغات
السامية واللغات الهندية الأوروبية ، مثل «ماء ، فم ، وبعض الأعداد ، كالعدد ستة» ،
فهو في العربية ستة أو ست ، وفي العبرية شش ، وفي السنسكريتية بالمثل ، وفي
الفارسية الحديثة شش ، وفي الأصل السامي شِثْث ، ثم حدث تغيير في الحروف
والنطق . وهناك تشابه محدود في القواعد ، كالتشابه في صيغ الأفعال وضمائر التكلم
والخطاب والغيبة ، وفي التانيث بالتاء . ولكن هل هذا التشابه يكفي للقول بأن
أصل اللغات السامية واللغات الهندية الأوروبية واحد ؟

والجواب لا ؛ فقد تستعير أمة من أخرى بعض الكلمات والاصطلاحات ، ولم
تبحث إلى الآن اللغات الحامية كما ينبغي . وتحتاج الصلة التي بين الهيروغليفيه والبربرية
من جهة ، والصلة بين الهيروغليفيه واللغات الحامية الجنوبية من جهة أخرى إلى كثير
من الإيضاح والشرح ، ولم يحن الوقت بعد للكتابة في قواعد الموازنة بين اللغات
السامية والحامية .

المهد الأول للساميين :

يرى فريق من العلماء أن الصلة بين اللغات السامية والحامية تدل على أن المهد
الأول للساميين يجب أن يبحث عنه في إفريقية ، ولكثرة اختلاط الساميين والحاميين
بالأجناس الأجنبية والشعوب المختلفة قلَّ الشبه الجسمي في الشعر وفك الأسنان بين

الجنسين: السامى والحامى . وقد زعم بعض اللغويين أن المهد الأول للساميين فى جهات معينة من أرمينية ، وقد استند هذا الفرض على ما فى سفر التكوين من أن الشعوب السامية انحدرت من مدينة « أرفكساد »^(١) إلى حدود أرمينية^(٢) وكردستان . وكان يظن أن هذه الجهة تسكنها الشعوب الأولى التى استخرج منها الساميون والهنود الأوربيون أصلهم الأول ، ولكن هذه الصلة القديمة مشكوك فيها بعض الشك ؛ فقد افترق الساميون والحاميون منذ القدم ، وليس فى استطاعة الأمم المحافظة - بعد تلك العصور الطويلة الحالية - على تذكر للجهة التى قيل إن أجدادهم وأسلافهم هاجروا إليها .

ولقد كوّن العرب والعبريون والشعوب السامية الأخرى أمة واحدة منذ عهد بعيد ، لم يستطع أحد أن يحفظ شيئاً من تقاليدها فى ذلك العهد . وقد نشأ رأى القائل بأن العبريين والقبائل المتصلة بهم أتوا من أرفكساد عن القصة المعروفة بأن سفينة رست بالقرب من تلك الجهة ، ومع هذا نجد فى سفر التكوين نفسه حكاية تخالف الحكاية السابقة كل المخالفة .

ويرى آخرون أن المهد الأول للساميين كان فى بلاد بابل ، ولا يصدق هذا إلا قليل من رجال العلم . ويرى بعض كبار العلماء أن المهد الأول للساميين كان فى شبه جزيرة العرب ، ويعضد هذا رأى كثير من علماء اللغات والتاريخ ؛ فالتاريخ يبرهن على أن هناك قبائل سامية كانت تسكن من قديم الزمان الأرض الصالحة للحرث والزرع من بلاد العرب . وقد جعلت هذه القبائل الزراعة وسيلة للعيش . وفى اللغات السامية علامات مختلفة تدل على أن العبريين والآراميين^(٣) ،

(١) Arphaxad (٢) Armenia (٣) Aramaeans

والسريانيين كانوا من البدو في الأصل ؛ فصحراء سورية و بلاد العرب هي المهد الحقيقي للبدو . وفي البدو من العرب يظهر الخلق السامي بأجلى معانيه ؛ فأخلاق البدو أخلاق سامية ، ولغة البدو أقرب اللغات إلى اللغة السامية الأولى ، ومع هذا لا يمكننا أن نجزم بأن شبه جزيرة العرب هي المهد الأول لجميع الساميين .

وقد حاول المستشرق المعاصر الكبير « إجناز يوجويدي »^(١) أن يبرهن على أن المهد الأول للساميين هو الجزء الأسفل من نهر الفرات^(٢) ، وحيثه في هذا أن الآراء الجغرافية والنباتية والحيوانية التي عبر عنها الساميون في لغاتهم ، منذ شتتوا وتفرقوا تطابق تمام المطابقة الخواص الطبيعية لنهر الفرات الأسفل وحده . ولا يمكننا بالطبع القطع بصحة هذه النظرية ؛ فهناك اصطلاحات ، وعبارات كثيرة لا يمكن أن تكون قد نشأت في جهة نهر الفرات . وقد فقدت كل لهجة من اللهجات السامية كثيراً من كلماتها الأصلية بمضى الوقت . والأرجح في نظرنا أن المهد الأول للساميين كان في شبه جزيرة العرب . وليس من السهل تحديد الجهة التي كان بها الساميون القدماء ، فهل كانوا بين دجلة والفرات ، أو باليمن ، أو بالقوقاز ؟

لقد تشعبت الآراء في هذه النقطة ، ولا يمكن تحديد الإجابة عنها ؛ فالعرب قوم يميلون إلى الرحيل دائماً لطلب العيش ، ولا يستقرون في مكان .

Ignazio Guidi (١)

The Louer Euphrates (٢)

الصلة بين اللغات السامية :

لا يستطيع أحد أن ينكر أن هناك صلة بين اللغات السامية ، ولكن ليس من السهل تحديد أوجه الصلة بين هذه اللغات المتفرعة من لغة سام الأولى . وكل ما نستطيع أن نذكره هو أن هناك اتفاقا أحيانا في القواعد ، وأن هناك تشابها كبيرا في كثير من الكلمات . وفي الوقت الذي نقرر فيه أن هناك صلة بين اللغات السامية ، نقرر أن لكل لغة سامية مميزات خاصة تختص بها ، وتنفرد بها عن غيرها ؛ ففي اللغة العبرية أداة تعريف وهي المهاء في أول الاسم ، وتضبط بقواعد خاصة . وفي اللغة العربية أداة تعريف وهي (آل) . وفي اللهجة السبئية يعبر عن أداة التعريف بزيادة النون في آخر الاسم . وفي اللغة الآرامية يعبر عن أداة التعريف بزيادة « آ » في آخر الاسم . وليس في اللغة السريانية أداة تعريف ، ولكن المتتبع للغة السريانية يجد آثارا لها . وليس في اللغة الآشورية ولا الحبشية أداة تعريف مطلقا .

وفي كل لغة من اللغات السامية فعل يبنى للمجهول ، ولكن الطريقة تختلف ؛ ففي العربية يضم أول الماضي ويكسر ما قبل آخره ، ويضم أول المضارع ويفتح ما قبل آخره ، وفي السريانية يزداد على الفعل الماضي الثلاثي الغائب (ات) في أوله ، وعلى الفعل المستقبل للغائب (نت) في أوله ، وقد تجنبت ذكر القاعدة بالتفصيل كي لا أتعيب القارئ ببيان تفصيلات هو في غنى عنها . ولكل لغة من اللغات السامية طريقة خاصة في بناء الفعل المتعدي للمجهول .

وفي اللغة العربية يجمع الاسم جمع مذكر سالما بزيادة واو ونون في حالة الرفع ، وياء ونون في حالتى النصب والجر . وفي اللغة العبرية يجمع الاسم هذا الجمع بزيادة

ياء وميم في آخر الاسم مع كسر ما قبل الياء . وفي اللغتين : الآرامية والسريانية تزداد ياء ونون في الآخر مع كسر ما قبل الياء .

وقد نجد في بعض اللغات السامية كلمات مستعملة في بعضها مهجورة في بعضها الآخر . وهناك أيضا اختلاف في نطق بعض الحروف ؛ فالثاء في العربية قد تكون شينا في العبرية ، والدال في إحدى اللغات السامية قد تكون ذالا في أخت لها ، والصاد قد تكون ضادا ، ومع هذا الاختلاف في النطق كان من السهل أن يفهم الساميون في القبائل المختلفة حتى بعد تفرقهم .

تقسيم اللغات السامية

تنقسم اللغات السامية قسمين : شرقية وغربية ، وتشمل الشرقية البابلية الآشورية ، أو المسمارية القديمة ؛ وهي لغة العرب بين دجلة والفرات قبل الميلاد بآلاف السنين . وتشمل الغربية اللهجات الشمالية واللهجات الجنوبية . أما اللهجات الشمالية فهي الكنعانية القديمة والمواينية ، والفينيقية ، والعبرية ، والآرامية . وأما اللهجات الجنوبية فهي :

(١) العربية الشمالية وتشمل اللهجة اللحيانية والثمودية والصفوية ، وتقرب هذه اللهجات كل القرب من اللغة العربية الفصحى ، كما تشمل لهجة قریش التي نزل بها القرآن الكريم .

(٢) العربية الجنوبية كاللهجة السبئية ، والمعينية ، ولهجة حضرموت أو الحضرمية .

(٣) الحبشية أو الجعزية ؛ وهي لغة العرب الذين هاجروا إلى الحبشة قبل الميلاد .

وسنبحث فيما يلي اللغات الهامة من هذه اللغات السامية .

الفصل الثاني

اللغة العبرية

اللغتان العبرية والفينيقية لمجتان لغة واحدة ، وأصل واحد . وتعرف اللغة العبرية بلغة بني إسرائيل . وقد جاء في العهد القديم أن الإسرائيليين من سلالة عبر^(١) ، كانوا يتكلمون اللغة العبرية . ولم تظهر النقوش السامية القديمة إلا الهيكل العظمى للغة العبرية . وتختلف لغة (مُواب)^(٢) كثيراً عن اللغة العبرية . وفي تل العمارنة الذي كشف في مصر وجدت كلمات عبرية كثيرة كتبت بلغة بابل في الألف الثاني قبل الميلاد ، وقام بكتابتها أمراء فلسطين ، ومنها يتضح أن اللغة العبرية القديمة نشأت في فلسطين ، حتى قبل مهاجرة الإسرائيليين إلى كنعان . ولنذكر كلمة عن كنعان فنقول :
كنعان :

هو كنعان بن حام بن نوح ، تسمى باسمه قسم كبير من لبنان وسورية عصوراً طويلة ، وهو مشتق في العبرية من (كنع) بمعنى ركع وهو لفظ ميت ، وفي السكلدانية بمعنى خزي ، وفي العربية بمعنى خضع . وقد ورد في الكتاب المقدس اسم كنعان مرارا ، ويراد به أرض الميعاد ، وهي الجهة الممتدة من الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط .

ويؤخذ من المسكوكات الفينيقية أن الفينيقيين كانوا يسمون بلادهم بلاد كنعان .

ويرى بعض المحدثين أن كلمة كنعان تشمل الأرض المقدسة ، وجزءاً كبيراً من لبنان ، ومعناها المنخفض . فكنعان هي البلاد المنخفضة ، ويقابلها آرام ؛ وهي البلاد المرتفعة أو العالية . ويقول القديس أوجستين : « إن السبب في تسمية أرض الميعاد بأرض كنعان يؤخذ من معنى هذه الكلمة ، فعناها المنخفض » .

وقد نزلت على كنعان لغة جده نوح ، وسمى أبنائه الجهة التي اتخذوها وطناً لهم باسم أبيهم كنعان .

وتنسب بعض القطع من العهد القديم إلى القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد ، وبخاصة أغنية (دَبُورَا^(١)) في الإصحاح الخامس من كتاب القضاة^(٢) ، وهي دليل يبين أحوال بني إسرائيل في الوقت الذي كان فيه الكنعانيون ينازعونهم في امتلاك بلادهم . ويرجح أن تاريخ الأدب العبري كان معروفاً يتخذ مكانه في النشأة الزمنية بين آداب العالم قبل التسكلم عن ملوك بني إسرائيل . ويرجع جزء كبير من العهد القديم إلى تاريخ الملوك القدماء من الإسرائيليين . وفي عهد الملوك الآخرين منهم ظهر جزء عظيم من أدب اللغة العبرية بالصورة التي نراها في عهدهم .

(١) Deborah

(٢) الأغنية : « لأجل قيادة القواد في إسرائيل ، لأجل انتداب الشعب باركوا الرب ، اسمعوا أيها الملوك ، واصغوا أيها العظماء ، أنا ، أنا للرب أترنم ، أزمّر للرب إله إسرائيل . يارب ، بخروجك من سعي ، بصعودك من صحراء أدوم ، الأرض ارتعدت ، السموات أيضاً فطرت ، كذلك السحب قطرت ماء ، تزلزلت الجبال من وجه الرب وسيناء ، هذا من وجه الرب إله إسرائيل . »

وإلى هذا العهد ينسب عدد كبير من الأختام والطوابع والأحجار الكريمة التي تحمل أسماء بني إسرائيل .

وقد عرفت اللغة العبرية للأوربيين منذ أمد بعيد ، ولكنهم لم يعرفوا كيف كانت تنطق في عهد داود ، وأشعيا ؛ فهم مدينون للجهود التي قامت بها المدارس اليهودية الأخيرة التي حددت ووضحت نطق العهد القديم ، بعد بحث طويل ، وعناية كبيرة ، فأضافوا حركات ، وزادوا بعض العلامات والأشكال ، وبذلوا كل ما في وسعهم ، ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذ نطق اللغة العبرية إلا في عهدها الحديث . ولم يتمكنوا من معرفة نطقها بالضبط في أيامها الأولى ، ولم يكن غرضهم أن يظهروا اللغة العبرية كما كانت في عهدها القديم ، بل كان غرضهم أن يوضحوا كيف يجب أن تقرأ في معابد بني إسرائيل عند الترتيل والغناء ، والترنيم والدعاء .

وربما كان النطق في العصور القديمة مختلفا كثيرا عن النطق الحالي للغة العبرية ، وتظهر هذه الفروق من حين لآخر في الهجاء المعتمد في النسخ القديمة من العهد القديم ، كما يختلف الضبط أحيانا وعلامات الوقف . وقد نجد في بعض الأحوال - ما يساعدنا في بحثنا - في الترجمة الإغريقية القديمة للعهد القديم ؛ فقد كانت الكلمات العبرية والأعلام في تلك الترجمة تكتب بحروف إغريقية وخاصة في عهد الإسكندر المقدوني . ويلاحظ فيها أن الفتحة الأصلية كثيرا ما كانت تضبط كسرة . وقد ذكرنا هذا لننقض الفكرة الخاطئة القائلة إن النسخة العادية للعهد القديم في الوقت الحالي تمثل نطق اللغة العبرية القديمة من غير تغيير جوهري . والحق أنها لا تعبر إلا عن النطق الحديث للغة العبرية ، وما ذلك إلا لقصد الترتيل والترنيم ، والإلقاء والغناء ، عند الدعاء في المعابد الإسرائيلية . وقد ظهر اختلاف في لهجة بني إسرائيل في كتاب القضاة

السادس ، والثاني عشر ، وذلك يظهر لنا أن بنى إفرأيم^(١) القدماء قد نطقوا السين بدلا من الشين .

ولا نستطيع أن نقول إن كلمات اللغة العبرية القديمة معروفة بكل دقة ؛ فإن العهد القديم كتاب كبير الحجم يحتوى كثيرا من التكرار ، وعددا كبيرا من القطع التى تفيد العالم الدينى كثيرا ، والعالم اللغوى قليلا . وهناك كثير من الكلمات العبرية التى لم تظهر فى العهد القديم ، ولم تهياً للكُتّاب فرصة لاستعمال تلك الكلمات . ولو عرفنا حق المعرفة مجموعة الكلمات العبرية فى عصر أرُميا^(٢) مثلا لكننا اليوم قادرين على معرفة الصلة بين اللغة العبرية واللغات السامية الأخرى ، وكان العهد القديم أسهل فهمًا علينا .

فاللغة العبرية سميت فى العهد القديم باللغة الكنعانية واللغة اليهودية . وكلمة عبرى مشتقة من الفعل « عبر » فى اللغة العبرية بمعنى اجتاز أو رحل . ومعنى عبرى : الكثير الرحلة ، ثم سميت هذه اللغة فيما بعد باللغة العبرية . ويمثل كتاب هوشع من العهد القديم اللهجة الإسرائيلية أو الشمالية من اللغة العبرية . ويمثل كتاب أشعياء اللهجة اليهودية أو الجنوبية من هذه اللغة .

وقد حاكى فلاسفة بنى إسرائيل علماء اللغة العربية فى وضع قواعد نحوية للغة العبرية فى القرنين العاشر والحادى عشر من الميلاد . ويعد سعيد^(٣) بن يوسف الفيومى اليهودى المعروف بسعديًا - أبا للنحو العبرى ، ثم جاء بعده كثيرون من علماء النحو العبرى من اليهود ، متأثرين بعلماء اللغة العربية .

وفى القرن السابع الميلادى ضبط العهد القديم خوفا من التصحيف والتحريف ، كما حدث فى ضبط القرآن الكريم .

(١) Ephraimites (٢) Jeremiah

(٣) ولد سنة ٨٩٣ م ، وتوفى سنة ٩٤٢ م .

أسفار الكتاب المقدس

أسفار الكتاب المقدس يجمعها قولك « تَنْخُ » فالتاء رمز للتوراة ، والنون رمز للأَنْبياء ، والكاف - التي قلبت في النطق العبري خاء - رمز للمكتوبات ، ولنتكلم عن كل منها بإيجاز فنقول :

(١) التوراة :

التوراة هي الكتب الخمسة التي أنزلها الله على سيدنا موسى ، كما أنزل الإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، والفرقان على خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله . وقد ورد في القرآن الكريم : « إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ » . والتوراة أعظم كتاب لدى بني إسرائيل . ويشتمل على القانون الذي أنزله الله ، وعلى التاريخ من آدم إلى موت موسى . وتنقسم التوراة خمسة أسفار وهي :

(١) سفر التكوين^(١) : ويبحث في خلق العالم ، وحياة الإنسان في بدء الخليقة . وفيه قصة آدم وحواء ، ونوح والطوفان ، وقصص إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف ، حتى انتقلت أسرة يوسف إلى مصر .

(٢) سفر الخروج^(٢) : ويشمل تاريخ بني إسرائيل وهم في مصر ، ويوضح كيف كان الفراعنة يعذبونهم ، وكيف خرجوا من مصر ؛ وقصة موسى وفرعون ،

والوحي على جبل سيناء ، والوصايا العشر ، وهى أساس ديانة بنى إسرائيل .

وها هى ذى فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج :

« ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً : أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ؛ من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ، ولا صورةً ما ممّا فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهنّ ولا تعبدنّ ؛ لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، أفترّد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مُبغِضِيّ . وأصنع إحساناً إلى ألوف من مُحِبِّيّ وحافظى وصاياى . لا تنطق باسم الرب إلهك عبثاً ؛ لأن الرب لا يُبرئ من نطق باسمه باطلاً . اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع فففيه سبّت للرب إلهك . لا تصنع عملاً ممّا ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك ؛ لأن الله خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها فى ستة أيام ، واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقَدّسه . أكرم أباك وأمك ؛ لئكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . لا تنقل . لا تزنى . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ، ولا ثورّه ولا حماره ، ولا شيئاً مما لقريبك » .

(٣) سفر اللاويين^(١) : ويبحث فى الأحبار ، والعادات والقوانين الخاصة

بالتضحية والقربان .

(٤) سفر العدد^(١) : ويبحث في الشرائع ، وتاريخ بني إسرائيل في أثناء سفرهم

في البرية من سيناء إلى حدود موآب .

(٥) سفر التثنية^(٢) : وفيه خطب سيدنا موسى للشعب ، وهو يعظ بني إسرائيل ،

ويأمرهم بالإيمان بالله وناموسه .

(ب) الأنبياء :

ينقسم قسمين : أحدهما خاص بالأنبياء الأول ، ويشمل تاريخ بني إسرائيل

من دخول يشوع^(٣) فلسطين إلى أن هدم بختنصر ملك بابل المعبد ببيت المقدس ، وهم :

(١) يشوع : ويحتوى انتظار بني إسرائيل ، وانقسام الأرض المقدسة .

(٢) القضاة^(٤) : مدة القضاة بين موت يشوع وولادة صموئيل^(٥) .

(٣) صموئيل : وهو كتابان : أحدهما خاص بتاريخ صموئيل وصوله والقسم الأول

من تاريخ داود ، والكتاب الآخر خاص بحكم داود .

(٤) الملوك : وهو كتابان ، ويحتويان موت داود ، وحكم سليمان حتى بدء النفي

إلى بابل .

والقسم الآخر من الأنبياء خاص بالأنبياء الآخرين ، وهم أشعيا ، ويوثيل ،

وعاموس ، وعو بديا ، ويونس ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفنيا ، وحجى ،

وزكريا ، وملاخى .

(ح) المكتوبات :

تشمل المكتوبات مزامير داود ، وأمثال سليمان ، وتاريخ أيوب ، ونشيد الأناشيد ، وتاريخ راعوث ، ومراثي أرميا ، وحزقيال ، وتخريب بيت المقدس ، وسبي بختنصر ملك بابل لبني إسرائيل ، وتاريخ دانيال في أثناء النفي ببابل ، وعزرا ويشتمل على عودة اليهود من بابل بعد النفي وإعادة بناء بيت المقدس ، ونحميا .

التلمود

التلمود كتاب من أهم الكتب الدينية التي يعتمد عليها علماء بني إسرائيل في معرفة ما أثر عن موسى من السنن والحكم والمواظظ والإرشادات . وبه كثير من القوانين والبحوث الدينية العميقة ، وأحوال اليهود وأدعيتهم وفلسفتهم ، وأخلاقهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وقصصهم وتاريخهم .

والتلمود قسمان : أحدهما تلمود أورشليم^(١) أو التلمود الفلسطيني ، والآخر التلمود البابلي^(٢) . ويحتوى التلمود عنصريين : المتن والشرح ، ويسميان «المشنا» ؛ أى ما يحفظ عن ظهر قلب . أما «الجمارا» فهي الحاشية ، وبها الشرح النهائى ، والحكم الأخير . وقد دوّنت «المشنا» باللغة العبرية القديمة ، وتشتمل على أحكام دينية خاصة . ودوّنت «الجمارا» باللغة الآرامية ، وبها بحوث فقهية عميقة لبعض العلماء من الرابانيين . وفي هذه الكتب الدينية تجد ديانة بني إسرائيل ، وتاريخهم وآدابهم وشرائعهم وفقههم .

ففى «المشنا» تذكر المبادئ والقواعد بغير نقاش غالبا . وفى «الجمارا» توضح المناقشات ، وتوضع تحت الاختبار ، ويذكر فيها الحكم الأخير .

وفي « المشنأ » ستة عناصر وهي :

(١) البذور^(١) : وهي قوانين تشير إلى الشؤون الزراعية ، مسبقة بقوانين عن عبادة الله .

(٢) الفصول^(٢) : ويبحث عن الأعياد عند اليهود ، وعن يوم السبت ، وهو يوم الراحة عندهم ، ولهم فيه تقاليد خاصة .

(٣) النساء^(٣) : وقد ذكر فيه بالتفصيل قوانين الزواج .

(٤) العقوبة : وتشتمل على التشريع المدني والإجرائي ، والكلام عن الحكومة .

(٥) الأمور المقدسة^(٤) : وهي بحث عن القران والتضحية .

(٦) الطهارة^(٥) : وهي بحث عن الطهارة والنجاسة ، والفرق بينهما .

فالقوانين المذكورة في التلمود هي :

(١) القوانين التي استنبطت صراحة أو ضمناً من التوراة ؛ أي من الكتب الخمسة التي أنزلت على موسى .

(٢) القوانين التي منحها الله موسى وهو على جبل سيناء .

(٣) العادات والتقاليد التي كانت لدى بني إسرائيل قديماً في العصر الذي نزلت فيه التوراة .

(٤) القوانين التي وضعها علماء بني إسرائيل ، وأدخلت بعد عصر التوراة .

والغرض منها الوعظ والإرشاد ، وتقويم الأخلاق ، والتأكد من إطاعة الأوامر الدينية ، ومنع الرذائل وسوء الظن .

(٥) المنهاج^(٦) : وهي تمرينات دينية ، لم يعتمد في وضعها على نصوص من

التوراة ، ولكنها صارت كالقوانين المقدسة بطول استعمالها .

Seeds (١)	Seasons (٢)	Women (٣)
The Holy things (٤)	Purity (٥)	Custom (٦)

عصر نفى بني إسرائيل في بابل

لقد كان لنفى بني إسرائيل إلى بابل أثر كبير وضرر به قاضية على المملكة اليهودية، وأثر سيء في اللغة العبرية . ومن المبالغة أن نطن أن اللغة العبرية قد اختفت كل الاختفاء ، وذهبت من الحياة العادية وقت النفي ، وأنظن أن اللغة الآرامية استعملت إذ ذاك بين اليهود جميعهم ؛ ففي الشرق حتى في الجماعات الصغيرة كثيرا ما يتمسك الإسرائيليون كل التمسك باستعمال لغتهم العبرية ، وخاصة إذا كانت تلك الجماعات تمثل جماعة دينية ، فهم يحافظون على لغتهم ، ولو أحيطوا بقوم يتكلمون لغة غير لغتهم . وهكذا كانت الحال بين اليهود المنفيين إلى بابل ؛ فقد كانوا محافظين على لغتهم في نفهم محافظتهم على لغتهم في بلادهم .

وكانت اللغة العبرية لغة للشعب الجديد بعد النفي بزمن ليس بالقصير في عصر عزرا^(١) ، ولكننا في كتاب نحميا^(٢) في الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح الثالث عشر نجد شكاية بأن أطفال اليهود الذين كانت أمهاتهم من أشدود كانوا يتكلمون نصف كلامهم باللغة العبرية، والنصف الآخر بلغة أشدود، أو باللغة التي كانت تنطق بها أمهاتهم ، أي كانت تلك اللغة . ولا أحد يستطيع أن يظن أن نحميا كان حريصا على أن يحافظ أبناء اليهود على التكلم باللهجة الآرامية مع الدقة في كلامهم ، وهو من غير شك يرجع إلى اللغة العبرية ويشير إليها كما كانت تتكلم في ذلك الوقت^(٣) .

(١) Ezra (٢) Nehemiah

(٣) وهذا نص الآية الرابعة والعشرين : « ونصف كلام أبنائهم بلغة أشدود ، (لأنهم) لم يحسنوا التكلم بلغة اليهود »

حول اللغة الآرامية محل اللغة العبرية

بعد عصر الإسكندر المقدوني استقرت جماعات كبيرة من اليهود في الإسكندرية ، وفي مدن أخرى أوروبية . وأخذوا بسرعة يستعملون اللغة اليونانية القديمة . وفي أثناء ذلك كانت اللغة الآرامية اللغة الرئيسة في سورية وما يجاورها ، كما كانت لغة اليهود في مصر . ومن السهل أن يرى أثر اللغة الآرامية في بعض الكتابات التي كتبت قبل النفي إلى بابل . ثم أخذت الآرامية تنتشر انتشاراً كبيراً بين اليهود في فلسطين ، وانقطعت اللغة العبرية بالتدريج عن أن تكون لغة محادثة ، ولكنها أصبحت لغة المدارس والدين . ويبتدئ كتاب دانيال الذي كتب سنة ١٦٦ أو سنة ١٦٧ ق . م . باللغة العبرية ، ثم ينتقل فجأة إلى اللغة الآرامية ، ثم ينتهي باللغة العبرية .

وبالمثل نجد في سفر الأخبار وفي عزراً انتقالاً من الآرامية إلى العبرية ، ومن هذه إلى تلك . وفي الجزء الأخير من نحميا استعير مقدار كبير من اللغة الآرامية . وليس هناك سبب يدعو إلى استعمال اللغة الآرامية في الكتب العبرية التي كتبت مبدئياً لميت المقدس إلا إذا كانت اللغة الآرامية هي اللغة السائدة من قبل ، في حين أنه كان من الطبيعي جداً لليهودي التقى الديني أن يكتب باللغة العبرية المقدسة حتى بعد أن انقطع التكلم بها .

وإننا نرى أن كتب إستر^(١) وإكسليستير^(٢) وبعض المزامير التي يرجع

عهدنا الى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد قد كتبت في الحقيقة باللغة العبرية ، لكنها متأثرة كل التأثر باللغة الآرامية . وهذا دليل واضح على أن الكتاب كانوا يستعملون في العادة التكلم باللغة الآرامية . ومما لا شك فيه طبعاً أنه كان لا يزال هناك كثير من الكتاب اليهود يستطيعون الكتابة والمحادثة معاً باللغة العبرية . فلا غرابة إذا وجدنا كتاب سيراك^(١) الذي كتب سنة مائتين قبل الميلاد تقريباً قد كتب ثلثه على الأقل باللغة العبرية الخالصة . لكننا لا نخطئ إذا قلنا إن في عصر المقابيين^(٢) قد انقطعت اللغة العبرية بين اليهود عن أن تكون لغة حديث بينهم . وليس هناك شيء يدلنا على أن اللغة العبرية مكثت مدة أطول من تلك المدة بين أي أمة من الأمم المجاورة .

لكن في العصور الأخيرة من تاريخ اورشليم أو بيت المقدس ، وبعد أن أباد « تيتس »^(٣) تلك المدينة المقدسة ، قد لعبت المدارس اليهودية دوراً هاماً جداً أحييت به أو أطالت حياة اللغة العبرية ؛ فالمحاضرات ، والمباحثات ، والمناقشات التي كان يقوم بها العلماء كانت باللغة العبرية . ولدينا أمثلة كثيرة من اللغة العبرية الحديثة في المشنا^(٤) ؛ وهو كتاب أحاديث اليهود ، وفي كتب أخرى وأجزاء متفرقة في التلمودين البابلي والفلسطيني .

وتختلف اللغة العبرية القديمة التي كانت تستعمل في الكتابة والمحادثة كثيراً عن اللغة العبرية الحديثة ، اختلاف اللغة العربية في العصر الجاهلي مثلاً عن اللغة

Sirach (١)

(٢) المقابيون : طائفة من اليهود القدماء ، عرفت بالشجاعة والدفاع عن دين بني إسرائيل قبل الميلاد بمائة وخمس وستين سنة . وتنسب إلى (يهودا المقابي) وسنتكلم عنه بإسهاب فيما بعد .

Mishnah (٤) Titus (٣)

العربية في العصر الحاضر . وقد شعر علماء العبرية بهذا الفرق بين اللغة القديمة والحديثة ؛ فقد استعارت اللغة الحديثة جزءاً كبيراً من كلماتها من اللغة الآرامية ، وكان لهذا تأثير قوى في القواعد العبرية ؛ فمثلاً الكلمتان : (أبى وأمى) عبر عنهما بكلمتين آراميتين ، ولم يرغب العلماء منهم أن ينادوا آباءهم وأمهاتهم بأسماء أخرى غير الأسماء الآرامية التى اعتادوها فى الصغر منذ الطفولة ، فحورت القواعد بأسلوب خاص ، وضبطت الكلمات بشكل غريب موجز منقط ، ومع أن نسبة الكلمات الأجنبية كبيرة فى هذه اللغة الحديثة نجد أنها تحتوى عدداً كبيراً من العناصر العبرية الخالصة التى لم تذكر بالمصادفة فى العهد القديم ، فالمشنة مملوءة بكلمات كثيرة من العبرية الحقيقية ، ولو أن فيها ألفاظاً استعيرت من الآرامية ، ولا نجد لها فى العهد القديم . وفى اللغة العبرية الحديثة مسائل لم تعرف فى اللغة العبرية القديمة .

المقاييمون

فى سنة ١٦٥ قبل الميلاد كانت تعيش أسرة من الأسر المتمسكة بديانة بنى إسرائيل ، وعلى رأسها رجل هرم يدعى «مَتَثْيَاس»^(١) له خمسة أبناء . وقد شعروا جميعاً بالأسف الشديد ، والحزن العميق ؛ لما لحق الإسرائيليين فى ذلك العصر المظلم من الظلم والاضطهاد ؛ فهاجر هو وأبناؤه وكثير من بنى إسرائيل - من بيت المقدس إلى جبال إفرايم^(٢) ؛ حتى لا يجبروا على تغيير دينهم ، وعبادة الأوثان . وقد تمسكوا بعبادة الله على دين سيدنا موسى ، واضطروا أن يعيشوا فى المغارات بالجبال كالحيوان

(١) Mattathias (٢) The Mountains of Ephraim

الضال . وكانوا يعتمدون في معيشتهم على ما يجدونه في الجبال من الغنم أو المعز أو جذور
النبات أو الحشائش ، ويهاجمون أعداءهم من الجيوش السورية كلما أتاحت الفرصة
لهم حتى أيام السبت ؛ دفاعاً عن أنفسهم ودينهم .
وقد مات الأب « متاثياس » بعد هذا ، فحزن بنو إسرائيل على فقده حزناً
شديداً . وقبل وفاته أوصى ابنه سيمون أن يكون مستشاراً للشعب ، وأوصى ابنه
يهودا^(١) أن يكون قائداً للشعب ، ويقاوم قتال الأبطال .
وقد عرف يهودا وإخوته بالمقابيين ، وعرف يهودا بالمقابي^(٢) ؛ أى الضارب
بالمطرقة . وقد اختلف العلماء في تفسير معنى كلمة مقابي ؛ فمنهم من قال إن معناها
الشجاع الضارب بالمطرقة ، ومنهم من قال إن كل حرف منها رمز لكلمة من الكلمات
التي نقشها يهودا على رايته الحربية ، ومعناها : « مَنْ مثلك بين الآلهة يا الله ؟ »
وقد قاد يهودا المقابي تلك الفرقة الصغيرة من اليهود الشجعان الذين كانوا يقاتلون
(أنطيوخس^(٣)) ملك سورية المعروف بالجنون^(٤) ، وتذكر وصية أبيه له ولإخوته
قبل الوفاة بالدفاع عن التوراة ، وعن دين بني إسرائيل ، ليخلدوا اسمهم مدى الحياة .
فكلمة مقابيين تنسب إلى يهودا « المقابي^(٥) » ؛ القائد الشجاع الذي انتصر
على (أنطيوخس) ملك سورية . ولا عجب ؛ فقد خلق يهودا ليكون قائداً شجاعاً .
وكان يقاتل دفاعاً عن عقيدته وديانته بإيمان وإخلاص ، فانتصر على الجيوش السورية
ثلاث مرات في السنتين الأوليين من حروبه ، فاشتهر بالشجاعة والبطولة بين
بني إسرائيل . وإليه ينسب المقابيون الشجعان من اليهود القدماء .

Antiochus (٣) Maccabee (٢) Judas (١)

(١) Judas Maccabeus (٥) The Madman (٤)

اللغة العبرية في القرون الوسطى

واللغة العبرية الحديثة

منذ ابتداء القرون الوسطى إلى العصر الحاضر ألف علماء اليهود عدداً كبيراً من المؤلفات باللغة العبرية ، وقد كانوا أحياناً يحاكون العهد القديم ، وأونة يحاكون لغة (المِشْنَا) ، ومرة يذكرون عبارات كثيرة من العبارات الآرامية ، وأحياناً يتشبهون بالأسلوب العربى . وإن دراسة الفروق في نظر الرجل اللغوى ليس لها إلا لذة قليلة ؛ فما هى إلا محاكاة سطحية تتوقف على مهارة السكاتب في كتابته ؛ فلغة (المِشْنَا) تصف الحياة الحقيقية لليهود. وتوضع اللغة العبرية في العصور الأخيرة في صف واحد مع اللغة اللاتينية في القرون الوسطى واللغة اللاتينية الحديثة .

وقد تحقق حلم الصهيونيين الذين يسكنون القدس في جبل صهيون في إحياء تلك اللغة العبرية مرة أخرى ، حتى صارت لغة حية تستعمل في الكتابة والمحادثة ، والخطابة والتمثيل والتأليف ، في فلسطين ، بين الإسرائيليين في الأرض المقدسة . وقد أنشئت في السنوات الأخيرة جامعة عبرية في القدس . ولا نبالغ إذا قلنا إنه يطبع هناك اليوم عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية والفنية باللغة العبرية الحديثة .

واللغة العبرية الحديثة أسهل في تركيبها من اللغة العبرية القديمة . وهناك خلاف قليل بين القواعد في اللغتين القديمة والحديثة . واللغة الحديثة أصح للتعبيرات المحددة للأفكار ، الموضحة للمعاني ، وهى الآن تُعدّ لغة حية تستعمل في جميع الأغراض التى تستعمل فيها أى لغة أخرى ، في أى ناحية من نواحي الحياة . ولكن

العلماء من الإسرائيليين لا يثقون بالألفاظ العبرية القديمة الصافية ، ولا يجدون بأساً من ترجمة الاصطلاحات العلمية والألفاظ الأجنبية من اللغات الأوروبية التي يتأثرون بها- إلى اللغة العبرية الحديثة ؛ فلا عجب إذا وجدنا كثيراً من الألفاظ الإنكليزية والفرنسية والألمانية والروسية مكتوبة بحروف عبرية . ولم تستخدم اللغة العبرية في المباحث العلمية قديماً . وقد فقدت اللغة العبرية كثيراً من القواعد التي لا تزال محفوظة في اللغة العربية .

ومع تشتت بني إسرائيل في جميع أنحاء العالم منذ أن أسره بختنصر ملك بابل - قد حافظ علماء الدين منهم على اللغة العبرية في معابدهم ، وحافظ معظم اليهود على تقاليدهم الدينية في عباداتهم وبيوتهم ، وعاداتهم ومعيشتهم . وقد عرف الإسرائيليون بحب البحث والاطلاع ، والصبر الطويل . وهم يحتفظون لهم بأحياء خاصة بهم في كل مدينة من مدن العالم . والطالب منهم يعمل في أي ناحية من نواحي العمل ؛ لكسب عيشه نهاراً ، ويدرس ليلاً .

الفصل الثالث

اللغة الفينيقية

قبل أن نتكلم عن اللغة الفينيقية نذكر كلمة عن فينيقية فنقول : —

فينيقية :

نال هذا الاسم من الشهرة قديماً ما لم ينله اسم سواه ، والراجح أنه مما استنبطه اليونان أو حرفوه . وكان يطلق على عامة ساحل لبنان ، ومد بعض المؤرخين حدود الجهات التي كانت تسمى به إلى ما بين مصر وكورة أنطاكية .
وفي أصل هذا الاسم احتمالات كثيرة ؛ فقد ظن (پوشار) أنه مشتق من لفظة « بنو عناق » ، وهم قوم من جبابرة الكنعانيين ، ولكنه لم يسق دليلاً على صحة رأيه ، فضلاً عما بين الكامتين من الفرق اللفظي الكبير ، :
وقيل إنه مشتق من (فنك) بمعنى عاش منعماً ، أو من (فنيتيم) ؛ أي الحجارة الكريمة أو المرجان ، وهذان الرأيان مردودان أيضاً ؛ لأنهما بغير سند ، فضلاً عن أن الفينيقيين كانوا كبقية الساميين ، إما أن يسموا أنفسهم كنعانيين باسم وطنهم العام ، وإما أن ينسبوا أنفسهم إلى قبائلهم أو مدنهم ، وهذا ينقض كل قول باشتقاق هذا الاسم من أصل سامي .

لذلك وجب البحث عن أصله في كلام اليونان ، ولهؤلاء فيه آراء ؛ فقد ورد في كلام (هوميروس و هيرودوت) ، ولكن المتقدمين كعادتهم فسروه بخرافة ، فقالوا إنه مشتق من فينقس أبي الفينيقيين .

وزعم أرسطو أنهم سمو بذلك بمعنى القتلة ؛ لقسوتهم في معاملة السكان في كل مكان يحمله تجارهم ، ولكن التاريخ لا يؤيد هذا الزعم .

وقيل إن اسم الفينيقيين مشتق من (فينقس) أى النخل باليونانية ؛ لاشتهار هذه الجهات في الزمن القديم بهذا الشجر ، ولأن المسكوكات القديمة كانت تتخذ النخل رمزاً إلى فينيقية ، وأن كثيراً من قدماء المؤلفين كانوا يعدون النخل من مميزات هذه الجهة .

وينقض هذا الرأي أنه لم يثبت أن الكنعانيين اتخذوا النخل رمزاً في الوقت الذي سماهم فيه اليونان فينيقيين ، ولم يعرف على وجه التحقيق : هل كان النخل عندهم سمة وطنية أو رمزاً دينياً ؟ كما أن لبنان لا تختص بالنخل دون غيرها ، بل تجاورها جهات أوفر منها نخلاً مثل أرض أدوم وشبه جزيرة العرب ، ومع ذلك لم تسم بلاد النخل .

ويستخلص من ذلك أن الفينيقيين لم ينسبوا في تسميتهم إلى النخل ، وإنما نسب النخل إليهم ؛ لأن اليونان لم يروه لأول مرة إلا في بلادهم .

وقال آخرون إن (فينقس) قد يراد بها الأحمر أو القرمزي أو الأرجواني .

وزعم بعض المؤرخين أن الفينيقيين سمو بذلك بمعنى الحمر ؛ لاجرار وجوهم ، كما سمي الزنوج سودانا اسواد ألوانهم ، ولكن المشاهد أن هذا الشعب لا تمتاز وجوه أفراده بالحرة القانئة حتى يستحقوا أن يسموا بهذا الاسم ، بل يلاحظ أن الألوان القائمة أكثر شيوعاً فيهم من الألوان الوردية .

وقيل إنهم سمو بذلك نسبة إلى لون طيا السهم القرمزية ، أو الأنسجة الأرجوانية التي كانوا يتجرون بها في مدن الغرب ، فيكون معنى فينيقيين صباغى الأرجوان أو تجاره ، ولكن هذا الزعم مردود أيضاً ؛ لأن صنعة الأرجوان لم تكن عريقة القدم ، أو كثيرة الانتشار ، إلى الحد الذي يسوغ تسمية شعب باسمها ، كما أن الحكايات الدينية أثبتت أن الفينيقيين كانوا معروفين بهذا الاسم من قبل أن يحملوا بضائعهم إلى اليونان .

وقيل إن الفينيقيين سمو بهذا الاسم لأن بلادهم في الشرق منبع النور والنار ، في نظر اليونان الذين يصفون تولد النور بأوصاف مشتقة من معنى الأحمر ؛ فقد وصفوا الفجر بذي الأصابع الوردية ، والعجلات الأرجوانية . وكانوا يعتقدون أن الشمس عند مطلعها تبعث في هذه الجهات أشعة شبيهة بالدم تلون الماء بلون أحمر ، ولذلك سُمي البحر الأحمر بهذا الاسم . قال (أسطفان البيزنطى) : « عندما تبعث الشمس أشعتها على هذا البحر تنشر عليه ظلاً أحمر سُمي البحر باسمه . » وقد كان هذا الاعتقاد سبباً في زعم بعض القدماء أن الفينيقيين كانوا في الأصل من سكان سواحل البحر الأحمر ، ثم انتقلوا منها إلى جهات لبنان ، فسموا باسم البحر الذي غادروه .

ولكن هذا الرأي لا يستحق التعويل عليه ؛ لأنه مبني على خيال تخيله شعراء اليونان ، لا على حالة طبيعية ثابتة ؛ فليس الفجر في المشرق أوفر احمراراً منه في المغرب ، ولا أشعة الشمس في آسية أشد تورداً منها في أوروبا . وقال بعض العلماء : إن في اسم الفينيقيين إشارة للأب الأول « آدم » الذي

من معانى اسمه الدم والأحمر ، مستدلين بأن آدم في العبرانية مشتق من آدم أى احمر .
ومن هذه المادة كلمة (دم) في اللغات السامية .

ولكن العاقل لا يستطيع أن يتصور أن اليونان في تلك العصور القديمة
قصدا هذه الدلالة عند إطلاقهم اسم الفينيقيين ، على اللبنانيين .

وزعم علماء الآثار المصرية أن اسم الفينيقيين مشتق من كلمة (يون) التى تطلق على
البلاد العربية فى اللغة الهيروغليفية ، وليس ذلك صحيحاً ؛ لأن الفينيقيين كان يفرق
دائماً بينهم وبين العرب .

والواقع أن جميع هذه الآراء السابقة لا تنفع غلة ، ولا تروى ظمأ الباحث
عن الحقيقة ؛ فليس معقولاً أن اليونان عندما وصل إليهم هؤلاء التجار الغرباء
اخترعوا لهم فى الحال اسماً من عندهم دون أن يسألوهم عن الاسم الذى يسمون به
فى أوطانهم .

وقد أثر عنهم أنهم كانوا يلقبون الفينيقية أحياناً صيدونيين وصوريين
وإرواديين ، نسبة إلى المدن التى يقدمون منها مع شىء من التحريف .
ولهذا نرجح أن كلمة فينيقي محرفة عن كلمة كنعانى . وإذا بدلنا الفرق بين
اللفظين فى أول الأمر عظيماً فإن ما ثبت من تغيير جُبيل ببيلس يجعل تغيير لفظ
الكنعانى بالفينيقى شديد الاحتمال ، ولا سيما مع معرفتنا أنهم كانوا يستعملون الكلمات
الأجنبية ، ويحرفونها بحسب ما تستحسنه آذانهم ، ويسهل على ألسنتهم . وقد أثبت
« سنكن يتن » الكنعانى أن كنعان هو أول من سماه اليونان (فينيقس) من غير أن
يظهر أنهما اسمان مفترقان ، ولم يكن فى لغة اليونان القديمة اسم آخر للدلالة على

الكنعانيين ، ولم يخطر لهؤلاء أن في تسميتهم بالفينيقيين خطأ من اليونان . وقد آل بهم الأمر أخيراً إلى استعمال هذه التسمية كأنها اسمهم الحقيقي ، ولو أنه مشوه بالتصحيف والتحريف .

ومن هذا يتضح أن اسم الفينيقيين لم يكن في الأصل إلتحريفاً لاسم الكنعانيين السامى .

اللغة الفينيقية تشبه اللغة العبرية

تشبه اللغة الفينيقية - التي هي لغة صور وصيدا - اللغة العبرية كل التشابه ؛ فهما من مصدر واحد ، وأصل واحد . وترجع بعض نقوش الفينيقية أو حروفها إلى نحو ٦٠٠ سنة قبل الميلاد . وإن النقوش الفينيقية التي جمعت بعد أن كانت مبعثرة هنا وهناك لا تكفى للعلم بلغة من اللغات . وتحفظ تلك النقوش بمتحف باريس . ولم يكتب بهذه اللغة كثير من المواد . ولم يذكر في تلك النقوش أو الكتابات الفينيقية أهم القواعد . وليس فيها كثير من الكلمات المستعملة بكثرة في الشؤون العادية في الحياة . ومن الصعب جداً فهم أسلوبها . وإن تكرار العبارات والجمل الغامضة في المسألة الواحدة في كثير من الكتابات لا يساعد الباحث ولا القارئ على الفهم .

وتنسب تلك النقوش إلى الفينيقيين في فينيقية وفي الجهات التي تجاورها مثل قبرس ومصر واليونان ، وإلى الفينيقيين أيضاً في إفريقية ، وبخاصة سكان قرطاجنة القديمة التي حلت محلها الآن مدينة تونس . ومن الصعب شرح عباراتها لكثرة ما فيها من لبس وغموض . وتستعمل حروف العلة فيها نادراً . ومن الممكن الاستعانة بالكتب الإغريقية أو اللاتينية التي شرحت بعض الكتب الفينيقية وترجمتها .

ولو استعين بالإغريقية أو اللاتينية في الفهم وجب الاحتراس ؛ لأن المترجمين أمثال « بلوتس » لم يقصدوا الدقة والضبط في الترجمة. ولم يستطع النساخ أن يفهموا ما كتب باللغة الفينيقية . فلا غرابة إذا ضاع كثير من مجهود « بلوتس » في ترجمته لغة أهل قرطاجنة^(١) إلى اللاتينية .

وتشبه قواعد اللغة الفينيقية قواعد اللغة العبرية ، وتتفق اللهجتان : العبرية والفينيقية في الحروف الصحيحة . أما حروف العلة فتختلف في اللغة الفينيقية عنها في اللغة العبرية ، ويكثر في اللغتين ذكر « كان » الماضي للتعبير عن الزمن الماضي التام . ومن الفروق الهامة بين اللغتين أن اللغة الفينيقية لا تستعمل فيها الواو القالبة التي تقلب معنى الماضي إلى المستقبل ، والمستقبل إلى الماضي ، بخلاف اللغة العبرية ؛ فإن استعمال تلك الواو القالبة فيها كثير جداً . وتشبه مجموعة الكلمات الفينيقية مجموعة الكلمات العبرية ، ولكن الكلمات النادرة في العبرية كثيرة الاستعمال في الفينيقية ؛ فمثلاً كلمة « فَعَلَ » في اللغة العربية هي « يَفْعَل » في الفينيقية ، ولكنها لم ترد في العبرية إلا نادراً في الشعر . وإن كلمة « ذهب » الواردة في معظم اللغات السامية يقابلها « حاروص » في الفينيقية ، و « حُرَاص » في الآشورية ، ولم تستعمل « حاروص » في الشعر العبري إلا نادراً . وهناك فرق بين اللغة الفينيقية القديمة ولغة المستعمرات الفينيقية ، لكن لم يصل العلماء إلى نتيجة حاسمة تبين هذا الفرق .

(١) قرطاجنة : (Carthage) من ثغور المغرب الأدنى قرب مدينة تونس ، أسسها الفينيقيون سنة ١١٣٧ ق . م . وقرطاجنة أو قرطاجة تاريخ حافل بالحوادث مع رومة ، وقد طال النزاع بينهما ، حتى هدمها الرومان تخلصاً منها . والرومان هم الذين نحتوا اسم « قرطاجة » من اسم المدينة الفينيقي « قرط قاداشت » أي المدينة الجديدة .

وإن النقوش التي حدثت في قرطاجنة في القرن الأول قبل الميلاد قد كتبت بشكل غير واضح ، حتى صار من المستحيل على اللغوي أن يعرف مع التأكد الشكل الحقيقي للكلمات . وكانت اللهجة الفينيقية تستعمل لغة للمحادثة حتى سنة ٤٠٠ ق . م . وبعد ذلك التاريخ بمدة طويلة في تلك الجهات من إفريقية الشمالية التي كانت تنسب فيما مضى إلى قرطاجنة . ويبدو أن اللغة الفينيقية الأصلية قد قاومت اعتداء اللغة اليونانية عليها من جهة ، واعتداء اللغة الآرامية من جهة أخرى ، ولكن لم تجد هذه المقاومة في النهاية .

أهمية اللغة الفينيقية :

وللغة الفينيقية أهمية خاصة من جهة حروفها الأبجدية ؛ فمن فينيقية أخذ اليونان القدماء حروفهم ، وعن اليونان أخذ الرومان حروفهم ، وعن اليونان والرومان أخذت الأمم الغربية حروفها الأبجدية . وكانت الحروف الفينيقية تكتب من اليمين إلى اليسار ، ولما أخذ اليونان والرومان حروفهم من الفينيقيين كانوا في البدء يكتبونها من اليمين إلى اليسار ، وبعد مدة من الزمن كتبوها من اليسار إلى اليمين . وكانت الحروف الأبجدية الفينيقية كبيرة تلائم الحفار أو النقاش أكثر من ملاءمتها لمن يكتب على ورق أو قطع من الجلد .

الفصل الرابع

اللغة الآرامية

تقرب اللغة الآرامية من اللغة العبرية الفينيقية ، ولكن هناك فرق واضح بين اللغتين . ولا يعرف بالضبط الموطن الأول للغة الآرامية . وقد ذكرت في العهد القديم « آرام » . وآرام هو آخر أولاد سام ، وأطلق هذا الاسم على معظم لبنان وسورية وما بين النهرين ؛ لأن هذه الجهات كانت في قسمه على الأرجح . وظل أولاد آرام يسمون آراميين إلى أوائل التاريخ المسيحي . وقد أطلق الكتاب المقدس هذا الاسم على البلاد الواقعة في الشمال الشرقي من فلسطين إلى ما بين النهرين وآشور ، أما في النسخة اللاتينية واليونانية فقد ترجم بلفظ سورية ، غير أن هذا الاسم الذي ذاعت شهرته قديما قد اضمحل بعد غارة اليونان على الشرق ، ثم ذهب عند ظهور الفصرائية .

وذهب بعض العلماء إلى أنه لا يزال محفوظا في اسم أرمينية ، ترجيحاً لنسبتها إلى بعض قبائل آرامية احتملتها حوالي القرن السابع قبل المسيح ؛ إذ كانت تسمى قبل ذلك أراط أو أوررتي . وقد ورد هذا الاسم في أشعار (هومير وهسيود) وغيرها من المؤرخين اليونانيين ، وخصصه بعضهم بالسوريين تخصيصاً صريحاً ، ثم تفوسى

هذا الاسم بالتدريج حتى عند الآراميين أنفسهم . وصارت كلمة آرامى مرادفة للوثني عند المتدينين ، إلى أن محاها الفتح العربي محو تاما ، وحجبتها عن الأسماع أسماء الفرق النصرانية والإسلامية الكثيرة .

وقد انتشرت اللغة الآرامية بالتدريج في سورية وبلاد دجلة والفرات . وكانت تلك البلاد من قبل ملكا للحيثيين على الأرجح ؛ وهم قوم ليسوا من الساميين . وبعد أن كانت فلسطين تسكنها القبائل الكنعانية أصبحت آرامية ، وصار الناس يتكلمون الآرامية في سورية ، وفي فلسطين ، وعلى شواطئ نهر الفرات ، وفي جميع جهات نهر دجلة في الجنوب ، وفي الغرب من جبال أرمينية وكردستان . وكان معظم السكان من بابل وآشور من الآراميين من قديم الزمان حتى في الوقت الذي كانت اللغة الآشورية فيه لغة الحكومة . وتحتوى اللغة الآرامية القديمة على حروف ونقوش كتبت على أشياء أثرية وموازين وجواهر . وحديثا قد كشف في سورية نقش للملك « حاماث زاخور » وهو من ملوك القرن الثامن قبل الميلاد . وقد وجدت نقوش أخرى في حفريات في أقصى شمال سورية لا تقل أهمية عن الكشف السابق ، وترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد أيضا . وقد كتب معظم هذه النقوش والحفريات باللغة الآرامية ، وكتب قليل منها باللغة العبرية . ويظهر من تلك الآثار أن اللغة الآشورية كانت مهيمنة على اللغة الآرامية ؛ أى أن اللغة الآرامية كانت متأثرة بها كل التأثر . وإن استعمال الواو القالبة التي تقلب معنى المستقبل إلى الماضى ومعنى الماضى إلى المستقبل في نقوش الملك « حاماث » دليل ساطع على أن اللغة العبرية قد أثرت أيضا في اللغة الآرامية القديمة ؛ فإن هذه الواو لم تعرف إلا من العبرية في ذلك الوقت . وقد تشعبت اللهجة الآرامية والنطق

الآرامى فى العصر اليونانى . وفى عصر الفرس كانت اللغة الآرامية هى اللغة الرسمية بالجهات الغربية من نهر الفرات . ويوضح تلك الحقيقة أن العملة التى سكها الحكام والأمراء فى آسية الصغرى تحمل نقوشاً آرامية كان يقوم بنقشها فى بعض الأحيان مهرة الفنيين من اليونان ، فى حين أن النقوش فى النقود الأخرى كانت يونانية . ولا يبرهن هذا طبعاً على أن اللغة الآرامية كانت لغة الحديث والتخاطب فى آسية الصغرى .

وقد عثر فى مصر على بعض نقوش آرامية من عصر الفرس سنة ٤٨٢ ق . م . كما عثر على بعض صكوك رسمية وقطع أخرى كتبت باللغة الآرامية على ورق البردى فى تلك المدة . ولسوء الحظ كانت ممزقة بالية ، وفى حالة لا يمكن ترجمة شئ منها . وقد كشفت أخيراً مجموعة كبيرة من الصكوك فى حالة جيدة عن القرن الخامس قبل الميلاد فى صعيد مصر ؛ فقد كانت الكتابة باللغة الهيروغليفية محرمة على المتعلمين من المصريين ؛ فكان المصريون حتى الفقراء منهم يستخدمون اللغة الآرامية ، والكتابة الآرامية . ولسنا فى حاجة إلى أن نشك فى أن كثيراً ممن هاجروا إلى مصر من سورية كانوا يتكلمون اللغة الآرامية ، كما كان يتكلمها اليهود فى مصر ، وأن اليهود الذين أتوا إلى مصر قبل عصر الفرس كثيراً ما كان يشار إليهم فى الصكوك بأنهم كانوا يعاملون معاملة الآراميين . وفى سفر التثنية « Deuteronomy » فى الآية السادسة عشرة من الإصحاح السابع عشر ، قد باع ملك اليهودية اليهود إلى ملوك مصر الذين قد حصلوا على كثير من الجنود من الأقطار الأجنبية فى ذلك الوقت ، بدلاً من أن يستخدموا جنوداً من المصريين . وقد أرسل ملك سورية أيضاً جنوداً إلى مصر ، ومنهم تعلم اليهود اللغة الآرامية ، فلم تكن اللغة الآرامية اللغة الرسمية فحسب ، بل

كانت لغة المحادثة أيضاً بين اليهود والسوريين . ويتضح هذا من الكتابة التي عثر عليها بالآرامية اليهودية . فلا غرابة إذا رأينا أن الصكوك الآرامية المصرية تبين لنا تأثير اللغة العبرية والفينيقية في اللغة الآرامية .

وفي الإمبراطورية الآشورية كان الفرس يفضلون اللغة الآرامية ؛ فقد كان يتكلمها معظم السكان . ولهذا يمكننا أن نفهم السبب في أن كل موظف آشوري مثقف كان يمكنه أن يتكلم الآرامية (ارجع إلى القسم الثاني من الملوك ، الإصحاح الثامن عشر آية ٢٦^(١)) . والسبب عينه قد تعلم أمراء يهودا وأكابرهم اللغة الآرامية ؛ كي يتصلوا بالآشوريين . وقد عثر على قليل من النقوش الآرامية القديمة في بلاد العرب في واحة « تيمه » في شمال الحجاز . وقد كتبت تلك النقوش الأثرية قبل عصر الفرس . ويمكننا أن ندعى أن اللغة الآرامية قد وصلت إلى تلك الجهة بأولئك التجار الذين ذهبوا بتجارهم إلى الحجاز ، فعاشوا واستوطنوا تلك الجهة التجارية القديمة ، وكان أثر ذلك أن اللغة الآرامية قد بقيت مدة اللغة الأدبية للعرب القريبين من آرام .

تقسيم اللغة الآرامية :

اللغة الآرامية قسمان : آرامية غربية ، وأرامية شرقية ، فالآرامية كان مهدها الأصلي شبه جزيرة العرب ، ثم نزلت إلى الشام ، وانقسمت قسمين كبيرين ،

(١) وهذا نصها : « فقال ألياًقيم بن حلقياً وشبنه ويواح لربشاقى : كلم عبيدك باللغة الآرامية لأننا نفهمها ؛ ولا تتكلم معنا بلغة اليهود في مسامع الناس الذين على الشور » .

فذهب قسم منها إلى الغرب في بلاد الشام وهي الآرامية الغربية ، ويتفرع عنها لغة اليهود المتأخرين ، ولهجة تدمر ، ولهجة النبط ، ولهجة السامريين . ثم ذهب القسم الآخر إلى الشرق في بلاد العراق ، وهي الآرامية الشرقية ، ويتفرع عنها لغة اليهود في بابل ، واللغة السريانية .

ومن نصوص الآرامية الغربية : « دانيال » و « عزرا » و « الترجوم » و « التلمود الأورشليمي وهو الفلسطيني » .
ومن نصوص الآرامية الشرقية : « التلمود البابلي » ، و « اللهجة المندعية » لبعض الوثنيين ، واللغة السريانية : وهي لغة المسيحيين من اليعقوبيين والنسطوريين .

الآرامية القديمة

إن ما عثرنا عليه من اللغة الآرامية في العهد القديم يبين لنا اللغة التي كان يستعملها اليهود في فلسطين . وفي كتاب « عزرا »^(١) قطع متفرقة ربما تنسب إلى عصر الفرس ، كما أن فيه قليلا من العبارات القديمة التي لا وجود لها في كتاب « دانيال » . وللقطع الآرامية التي في العهد القديم فائدة كبيرة من حيث الشكل والضبط واللغة . ولو أن هذه القطع لم تدرج في العهد القديم إلا بعد أن كتبت تلك الكتب ، وهي تختلف أحيانا عن الأصل .

(١) ارجع إلى عزرا ، الآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع .

وتشبه اللغة الآرامية القديمة اللغة السريانية كل الشبه ؛ من حيث الألفاظ
والعبارات ، والنطق والقواعد . ولا تزال الآرامية في العهد القديم تبين لنا أوجها
قديمة مختلفة من حيث القواعد ؛ فالمبنى للمجهول يغير فيه شكل الفعل ، ويغير الفعل
السببي بزيادة « ها » في أوله بدلا من « آ » .

وكانت اللغة الآرامية القديمة منتشرة قبل ميلاد المسيح . وكانت تعد في ذلك
الوقت لغة الثقافة والكتابة حتى بين الأشراف من العرب ؛ فكانت تحمل محل اللغة
العربية واللغة الإغريقية في كثير من الأقاليم . وكثيرا ما نقش البدو من العرب في
شبه جزيرة سيناء أسماءهم باللغة الآرامية على الصخور ، وأضافوا إليها بعض
العبارات والأدعية باللغة الآرامية .

ومن الممكن أن نصف اللغة الآرامية القديمة التي استعملت في العهد القديم
بأنها أقدم لهجة للآرامية الغربية ، وهي لغة الصراصرة ، وهي مملكة قريبة من
دمشق كانت تسكن تلك الجهة في القرن الثالث من الميلاد . وإن الرأي القائل بأن
يهود فلسطين أتوا بلهجتهم الآرامية من بابل رأى محكوم عليه بالخطأ .

اللغة الآرامية في الترجوم وغيره

الترجوم هو العهد القديم المترجم من اللغة العبرية إلى اللغة الآرامية . وبقراءة هذا الترجوم يمكننا أن نرى أثراً لتغير اللغة الآرامية الغربية في فلسطين ؛ ففي الجامع الدينية لليهود كان من الضروري أن يقرأ العهد القديم أولاً ، ثم تتبع تلك القراءة بترجمة شفوية لما يقرأ من العهد القديم إلى اللغة الآرامية ؛ لغة اليهود في ذلك العصر . ولكن الشكل الذي صودق عليه رسمياً لترجوم « أنكيلوس »^(١) وترجوم الأنبياء لم ينته حتى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد إلا في بابل لا في فلسطين . وقد حافظ السكاتبون للترجوم على اللهجة الفلسطينية القديمة ، ومع هذا فإن اللهجة الآرامية البابلية التي تختلف كثيراً عن لهجة فلسطين قد أثرت في اللهجة الفلسطينية كل التأثير حتى أفسدها ، وقد ضبط كتاب الترجوم في بابل . ومع أن الترجمة قد وضعت بكل عناية ودقة لا يمكن الوثوق بها تماماً كما يوثق بالقطع الآرامية التي في العهد القديم . وتختلف لغة ترجموم « أنكيلوس » وترجوم الأنبياء - وبعبارة أخرى ترجموم « يوناثان »^(٢) - قليلاً عن اللغة الآرامية القديمة ؛ لغة العهد القديم في بعض كتبه . وتظهر اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها يهود فلسطين فيما بعد - وبخاصة اليهود في الجليل - في كثير من الكتابة التلمودية التي كتبها الآباء القدماء في التلمود المسمى بترجوم أورشليم ، وفي الكتابة المدرashية والأحاديث اليهودية . ولسوء الحظ لم تصلنا كل الكتب التي منها المدرashيم والتلمود ، والتي تحتوي كثيراً من اللغتين العبرية والآرامية بدقة وعناية .

ولذا يحتاج الباحث اللغوي إلى أن يكون حريصاً كل الحرص ، محترساً كل الاحتراس ، حينما يبحث في هذه الكتب من الناحية اللغوية . وفضلاً عن هذا فقد كان للغة القديمة وطريقة ضبط الكتابة أثر في جعل هذه اللهجات غامضة ، فيها بعض اللبس أحياناً ؛ فهناك كثير من حروف الحلق تكتب ولا تنطق الآن . وفي تلمود أورشليم يستعمل الهجاء على حسب النطق الحقيقي في كثير من الأحيان . ومع ذلك فهذه الكتب غير مضبوطة ، وهذا يساعد على الغموض واللبس . وقد حاول بعض علماء اللغة حديثاً استعمال الكتب المذكورة وسيلة لإعادة الكتابة واللهجة التي كان يتكلم بها يسوع المسيح ، ووسيلة لمعرفة نطق يسوع في الجليل ، وليس هذا بالعمل السهل ، ولكنه عمل شاق لا يخلو من المخاطرة . ومن الصعب أن يعرف بالضبط مقدار ما ظهر من اللغة الجليلية لغة الجليل في الكتب اليهودية .

اللهجة الآرامية المسيحية في فلسطين :

ليس اليهود فقط هم الذين حافظوا على لهجتهم الوطنية ، بل حافظ المسيحيون أيضاً من أهل فلسطين على لهجتهم الآرامية مدة لا بأس بها ، فكانت تلك اللهجة لهجة للأدب والدين بين المسيحيين من فلسطين . وهناك تراجم للإنجيل وكتب دينية أخرى بهذه اللهجة . وقد قام بالترجمة المسيحيون من فلسطين . ويرجع تاريخ ترجمتها وكتابتها إلى القرن الخامس بعد الميلاد ، وقد أضيف إلى هذه الترجمة فيما بعد بعض الحركات وعلامات الوقف . وتشبه تلك اللهجة المسيحية الفلسطينية كل الشبه لهجة اليهود من فلسطين . ولا غرابة ؛ فقد كان هؤلاء المسيحيون من فلسطين من اليهود قبل اعتناقهم الديانة المسيحية ، فكانوا يتكلمون باللغة الآرامية قبل ترك اليهودية واعتناق النصرانية .

اللهجة السامرية

هي لغة السامريين من سكان فلسطين الذين كانوا يسكنون بلدة « سامرة » وتسمى الآن نابلس ؛ فقد ترجم هؤلاء السامريون كتابهم المقدس الوحيد وهو توراة موسى إلى تلك اللهجة السامرية ، ولا تزال هذه النسخة مكتوبة باللغة السامرية . ولا يعرف بالضبط الوقت الذي كتبت فيه التوراة ، أو الكتب الخمسة التي أنزلها الله على موسى - باللغة السامرية . وهناك أخبار ورسائل عربية كتبت بحروف سامرية . وفي نابلس وهي « سامرة » قديماً قطع كتبت باللغة السامرية . ويقال : إن في القاهرة قطعاً أخرى كتبت بالسامرية ، وإن النقود التي كان يستعملها المقاييسون من بني إسرائيل نقشت بحروف سامرية ، وإن معظم من كانوا يتكلمون اللغة السامرية كانوا من قبيلة إفرايم .

والحروف الأبجدية للغة السامرية أقدم من حروف اللغة العبرية ، وتشبه الحروف الفينيقية .

ودراسة هذه الترجمة للكتاب المقدس بدقة تدل على أن اللهجة السامرية تشبه اللهجة الآرامية ؛ لهجة اليهود والمسيحيين من فلسطين كل الشبه ؛ فهم جيران لهم . وقد حاول هؤلاء السامريون الزخرفة في لهجتهم وتحسينها بإدخال أشكال استعاروها من الأصل العبري ، فأدى ذلك إلى الفكرة الباطلة التي تقول : إن اللهجة السامرية خليط من العبرية والآرامية . وقد استعار النساخ الذين عاشوا في السامرة بعد انقراض اللغة الآرامية وانداس آثارها - كلمات من اللغتين العبرية والعربية - وأدخلوها في لهجتهم ، ولم يترددوا في أخذ عبارات واصطلاحات من هاتين اللغتين ، ووضع كثير منها في لغتهم .

وإن الكتب التي كتبت بعد ذلك باللهجة السامرية لا قيمة لها من الناحية اللغوية ؛ فإن الكتاب الذين كتبوا هذه الكتب كانوا لا يجيدون اللهجة السامرية ولا يعرفونها إلا نصف معرفة ؛ فقد كانوا يتكلمون العربية لا السامرية .

وتتفق هذه اللهجات الآرامية كلها في أن صيغة الفعل المستقبل - للمفرد الغائب المذكور، وجمع الغائب المذكور، وجمع الغائبة المؤنث - تبدأ بالنون في أوله، بخلاف اللغات السامية الأخرى ، فإنها تبدأ بالياء فيها . وفي تلك اللهجات تنتهي الأسماء بالحرف « آ » للدلالة على التأکید ، ولو أنها كانت تفيد التعريف من قبل . وفي القرن السابع الميلادي قلت انتصارات المسلمين من شأن اللغة الآرامية ، ثم حلت اللغة العربية محلها بالتدريج بعد ذلك ببضعة قرون ، أما المسيحيون في سورية^(١) وفلسطين

(١) قال (ديشاتوبريان) : كان اليونان يفسدون الحروف الهجائية عند النطق بها ؛ إذ كانت آذانهم تنفر من الكلمات الثقيلة ، وتستأنس بالكلمات الرقيقة ، فكانوا إذا نقلوا الأسماء الأجنبية إلى لغتهم لم يلتفتوا إلى طريقة لفظها عند أهلها ، بل نطقوا بها على حسب ما تستحسنه آذانهم ، ويسهل على ألسنتهم . وكان تحريفهم للألفاظ الآرامية والكنعانية في غاية الغرابة ، ولم يقتصر على التبديلات الهجائية ، بل نسخوا نسخاً تاماً كثيراً من الأسماء السامية وخصوصاً في لبنان ، ووضعوا مكانها أسماء جديدة كانت مجهولة في أول أمرها عند سكان البلاد أنفسهم ، ثم أخذوها عن اليونان لما كان لهم من السلطان والنفوذ الواسع ، وبقي أكثرها إلى الآن . وأول من سمي الآراميين بالسوريين اليونان ، وبسبب انتشار لغتهم صار هذا الاسم معروفاً ، واشتهر في العالم كله . ومع أنه كان شائعاً إذ ذاك بين اليونان فإن الآراميين والساميين كانوا يجهلونه ، ولم يوقف له على أثر بين الشعوب الآسيوية في ذلك العهد . إلا أنه بعد انتصار الإسكندر تغلب اسم السورى على الآرامى شيئاً فشيئاً حتى محاه من الوجود .

وفي تعليل هذه التسمية أقوال :

منها أن الأشوريين لما فتحوا بلاد آرام وكنعان امتد اسمهم إلى آخر حدود سلطنتهم ، ثم أرادوا التفريق بين بلادهم آشور (أسورية) الحقيقية وجهات آسية التي فتحوها ، فسموا هذه (سورية) بحذف المقطع الأول ، ولكن هذا التعليل غير مقبول ؛ لأن كلمة آشور ليست مما يقبل التجزئة عند الساميين ، فيجب أن ينسب هذا التغيير إلى اليونان دون غيرهم . ومما يؤيد هذا أن كتابهم في القرون المسيحية لا يفرقون بين سورية وأشورية .

وقيل إن هذه التسمية نسبة إلى (صور) المدينة المعروفة على ساحل لبنان ؛ فقد كانت معروفة =

فكانوا كغيرهم من السكان في ذلك الوقت يتكلمون اللغة العربية ، وبذلك ذهب
أهمية اللهجة الآرامية الفلسطينية في حديثهم . وفي الوقت الذي كانوا يتكلمون فيه
اللغة العربية كانوا يتخذون اللغة السريانية وهي لغة المسيحيين الآخرين في إدسا^(١)
لغة لكتبهم الدينية واللاهوتية . وإن الجهات الوحدة التي لا تزال بها اللهجة الآرامية
الغربية هي بضع قرى في لبنان . وتختلف هذه اللهجة الآرامية الغربية اللغة الآرامية
القديمة كثيراً . وما زال اليهود في نابلس يستعملون اللهجة السامرية في معابدهم
الدينية .

== عند الإغريق ، فسموا هذه الجهة سورية نسبة إليها ، ولم يقولوا (سورية) لأنه لا صاد عندهم ،
ولم يقصدوا به المماسة الصغيرة التي كانت هذه المدينة عاصمة لها ، بل أطلقوه على جميع الجهة الجنوبية
من آسية البحرية ؛ إذ امتد سلطان هذه المدينة على هذه الجهات ، ولما اتسع علمهم بنواحيها الفسيحة
قسموها إلى إقليمين : سورية وفينيقية ، ويطلق هذا أن اليونان أفردوا فينيقية دائماً عن بقية آسية ،
وجعلوا قاعدتها صيدا .

وقال بعض علماء الآثار المصرية إن اسم سورية مشتق من (خار) التي صادفها طموطيمس الأول
عند خروجه من مصر ، ولكن هذا بعيد عن الاحتمال ؛ لأن اسم (خار) لم يعرفه الأسويون قط ،
وإبدال الخاء بالسين والألف بالواو لا يقبله العقل .

ويتضح مما سبق أن أصح الأقوال أن اليونانيين أخذوا اسم سورية من آشور مخففاً ، وأطلقوه
على الجهات المسماة به ، وشاعت هذه التسمية في جميع اللغات باتساع نفوذهم ، وانتشار لغتهم .

(١) ويسمى اليونان إدسا (Edessa) ويسمى السريان أرهي (Orhai) ، وهي مدينة الرها
عند العرب ، وتقع شمالى حران ببلاد العراق ، وبها مدرسة إدسا النسطورية التي اشتهرت
باللهجة السريانية الإديسية ، لهجة التحرير والتأليف ، وإليها ينسب يعقوب الإديسى الذي اشتهر
إبان الإسلام بترجمة الفلاسفة اليونانية إلى السريانية . وقد عاش من سنة ٦٤٠ م إلى سنة ٧٠٨ م .

اللهجات البابلية المندعية

تظهر اللهجة الآرامية - لهجة بابل - من القرن الرابع الميلادي إلى القرن السادس في التلمود البابلي . والتلمود هو مجموعة شرائع اليهود وتفسيراتها . وفي هذا التلمود كما في تلمود أورشليم أو فلسطين قطع بالآرامية والعبرية اختلط بعضها ببعض . وبعد القرن السادس ظهرت في غير بابل - كتابات تنسب إلى طائفة غريبة وهي طائفة المندعيين ، وهم غريبون في مذهبهم الديني ؛ لأنهم بين المسيحيين والوثنيين ، وليسوا بالمسيحيين أو الوثنيين ، ولكنهم يعتنقون ديانة تضم اشتاتا من المسيحية وأخرى من الوثنية . أما من الوجهة اللغوية ، فإنهم لم يتأثروا بسيطرة اللغة العبرية ونفوذها ، ذلك النفوذ الذي يظهر ويمكن أن يلمس في الكتابة الآرامية التي كان يكتبها اليهود والمسيحيون ، فهؤلاء المندعيون كانوا في عزلة ، فلم تؤثر اللغة العبرية في لهجتهم . وضبط الكتابة عندهم أقرب من ضبط كتابة التلمود من حيث النطق الصحيح . وهناك تشابه كبير بين اللهجة المندعية ولهجة التلمود البابلي . وسرعان ما قضت اللغة العربية - لغة المسلمين الفاتحين - على لغة بابل ، كما قضت على لغة سورية . وقد انقرضت اللهجة المندعية تمام الانقراض منذ قرون طويلة مضت .

خواص اللغة الآرامية

كثيرا ما توصف اللغة الآرامية بأنها لغة فقيرة ، ولكن « نُؤلِدِكه » العالم المستشرق الألماني الكبير لا يقبل هذا الرأي ، ولا يوافق عليه ، ولا يأخذ به ؛ فمن الممكن جدا حتى اليوم أن نستخلص مجموعة لغوية كبيرة من الكلمات الآرامية القديمة . ومع هذا فإن الكتب الدينية التي كتبت باللغة الآرامية لم يحفظ فيها إلا جزء من الألفاظ التي كانت مستعملة في تلك اللغة قديما .

حقا إن اللغة الآرامية قد استعارت كثيرا من الكلمات من اللغات الأجنبية التي كانت تتصل بها في العصور القديمة ، في أي ناحية من النواحي اللغوية أو الاقتصادية أو السياسية ؛ فقد استعارت بعض الألفاظ من اللغة الآشورية ، ثم من الفارسية ، والإغريقية ، ولو تجاهلنا هذه الحقيقة وهي : أن كثيرا من المؤلفين السريانيين قد اعتادوا استعمال عدد كبير من الكلمات الإغريقية للزخرفة في اللغة الآرامية ، أو لسهولة استعمالها في الترجمة - لوجدنا أن نسبة الكلمات الأجنبية حقيقة في الكتب الآرامية القديمة أقل كثيرا من نسبة الكلمات اللاتينية المستعملة في اللغة الألمانية أو الهولندية . وإن تأثير اللغة الإغريقية القديمة في قواعد اللغة السريانية وأسلوبها واصطلاحاتها أقل من تأثير اللغة اللاتينية في اللغات الأوروبية الحديثة ؛ فالتركيب اللفظي للتعبير الإغريقي يخالف روح اللغة الآرامية كل المخالفة .
واللغة الآرامية القديمة أفقر من اللغتين العربية والعبرية . وتتفق اللغة الآرامية القديمة مع اللغة السريانية في الحركات والنطق والحروف ، كما تتفق مع اللغة المنذعية ،

مما يدل على أن تلك اللهجات الآرامية والسريانية والمندعية أثرية قديمة في حروفها وحركاتها . وهناك آثار تدل على أن اللغة الآرامية القديمة كان فيها حركات كثيرة ، وعلى أن الآراميين - الذين قاتلهم داود - كانوا ينطقون بحركات كثيرة قد اختفت فيما بعد .

ومن خواص اللغة الآرامية أنها أكثر استعدادا من اللغتين العربية والعبرية لوصل جملها بعضها ببعض ؛ ففيها كثير من جروف العطف ، وكثير من الظروف للتعبير عن أقل التغيرات في المعنى ، وهي حرة غير مقيدة في ترتيب الكلمات . وإن هذه الحرية في اللغة الآرامية تجعل الأسلوب في النثر واضحا جليا ، وهذا أثر من آثار اللغة الإغريقية فيها .

ويبدو من الأسلوب الآرامي - عند التعبير عن شيء من الأشياء - المبالغة والإسهاب والإطناب في الكلام ؛ فكثيرا ما تكرر الضمائر وأسماء الإشارة . ويدعى بعض اللغويين أن الآرامية لغة النثر ، وأن العبرية لغة الشعر . وهو ادعاء يدعو إلى العجب ؛ فقد كان لدى الآراميين عاطفة شعرية ومواهب في الشعر لا تقل عن مواهب العبريين فيه ، ولو أن الشعر الديني للآراميين خال من الروعة والتأثير في نفس القارئ ، وقد استكشف في اللهجات الآرامية الحديثة أغان محبوبة لدى الجمهور ، وهي سهلة مملوءة بالشعور ، يصور فيها الشعراء ما يشعرون به ، فليس بغريب أن نقول : إن اللغة الآرامية في العصور القديمة كانت لا تخلو من قصائد ، فيها روعة الشعر ، وجمال الخيال ، ولكنها انقرضت فنسيت كل النسيان .

اللغة السبئية

كانت هناك مدنية وحضارة قبل الإسلام في الجزء الجنوبي الغربي من بلاد العرب . وقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه المدنات العربية القديمة . وكما زادت معرفتنا ببلاد سبأ قديماً ، والسبئيين وعماراتهم ومبانيهم ، استطعنا أن نفهم نقوشها وآثارها التي كشف عدد كبير منها ، وسهل علينا أن نقدر الجمال القصصى والخرافة القصصية التي كان السبئيون يميلون إليها .

وكان لأهل سبأ نقوش وحروف خاصة بهم ، ظهرت قبل الميلاد المسيحي بمدة ليست بالقصيرة ، واستمرت حتى القرن السادس الميلادي . وقد سمي بعضهم لغة سبأ باللغة الحميرية . ويرى « نولدكه » أن هذه التسمية ليست بصحيحة . وقد لوحظ في أسلوب اللغة السبئية الميل إلى الإيجاز . وتحتوى معظم النقوش السبئية التي عثر عليها حديثاً - أموراً دينية كهنوتية خاصة وضعت بأسلوب الكهنوت . وفيها نرى صيغة التعدية بزيادة (ها) في أول الفعل كما في اللغة العبرية ، وضمير المفرد الغائب المذكور فيها هو هاء مضمومة (هُ) . وهناك لهجة أخرى تعبر عن الفعل المتعدى بزيادة (سا) في أول الفعل وهي تطابق شَفْعَل في اللغتين الآرامية والسريانية .

فاللغة السبئية هي إحدى اللهجات المشهورة للعربية الجنوبية القديمة في الجنوب الغربي من جزيرة العرب . وينسب السبئيون إلى سبأ . وهي مدينة كانت بقرب موقع صنعاء باليمن ، بناها عبد شمس بن يشجب من ملوك حمير . وكانت الحروف السبئية والنقوش السبئية معروفة قبل عصر سيدنا محمد بمدة طويلة .

الفصل الخامس

اللغة السريانية

هي إحدى اللغات السامية الشمالية (العبرية والآرامية والسامرية والوآبية والفينيقية والسريانية) . وأما اللغات السامية الجنوبية فأهمها اللغة العربية ثم الحبشية .

اللغة السريانية في الرها^(١) :

اللغة السريانية هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة الآرامية، بل هي فرع منها، وهي لغة السريانيين القدماء الذين كانوا يقطنون بلاد الشام^(٢) والجزيرة والعراق

(١) الرها في شمال ما بين النهرين : دجلة والفرات ، بين الموصل والشام . وهي باليونانية (Edessa) إدسا ، وبالآرامية أرهوئي ، كانت لها شهرة عظيمة في الحضارة ، وتعد عند النصارى من المدن المقدسة ، فتحها عياض بن غنيم سنة ١٧ هجرية . واسمها الآن (أورفا) وهو اسم تركي ، وفيها جامع ينسب إلى الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٢) يطلق هذا الاسم الآن على بلاد سورية بأكملها . وفي تعليل هذه التسمية أقوال ، أحسنها أنها نسبة إلى سام بن نوح ؛ لأن الشعوب الأولى التي عمرت هذه البلاد كانت على الأرجح من ذريته ، واسمه في العبرانية والسريانية (شام أو شم) .

وبعضهم يخص بهذه التسمية مدينة دمشق ؛ لكونها قاعدة البلاد ، ولأنها كانت مركز الساميين الأول في آسية .

وقيل إن هذه البلاد سميت شاما لأنها تقع على مشأمة القبلة ؛ أي على ميسرتها ، كما سميت اليمن =

وأشور وتسمى لغة الرُّها . وكانت هذه اللغة من أهم اللغات في عصر الإمبراطورية الرومانية من الناحيتين العلمية والأدبية . وفي القرن الثاني من الميلاد قد ترجم إليها التوراة والإنجيل بمساعدة العبريين ، وصارت هذه الترجمة الكتاب المقدس للمسيحيين السريانيين أو الآراميين في آرام .

أما اسم آرام فقد أطلقه الساميون على معظم بلاد لبنان وسورية والعراق (ما بين النهرين) ؛ لأن هذه البلاد كانت من نصيب آرام بن سام وهو آخر أبنائه . وأما اسم (آراميين) فكان يطلق على ذرية آرام إلى القرون الأولى بعد المسيح . وفي الكتاب المقدس يراد ببلاد آرام تلك الجهات الواقعة في الشمال الشرقي من فلسطين إلى ما بين النهرين وأشور . وفي النسختين الإغريقية واللاتينية من الكتاب المقدس قد ترجمت كلمة آرام بكلمة سورية . وقد اتخذ المسيحيون من الآراميين لهجة الرها أو اللهجة السريانية لغة للكنيسة والأدب والكتابة والمحادثة . ومن حيث إن الاسم القديم وهو آرامي ، نسبة إلى آرام ، أصبح يفهم منه في نظر المسيحيين وغيرهم معنى « وثني » ، فتجنبوا للوثنية وتبرؤا منها استعمال المسيحيون كلمة سرياني بدلا من آرامي ، وسريانية بدلا من آرامية . ومن حيث إن اليهود والمسيحيين في فلسطين كانوا قد سموا لغتهم السريانية ، والإغريق والفرس كانوا يسمون الآراميين

== بذلك لأنها على ميمتها ، ولكن هذا التعليل غير وجيه ؛ لأن اسم المين أطلق على تلك البلاد كلها من أول الأمر ، أما الشام فأطلق أولا على مدينة دمشق ، ثم عم بقية أنحاء البلاد . فليس من المعقول أن العرب مع بعدهم عن سورية يسمون إحدى مدنها بمدينة المشامة ؛ لأن هذه المدينة لم تنفرد بهذا الوصف دون بقية البلاد .

والعرب وهم الحريصون على الأسماء والأنساب يرون أن هذه التسمية نسبة إلى سام بن نوح ؛ فقد قال أبو الفداء أمير حماة : « قال ابن سعيد : إن الشام سميت بسام بن نوح ؛ لأن هذا الاسم في السريانية بشين معجمة » .

من أهل بابل سريانيين ، فليس من الصواب إذا أردنا الدقة أن نطلق كلمة « لغة سريانية » على لهجة « الرها » وحدها . ولما كانت لهجة الرها أهم هذه اللهجات كان لها الحق في أن تأخذ هذا اللقب أو هذه التسمية العامة مجازا .

ويرى بعض المؤرخين أن اليونان بما كان لهم من السيطرة والنفوذ قديماً - هم أول من سمي الآراميين بالسريانيين ، وبالتدريج أبطل استعمال هذا الاسم (آرامى) ؛ وذلك لأن اليونان كانوا ينفرون من الكلمة الأولى لثقلها في نظرهم ، ويستأنسون بالثانية لأنها خفيفة على سمعهم ، سهلة على ألسنتهم . ولا غرابة ؛ فإن الإغريق كانوا مولعين بتحريف الأسماء وتغييرها بحسب ما يقتضيه ذوقهم ، وتستحسنه آذانهم في البلاد التابعة لهم .

تغير المعانى بتغير الحركات :

إن أصول الكلمات في اللغة السريانية - كما في اللغات السامية الأخرى - ثلاثة وهى : الفاء والعين واللام ، وأما ما عداها فهو زائد . وبتغير الحركات تتغير المعانى كما في اللغة العربية ، مثل :

(قَرُبُ) : قَرُب .

(قَرِبُ) : قَرَب ، ضَحَّى .

(اقْرُبُ) : حارب ، قاتل .

والصفة (قَرِيفُ) : قريب ، جارٍ .

والاسم (قَرُبَانًا) : ضحية ، هدية . وأيضاً (قَرَأَفًا) : حرب ، موقعة .

والأمثلة على ذلك كثيرة مثل : (سَبَر) : فَكَر ، ظَنَّ . (سَأَفَر) : أعلن ، أخبر . (أَسَبَر) : انتظر ، ترقب . (سَقَرَا) : صبر ، أمل . (سَقَرَتَا) : رسالة ، إعلان .

خواص اللغة السريانية :

تختص اللغة السريانية بما يأتي :

- (١) في صيغة الاستقبال للغائب المذكر يبتدئ الفعل (بالنون) مثل : (نَقْتُول) : سَيَقْتُل . (نَعْبُد) : سَيَفْعَل . (نَدْحَل) : سَيَخَاف .
- (٢) قد صار آخر الاسم (آ) جزءاً تاماً من الكلمة كما في اللهجات البابلية حتى فقدت (آ) معناها كلية وهو التعريف ؛ لأن أداة التعريف كانت (آ) في آخر الاسم ، أما الآن فتجد آخر الأسماء (آ) ولو لم تكن معرفة مثل (كَيْثَا) : أَلَمْ . طَيْبُوثَا : بَرَكَة . وقد حصل بعض الخفاء في اللغة لعدم وجود أداة تعريف بها . أما اللغة العربية ففيها أداة تعريف وهي (آل) ، وأما اللغة العبرية فأداة التعريف فيها (الهاء) .
- (٣) تبدل النون راء في بعض الأسماء مثل بَرَا : ابن ، بَرَتَا : بنت .
- (٤) يفصل بين المضاف والمضاف إليه (بالذال) أحياناً ، وتعد (الدال) حينئذ علامة للإضافة .
- (٥) ليس فيها تضعيف .
- (٦) من أوزان الفعل الشائعة في اللغة السريانية (شَفْعِل) مثل : (شَقْهَر) : بهر ، أضاء . (شَلْهَق) : التهب . (شَعْبِد) : أخضع ، استعبد .
- (٧) ليس في اللغة السريانية مشن ، ولكن المتبع للغة وتراكيبها يجد فيها آثاراً للمشن .

آداب اللغة السريانية

إن آداب اللغة السريانية — إذا استثنينا ما ترجم من اللغات الإغريقية واللاتينية والفارسية — خاصة بالأدب المسيحي . وإن كتابة الوثنيين السريانيين الذين كانوا أحياء حتى القرن الثالث عشر الميلادي يظهر أنها قد اختفت الآن كل الاختفاء . وقد فقدت اللغة السريانية كثيرا من آدابها في العصور المظلمة للديانة المسيحية ؛ وهي تلك العصور الأولى من انتشارها . وكانت اللغة السريانية لغة حية ، كثيرة الانتشار من القرن الرابع إلى القرن الثامن الميلادي . ويقول (نولدكه) المستشرق الألماني الكبير إنها كانت حية من القرن الثالث إلى القرن السابع الميلادي . فكتب بها كثير من الكتب المطولة ، ومعظمها يحتوي أمورا دينية تتعلق بالمسيح ، والدين المسيحي ، وطبيعة المسيح ، والرهبنة ، وحياة الرهبان ، ورسائلهم ومناقشاتهم الدينية والكنيسة وتقاليدها .

وقد عني السريان الذين كانوا خاضعين للإمبراطورية الفرس باللغة السريانية وآدابها عناية كبيرة ، وقاموا بقسط كبير من العمل على ترقيتها ، فكان لها مركز عظيم ، وحلت مكانا كبيرا في عصر ملوك الفرس ، وكانت وسيلة للتهديب والتثقيف والأدب . وفي عهد الإمبراطورية الرومانية في الشرق كانت اللغة السريانية أهم لغة بعد اللغة الإغريقية .

وقد أخذت اللغة السريانية بعد القرن السابع أو الثامن الميلادي تموت بالتدريج بسبب ظهور الدين الإسلامي ، ونهضة اللغة العربية ، وإسلام كثير من المسيحيين

في ذلك الوقت . فالفتوح العربية قد أضعفت مركز اللغة السريانية وغيرته كل التغيير .
وفي أثناء ذلك ظهر - حتى في الرها منبع اللغة السريانية - فرق عظيم ، واختلاف
كبير ، بين لغة الكتابة ولغة المحادثة .

ولقد تبين للسريانيين حوالي سنة ٧٠٠ م أنه قد أصبح من الواجب وضع
قواعد « أجرومية » للغتهم وترتيبها ، وإدخال بعض الوسائل للتعبير بوضوح عن
الحركات السريانية . وقد كان غرضهم الوحيد من ذلك أن تيسر القواعد وضبط
الكلمات بالحركات - قراءة الكتاب المقدس باللغة السريانية قراءة صحيحة .
ولم تكن هناك وسيلة لجعل القراءة صحيحة إلا بالحركات والضبط ، ولا يمكن تصحيح
الشكل إلا بالقواعد . ولكن قد حدث أن النطق الشرقي - نطق النسطوريين -
قد اختلف في كثير من الوجوه عن النطق الغربي نطق اليعقوبيين . وإن اختلف
اللهجات قد أثر بعض التأثير في لغة الأدب ونطقها . هذا وإن الاختلافات الدينية -
التي كانت بين المسيحيين من السريانيين في الشرق ، ومعظمهم من النسطوريين ،
والسريانيين في الغرب ، وهم من الكاثوليكين القائلين باتحاد طبيعتي المسيح
في طبيعة واحدة - قد أدت إلى تشعبات وافترقات بين التقاليد والمذاهب الدينية
المختلفة .

وهناك طريقان مختلفتان في ضبط الكلمات :

(١) الطريقة الشرقية السريانية : وهي نقط توضع فوق الحرف أو تحته

بأشكال مختلفة وتسمى الطريقة النسطورية ، وهي أكثر دقة وضبطاً ، وتتفق
كثيراً مع النطق القديم ، نطق السريانيين القدماء ، وفيها مثلاً (آ) بدلا من
العربية (أ) .

(٢) الطريقة الغربية أو المعقوبية : وتتكون من الحركات الإغريقية ،

وهي أمهل من النسطورية .

وحديثاً قد اختلطت الطريقتان ، وامتزجت كل منهما بالأخرى بوسائل مختلفة .

وكثيراً ما تجد الطريقتين مستعملتين معاً في ضبط اللغة السريانية .

ولم يكتب عن اللغة السريانية وآدابها كتابة مفصلة إلا عدد قليل من العلماء

أمثال (وليم رايت) ^(١) المستشرق الإنجليزي ، و (الدكتور أنطون بومسترك) ^(٢) ،

والعلامة (تيودور نولدكه) ^(٣) المستشرقين الألمانين ، و (رؤينز دوفال) ^(٤)

الفرنسي .

ومع أن اللغة السريانية غنية بأدبياتها لم تجد العناية التي وجدها اللغتان العربية

والعبرية . وهي على أي حال أهم اللغات الآرامية وأغزرها أدباً ^(٥) ؛ فلقد كانت لغة

الأدب والدين في جميع الكنائس ابتداء من فلسطين وسورية إلى بلاد أذربيجان ^(٦)

وفارس . ولقد اعترف (رينان) العالم الفرنسي - حتى قبل ظهور الوثائق التاريخية

السريانية - بأثر اللغة السريانية وآدابها بين علماء الدين والمؤرخين واللغويين

حيث يقول في كتابه : « تاريخ اللغات السامية » : إن الأهمية الكبيرة للغة

السريانية تظهر في علاقتها بالتعليمات الدينية والمسيحية . . . وفي الآثار السريانية

(١) William Wright (٢) Dr. Anton Boumstark

(٣) Theodor Noldeke (٤) Rubens Duval

(٥) وبقيّة فروع الآرامية هي السكلدانية والسامرية والآشورية والعلامية المنسوبة إلى عيلام بن

سام ، وقد بادت الآشورية والعلامية منها .

(٦) أرض واسعة الأرجاء اسمها القديم « أتروپاتان » (Atropatène) وهي بين بلاد الجبال

جنوباً ، وبلاد الكرد غرباً ، والديلم وبحر قزوين شرقاً ، وأرمينية وموقان شمالاً . وكانت بها

الدولة السلارية (٣٣٠ — ٤٢٦ هـ) .

كثير من النصوص الهامة في تاريخ المسيحية في عصورها الأولى . وفي فهارس دور الكتب الأوربية بيان بعدد المخطوطات السريانية في كل مكتبة أوروبية نذكر منها :

- (١) في المتحف البريطاني بلندن ٨٥٠ مخطوط .
- (٢) في جامعة كمبردج ٢١٥ مخطوط .
- (٣) في مكتبة بودلي بأكسفورد ٢٠٥ مخطوط .
- (٤) في دار الكتب الملكية ببرلين ٣٤٠ مخطوط .
- (٥) في الفاتيكان برومة ٥٥٠ مخطوط .
- (٦) في دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٤ مخطوط .

وقد بين العلامة نيسل (Nestle) في كتابه : « الأدب السرياني » ^(١) أهم المباحث في هذه النصوص السريانية وطبعاتها . ومن الكتابات والنقوش التي عثر عليها في بابل ^(٢) ونيينوى حديثا يتضح أثر اللغة السريانية في عشرة قرون من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر في العلوم والآداب والطب والفلسفة والدين ، وبخاصة القسم المترجم من الإغريقية إلى السريانية . ويفخر السريان بأن لغتهم كانت لغة المسيح وأمه ، وأنها لغة الكنيسة ، ولا تزال تستعمل في الكنائس السريانية في لبنان وسورية والعراق وكردستان وبعض جهات الهند ، وأنها كانت لغة علمية تصلح لأن يترجم إليها كثير من الكتب في العلوم المختلفة من الإغريقية واللاتينية والفارسية ،

(١) Litteratura Syriaca

(٢) بابل (Babylone) : مدينة من أقدم مدن العالم القديم وأكبرها ، على الجانب الأيسر من نهر الفرات ، بناها السكلدان ، وهي مدينة النمرود ، وفيها توفي الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ ق. م. وحملت جثته إلى الإسكندرية . وهذه المدينة الآن خراب لا يوجد غير أطلالها .

فكانت من أحسن الوسائل لنشر الآراء الحديثة التي كان يصل إليها اليونان أو الرومان أو الفرس قديماً في عهد حضارتهم الأولى .

وقد كان السريانيون من بابل أول من اشتغل بالرياضيات والفلك وعلم الهيئة . ولهم كثير من التعليقات والشروح على الكتاب المقدس . ولوقيت هذه الشروح لملاّت مكتبة من المكتبات . ومن شرح العهد القديم والعهد الجديد (مَار إفرآيم) المتوفى سنة ٣٧٣ م . وكان شرحه دقيقاً ، وهو أقدم الشروح وأحسنها . ومن شرح جميع الأسفار المقدسة أيضاً (يعقوب الرهاوى) المتوفى سنة ٧٠٨ م . ومن أشهر المؤلفين من السريانيين : (ابن العبري ^(١)) ، ولد سنة ١٢٢٦ م ، ويدعى (أبا الفرج) ، وكان يجيد الإغريقية والسريانية والعربية وهو شاب ، ويميل إلى الفلسفة والعلوم الدينية مع اشتغاله بالطب . وله مؤلفات كثيرة أشهرها : « كنز الأسرار » ، كتبه سنة (١٢٧٧ — ١٢٧٨ م) شرحاً للكتاب المقدس . وبجانب الكتاب المقدس كتب دينية أخرى كثيرة كلها خاصة بالسيد المسيح ، والسيدة مريم العذراء ، ورؤيا القديس بولس ، ورؤيا القديس بطرس ...

وقد كانت الأديار في دجلة والفرات وسورية مملوءة بالرسائل والمباحث الدينية في الموضوعات المختلفة . ومن أشهر علماء الدين من اليعقوبيين يعقوب أسقف سروج فيما بين النهرين (المتوفى سنة ٥٢١ م) ، ويعقوب الرهاوى ، وموسى بن كيثا ، وابن الصليبي ، وابن العبري . ومن أشهر العلماء النسطوريين : حنانيا الحدياني (المتوفى

(١) Bar Hebraeus : ولد في أرمينية ، وهو من أصل يهودي ، ومن أحسن كتبه : « سفر الأخبار » في التاريخ من آدم إلى العصر الذي كان يعيش فيه . ومن كتبه أيضاً « زبدة الحكم »

سنة ٦١٠ م.) وباباى الكبير (المتوفى سنة ٦٢٨) ، وإسحق أسقف نينوى بعد النصف الأول من القرن السابع .
وقد كتب ابن العبرى الكثير عن الكنيسة السريانية الغربية ، كما كتب عبد يشوع أسقف نصيبين^(١) عن الكنيسة السريانية الشرقية . وأعظم المؤلفين فى التاريخ من اليعقوبيين . وقد كتبوا فى التاريخ العام ، وفى تاريخ الكنيسة ، وتاريخ الأدب ، وضاع معظم هذه الكتب التاريخية .

وكان السريان يميلون إلى الحكم ، ومما أحبوه منها حكم فيثاغورس ، ووصايا أفلاطون ، ومباحث سقراط . وترجموا عن الإغريقية بعض العلوم الرياضية والطبيعية . ومما ترجموه علم وظائف الأعضاء (علم الفسيولوجيا) . وقد جمع (روينز دوفال) فى الجزء الثانى من كتاب « تاريخ الكيمياء فى القرون الوسطى » جزءاً من علم الكيمياء (ابرثلوت^(٢)) . وكتب ابن العبرى مبحثاً فى الفلك ، وآخر فى الحساب ، وثالثاً فى العقاقير وهو كتاب (ديوسقوريدس) ، ولا عجب ؛ فقد كان من كبار الأطباء المعروفين إذ ذاك . وكتب أيضاً حنين الطبيب النسطورى شرحاً (للمسائل الطبية) . وكان من أكبر الأطباء لدى الخلفاء فى الدولة العباسية فى القرن التاسع الميلادى . وتوفى حنين المذكور سنة ٨٧٣ ميلادية .

ولنقتبس هنا كلمة للعالم الكبير ، والأديب الشهير المرحوم جورجى زيدان نذكرها مع قليل من التصرف :

« السريان هم البقية الباقية من الكلدانيين أو البابليين القدماء ، الذين كان

(١) نصيبين : من بلاد الجزيرة ، فتحها عياض بن غنيم فى خلافة سيدنا عمر ، وتوفى فيها ابن النبيه الشاعر المصرى المعروف ، وهى على نهر اسمه (هرفاس) من روافد نهر الحابور .

Berthelot (٢)

لهم أثر كبير في المدنية ووضع العلوم ، واختراع المزاول ، ورصد الكواكب ، ووضع أساس علم الطب قبل الميلاد بقرون . ثم دالت دولتهم ، واستولى الفرس على بلادهم ، فذهب علمهم بذهاب حريتهم . وحينما أسست النصرانية ، وانتشردعاتها في البلاد ، وافترقت إلى طوائف ومذاهب كان للسريان حظ كبير في نشر الدعوة للديانة المسيحية ، وكان لهم تأثير عظيم في تاريخ النصرانية

وفي أوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنيسرين^(١) بتعاليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية . وتخرج فيها جماعة كبيرة من السريان ، وفي جملتهم الأسقف (سويرس) ؛ فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة واللاهوت والرياضيات . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها إلى السريانية . ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن . وقد أتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوى واضع علم النحو السرياني . . . ومن تلاميذه (أنثاسيوس جوزجيوس) المعروف بأسقف العرب (٦٨٦ م .) ؛ فقد ترجم بعض كتب أرسطو . واشتغل جماعة آخرون بترجمة كتب أفلاطون وفيثاغورس وغيرها مما يطول شرحه . واشتهرت هناك مدارس أخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلاميذها نحو ثمانمائة ، وكانت تعلم فيها كل العلوم العقلية والنقلية .

أما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على أثر إنشاء بیمارستان جندیسابور^(٢) ،

(١) مدينة ببلاد الشام ، بين حلب ومعرّة النعمان ، فتحيا أبو عبيدة بن الجراح في سنة ١٧ هـ . في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب . وهي وطن كلثوم بن عمرو العتابي ، شاعر البرامكة المشهور .

(٢) مدينة بخوزستان ، بناها سابور بن أردشير من الدولة الساسانية ، في أواسط القرن الثالث للميلاد لأسرى الروم . وكانت فيها مدرسة جليلة ، خرج منها كثير من العلماء والفلاسفة كالبحثيشوع وغيرهم . وكانت من أكبر المراكز العلمية في القرون الوسطى .

واشتهر فيهم من الأطباء كثيرون منهم سرجيس الرأس عيني ، وأتاتوس الآمدى ،
وسمعان الطيبوتى ، والأسقف جر يجر يوس ، والبطريك ثيودوسيوس وغيرهم ممن
أدر كوا الدولة العباسية وخدموها .

وقد نقل أطباء السريان كثيراً من كتب الطب اليونانى إلى السريانية في
أثناء اشتغالهم بنقلها إلى العربية ؛ لأنهم كثيراً ما كانوا ينقلونها إلى السريانية فقط ،
أو إلى السريانية والعربية معاً .

فسرجيس ترجم بعض كتب جالينوس في الطب إلى السريانية ، ثم نقلها في
الإسلام موسى بن خالد إلى العربية (كما في طبقات الأطباء ص ١٨٩ ج ١) . وقد
ألف الطيبوتى في أواخر القرن السابع للميلاد كتاباً في الطب ، وترجم غير كتاب ،
ناهيك بما كان من مؤلفات آل بجيتشوع وآل حنين وغيرهما .

والسريان في النجوم مؤلفات كثيرة ؛ لتسلسل هذا العلم فيهم عن آبائهم
الكلدانين ؛ فإن البرديصانى له كتاب في الفلك لم يصل إلينا غير خبره . وألف
الرأس عيني في تأثير القمر وحركة الشمس . وألف السبكى في صور الأبراج . ومن
ألف في الفلك أيضاً يعقوب الرهاوى ، وداود البيت ربانى ، وموسى بن كيقبا ،
وعمانويل البرشهارى وغيرهم .

واشتغل السريان أيضاً بالكيمياء والحساب والرياضيات ، فضلاً عن اشتغالهم
بلغتهم ، وضبط قواعدها وحركاتها . . . وقد اشتغلوا كثيراً بأداب اللغة اليونانية
وشعرها ، فترجموا الإلياذة إلى لسانهم ، ترجمها (ثيوفيل الرهاوى) سنة ٨٧٥ م . وقد
ضاعت الترجمة ولم يبق منها إلا بيتان . ويقال إن السريان تنبهوا إلى استخدام
الحروف اليونانية مكان الحركات لما أراد ناظم الإلياذة ضبط الأعلام اليونانية فيها ،

وهي غير النقط التي كانت تقوم عندهم مقام الحركات . ولا تزال النقط (الحركات النسطورية) شائعة عند السريان الشرقيين ، والأحرف اليونانية تستعمل عند الغربيين إلى يومنا هذا .

الترجمة إلى السريانية^(١) :

لم يقتصر نشاط السريان منذ عصورهم القديمة على التجارة فحسب ، بل تعداها إلى ميادين العلم والعرفة ، وقد ساعدتهم موقع بلادهم على أن يكونوا حلقة اتصال ثقافي بين الشرق والغرب ، فنقلوا الثقافة الإغريقية الرومانية إلى بلادهم وما جاورها من بلاد العرب وفارس ، وكانوا يذهبون بتجارتهم شرقا وغربا ، ثم يعودون إلى بلادهم بحكمة الفرس ، وعلوم الإغريق ، فالتقت فيها معارف الفرس ، وفلسفة الإغريق . وكان نشاط السريان أول أمره نشاطا دينيا يرمى إلى نشر مبادئ المسيحية بين أبناء جنسهم بلغتهم القومية ، فترجموا أمهات الكتب الدينية من الإغريقية إلى السريانية . وعلى مر الأيام زادت عنايتهم بالترجمة فنقلوا إلى لسانهم الثقافة الإغريقية ، وعنوا بكتب الطب والفلسفة . فلما انقسمت الكنيسة الكاثوليكية ، وظهر المذهب النسطوري سنة ٤٣١ م . ثم المذهب اليعقوبي سنة ٤٥١ م . اشتد نشاط السريان ، وظهر التنافس واضحا بين هذين المذهبين ، فانتشر النسطورية في الشرق ، وكانت لهم مدارس في الرها ، ونصيبين وغيرها ، وانتشروا في بلاد فارس ، وكانت لهم منزلة

(١) من كلمة ثمينة عن الترجمة والمترجمين لصديقنا العالم المحقق ، والباحث الفدير الأستاذ

حامد عبد القادر أستاذ الفلسفة بدار العلوم .

سامية لدى الأكاسرة ، حيث أجزلوا لهم العطاء ، وعهدوا إليهم بتدريس العلوم الطبية والفلسفية في المعاهد الفارسية .

وفي سنة ٥٢٩ م. غضبت الكنيسة على سبعة من زعماء الأفلاطونية الحديثة ، وطردتهم من أثينا ، فدعاهم كسرى أنوشروان إلى بلاده ، ورحب بمقدمهم . وفي سنة ٥٧٩ م. أنشأ بيارستان بجند يسابور ، وكان معظم أساتذته من النساطرة . أما اليعاقبة فقد زاد نفوذهم بالغرب ، حيث كانت مدارسهم بأنطاكية ، ورأس عين ، وقنسرين ، والإسكندرية .

ومنذ القرن الرابع الميلادي نشطت الترجمة ، وكان في طليعة المترجمين « سرجيوس » الرأس عيني . ويروى أنه أول من نقل كتب اليونان إلى السريانية ، ثم ظهر بقنسرين في القرن السابع الميلادي الأسقف « ساويرس » وتلميذه يعقوب الرهاوي (٦٤٠ - ٧٠٨ م) ، و « جورجيوس » الملقب بأسقف العرب ٦٨٦ م . وقد اهتموا أول الأمر بنقل منطق أرسطو وترجمة العبارات الأدبية ، والمبادئ الصوفية ، والحكم السياسية والاجتماعية المأثورة عن رجال الفيشاغورية والأفلاطونية الحديثة ، ثم عنوا بالعلوم الطبيعية ، وما وراء الطبيعة ، وشغفوا بمؤلفات فيثاغورس ، وسقراط ، وأفلاطون ، وبلوتارك .

وكانت ترجمتهم للمنطق ، والعلوم الطبيعية دقيقة مضبوطة ، أما ترجمتهم للفلسفة الميتامادية فكان يكتنفها شيء من الغموض واللبس والتحريف الذي دعت إليه العاطفة الدينية .

الترجمة إلى العربية :

بقيت اللغة السريانية أداة لنشر الثقافة الإغريقية في الشرق والغرب ، وظلت الترجمة من الإغريقية إلى السريانية على نشاطها السالف حتى جاء الإسلام ، وساد الشعور بأن السريانية أصلح اللغات الشرقية للتعبير عن المعاني الفلسفية والعلمية . ولكن لم يلبث هذا الزعم أن تبدد أيام الدولة الأموية حيث أخذت العربية تراحم السريانية في ميدان العلم ، وتبرهن على استعدادها لتكون لغة علم وفلسفة وسياسة ، بمد أن ظهرت كفايتها في ميدان الآداب والدين . ومع هذا لم يترجم إليها في تلك الفترة إلا بعض رسائل في الكيمياء ، ترجمها خالد بن يزيد بن معاوية سنة ٧٠٤ م . وكذا بعض حكم ورسائل ووصايا دينية وشذرات من تاريخ الفلسفة .

فلما جاءت الدولة العباسية ، بدأ المنصور عصر الترجمة الحقيقي ، وكان أول مشجع في الدولة العربية على النهوض العلمي بما أجزله من العطاء للترجمين ، ومن أشهرهم عبد الله بن المقفع ، ونوبخت ، وابنه سهل ، وجرجيس الكبير رئيس البيمارستان بجنديسابور في عهد المنصور .

وقد بلغت الترجمة شأوا عظيما في عهد الرشيد ، ووصلت الغاية القصوى في عصر المأمون ، الذي يعد العصر الذهبي للترجمة حقا ؛ فقد أنشأ دار الحكمة ، وشجع طائفة من أطباء السريان على رأسهم يحيى بن البطريق ، وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام ، وحبيش بن الأعمش الدمشقي سنة ٣٠٠ هـ . وحنين بن إسحق سنة ٢٦٢ هـ ، وابنه إسحق بن حنين اللذان عرفا بالنبوغ في الفارسية واليونانية والسريانية والعربية ، كما عرفا بالدقة في الترجمة . وجل هؤلاء كانوا في القرن التاسع الميلادي ،

أما القرن العاشر فأشهر مترجميه أبو علي عيسى بن إسحق ، والسكندى ، ومتى بن يونس ،
وثابت بن قرة سنة ٣١١ هـ .

ولم تكن الترجمة مقصورة على علوم اليونان وحدها ، بل شملت المعارف الفارسية ،
والحكمة الهندية ؛ فترجم إلى اللغة العربية معظم ما كان شائعاً من العلم ، والطب ،
والفلسفة ، والأدب ، والفلك ، ونقل إليها عن كل أمة أحسن ما لديها من نتائج
العقول ، وثمار المعرفة ، وبذلك غنيت العربية بثروة قيمة كانت نواة صالحة أثمرت
ثمريها ، وآتت أكلها ، واستفاد منها المسلمون وغيرهم حتى الآن .

المترجمون من السريانيين والفلسفة :

لم يكن هؤلاء المترجمون من السريانيين نقلة وقفوا عند حد النقل ، وإنما كانوا
أصحاب جهود موفقة في الشرح والتحليل ، والاستنباط ، والموازنة والترجيح ؛ بل كان
لبعضهم آراء خاصة في بعض الموضوعات الفلسفية ، كقسطن بن لوقا الذى وضع رسالة في
التفرقة بين النفس والروح ، ذهب فيها إلى أن الروح كائن مادي لطيف ، يحتمل
التجويف الأيسر من القلب ، وهو سبب الحياة والإحساس والحركة في الإنسان ،
وأن النفس ليست مادية لقبولها الصور المتضادة ، وإنما هي جوهر روحاني بسيط ،
لا يتغير ولا يفنى .

ومع ذلك لم يكن لأحد من المترجمين مذهب فلسفي مبتكر ؛ إذ أنهم كانوا
مسيحيين غالباً ، منعهم عقيدتهم الدينية وكنيستهم من التفرغ للدراسات الفلسفية ،
والتعمق في مباحثها ، أضف إلى ذلك أن معظمهم وجه عنايته للطب ، وعنى به من
الناحيتين العلمية والعملية ، كما شغفوا بخدمة الخلفاء ، وملازمة مجالسهم ، وانصرفوا

إلى الترجمة أو الإشراف عليها . كل أولئك مما حال دون نبوغهم في الفلسفة والوصول فيها إلى حد الابتكار ، ووضع المذاهب الجديدة .

وإن تاريخ الفلسفة ليذكر هؤلاء المترجمين بالتجلة والتبجيل ؛ لما كان منهم من دقة في الترجمة ، وأمانة في النقل ، وما استفادته اللغة العربية من هذه الكتب المترجمة ؛ فقد وثبت بفضل هذه الحركة الوثبة الثانية بعد النهضة الأولى التي نهضتها بعد نزول القرآن ، حيث دخل فيها الكثير من المعاني الاصطلاحية ، والعبارات العلمية ، واتسع صدرها لكثير من الألفاظ الأجنبية ، بعد أن صقلت بما يلائم قواعد اللغة العربية .

واتسعت مادتها اللغوية بما نقله إليها هؤلاء المترجمون من أمهات الكتب اليونانية وغيرها في المنطق والفلسفة والطب ، والرياضة ، والفلك التي وضعها أفلاطون ، وأرسطو ، وفرغوريوس ، وبقرط ، وجالينوس ، وأرشميدس ، وأقليدس ، وبطليموس . وبذلك صارت اللغة العربية لغة الحكمة ، والكتابة والتأليف ، وصار أهلها ذوي بحث وتفكير .

وقد أثرت هذه الترجمات في الحياة العقلية العربية تأثيرا سريعا فعلا ؛ فلم ينقض القرن الثالث الهجري حتى استيقظت العقلية العربية ، وأقبل المسلمون على الدراسات الفلسفية إقبالا عظيما ، وظهر من المسلمين كثير من فحول الفلاسفة ؛ في مقدمتهم : يعقوب بن إسحق الكندي ، وأبو نصر الفارابي ، والرئيس ابن سينا ، وإخوان الصفا . كما أثرت في العلوم والمباحث الإسلامية نفسها ، فاصطبغت بالصبغة الفلسفية ، وظهر علم الكلام ، وفيه حاول المتكلمون وضع العقائد الإسلامية على أسس

منطقية ، والدفاع عنها بوسائل فلسفية ، حتى يقرعوا الحججة بحجة مثلها ، والدليل بدليل من نوعه . ومن أشهر هؤلاء حجة الإسلام الغزالي . ولم تلبث الفلسفة أن شقت طريقها إلى الفقه الإسلامي ، فطبق الفقهاء قوانين الاستقراء والقياس والتعليل في استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة ، كما امتدت إلى التصوف الإسلامي فغيرت اتجاهه .

على أن الأدب العربي في العصر العباسي لم يخل من التأثر بالفلسفة ؛ يتجلى ذلك فيما كتب ابن المقفع والجاحظ ، وما نظم المتنبي ، وأبو العلاء المعري .

وخلاصة القول أن العالم الإسلامي كان يموج بالفلسفة في عصر الإسلام الذهبي ، وأن المراكز الثقافية الإسلامية كانت حينئذ مراتع خصبة للدراسات الفلسفية . وأن الفلسفة ازدهرت أيما ازدهار منذ منتصف القرن الثالث الهجري تقريبا . وبخاصة أيام المأمون والمعتصم والواثق (١٩٨ - ٢٣٢ هـ) . وفي عهد المتوكل أخذت الفلسفة في التدهور في الشرق ، لاتصالها بفكرة الإلحاد والزندقة عند الكثير من المتدينين . وظلت الفلسفة في ضعف مستمر إلى أن قضى عليها القضاء الأخير في الشرق ، باستيلاء التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وإسراف (هولاكو) زعيمهم في قتل العلماء ، وتدمير دور الكتب ، وإلقاء محتوياتها في نهر دجلة . وبذلك انتهت مأساة الفلسفة في المشرق .

وبينما كان نجم الفلسفة آخذا في الأفول في آسية إذا به يظهر ، ويصعد في مصر ، وبلاد المغرب والأندلس التي كانت كعبة الفلاسفة الغربيين ؛ فقد ظهر في مصر ابن الهيثم في القرن الخامس الهجري . وفي بلاد المغرب والأندلس ظهر ابن باجة ، وابن

طفيل في القرن السادس، كما ظهر ابن رشد حامل لواء الفلسفة والعلم في أوروبا الغربية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، وناشر فلسفة أرسطو: وكانت الفلسفة الإسلامية مرجع المتفلسفين الأوروبيين في القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى.

ولما بدأت النهضة الحديثة واتجهت الأنظار إلى الآداب القديمة في أوروبا، ونادى المصلحون بوجوب إحيائها، والرجوع إلى مصادرها الأصلية، أقبل المتفلسفون على دراسة الكتب اليونانية نفسها، وأخذوا يوازنون بين هذه الأصول وترجماتها التي نقلها العرب إليهم، فظهر لهم أن أساطين الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وضعوا كتباً شارحة لمذهبهم، ونسبوها زوراً إلى بعض الفلاسفة المتقدمين وبخاصة أرسطو، مثال ذلك:

(١) كتاب «الربوبية» وضعه (فلوطين)، وعزاه إلى أرسطو، وضمنه آراءه الخاصة بالإله، والنفس، والعقل، والمعرفة بالمشاهدة، والكائنات الروحانية المجردة، وغير هذه من الآراء التصوفية التي ليست من آراء أرسطو في شيء. وقد ترجم هذا الكتاب ابن ناعمة الحمصي حوالي سنة ٢٢٦ هـ، ثم راجعه الكندي، وكانت له آراء بارزة في الفلسفة الإسلامية عامة، وفلسفة التصوف بوجه خاص.

وفي هذا الكتاب يقول (فلوطين) بلسان أرسطو: «إن أفلاطون الإلهي هو المثل الأعلى للنوع الإنساني، الذي يدرك الأشياء بإلهام من المعرفة بدون حاجة إلى أي قانون من القوانين المنطقية». ويقول: «في مركز النفس الأصلي هو وسط الكون العام، والإله من فوقها، والطبيعة من تحتها، والعقل يحملها من جوار ربها، ويقرها في المادة، فتبقى في الجسم إلى أجل معين، ثم تصعد ثانية إلى مكانها الأول.

فحياة النفس تشمل الأدوار الثلاثة . والعقل هو الأصل ، وهو الكل ، والكل فيه واحد . والنفس عقل أيضا ما دامت بعيدة عن الجسم ، وعقل نسبي مدة وجودها فيه باعتبار ما كانت ، وما ستؤول إليه « أى بقوة الأمل ، أو بصورة الشوق » . لأنها وهى فى سجنها للمادى تصبو إلى فوق ، إلى المحل الأرفع الذى لا يدرك ، ولا ينعت ، فتحيا حياتها الأولى ، حياة الغبطة والنور .

وإنك لترى هذه الآراء واضحة فى قصيدة ابن سينا فى النفس حيث يقول :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهى ذات تفجع
تبكى إذا ذكرت ديارا بالجمى بمدامع تهيمى ، ولمّا تقطع
إذ عاقها الشّرك الكفيف وصدّها قفص عن الأوج الفسيح المربع
حتى إذا قرب المسير إلى الجمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف التّرب غير مُشيّع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يُدرك بالعيون الهجّع

(٢) رسالة فى « الأسباب والعلل » وضعها (ردقلس) ، وعزاها إلى أرسطو أيضا .

(٣) كتاب « التفاحة » وهو من الكتب التى وضعها رجال الأفلاطونية الحديثة ؛

وفيه يزعم واضعه زورا أن أرسطو قال لبعض تلاميذه - وقد أتوا لزيارته قبيل وفاته - :

« كما أن نتيجة العلم إدراك الحقيقة (الفضيلة) كذلك نتيجة الجهل الوقوع فى الجهالة

« الرذيلة » . وليس من شىء فى الأرض ولا السماء سوى العلم والجهل ، ونتيجة

كل منهما . فليست الفضيلة شيئا سوى العلم ، وليست الرذيلة إلا الجهل ؛ فالعلم

والفضيلة ، أو الجهل والرذيلة ، كلماء والتلج ، حقيقتهما واحدة ، وصورتها متعددة .

وإن النفس لتجد في المعرفة التي هي الحقيقة الإلهية ، سعادتها الحقة ، لا في الأكل والشرب ، وبقية الملاذ المادية ؛ لأن هذه الملاذ كشعلة نارية تضيء زمناً ثم تنطفئ . أما الحرارة الثابتة والضوء المستمر فيحدثان فقط عن النفس المفكرة التي تبحث عن خلاصها من عالم الشهادة ؛ ولهذا لا يخشى الفيلسوف الموت ، بل يتقبله بالراحة إليه ، والسرور منه إذا دعاه الرب إلى جواره . وإن اللذة التي يحصل عليها الحكيم بمعارفه المحدودة من هذه الحياة الدنيا لبرهان قاطع على الغبطة الكبرى التي سينالها بتحرير نفسه من سجنها المادي ، وبوصولها إلى مقام الشهود . وإن الفيلسوف ليعرف ذلك بمعرفة نفسه ؛ فمن عرف نفسه في هذه الحياة ، وصل بهذه المعرفة إلى إدراك جميع الأشياء بعلم خالد ؛ أي بنفس أبدية ، لا يدركها الفناء .

هذه آراء الأفلاطونية الحديثة ، أراد أصحابها ترويحها ، فأذاعوها في الناس باسم المعلم الأول .

وللسبب نفسه وضع بعض متأخري هذه المدرسة كتباً ورسائل أخرى عزوها إلى متقدمي الفلاسفة مثل طاليس ، وأنا كسيمندر ، وأمبدقليس ، وفيثاغورس ، وسقراط ، وكلها كتب زائفة تعزو إلى هؤلاء الفلاسفة آراء ليست كأرائهم الحقيقية التي وصل إلى معرفتها الباحثون المحدثون .

وهذا كله مما يدعونا إلى القول بأن المذاهب الفلسفية اليونانية لم تصل إلى العرب صحيحة منسوبة إلى أصحابها الحقيقيين ، وإنما وصلت إليهم مختلطة مشوهة مضطربة ، ولا يبعد مع ذلك أن تكون أيدي المترجمين المسيحيين قد امتدت إلى الفلسفة اليونانية التي وقعت عليها أنظارهم ، فغيروا فيها وبدلوا ؛ لتكون الترجمة متفقة مع عقائدهم الدينية .

ويؤيد ذلك أن الاضطراب والتشويه اللذين ظهرا في الفلسفة ، كانا مقصورين على الفلسفة الإلهية : أما الطب ، والفلك ، والمنطق ، والطبيعات ، والرياضيات ، والأخلاقيات ، والسياسيات ، فقد وصلت إلينا في الغالب صحيحة ، مطابقة لأصولها اليونانية ، منسوبة إلى أصحابها الحقيقيين ؛ إذ لم يكن هناك داع إلى التغيير فيها أو التبديل .

قضاء اللغة العربية على اللغة السريانية

لقد قضت اللغة العربية على اللغة السريانية بعد الفتوح العربية الإسلامية ، وسرعان ما ابتدأت تحل محل اللغة السريانية فقللت استعمالها . ولا يعرفها الآن إلا علماء الدين ، واللاهوت من المسيحيين في أقطار العالم ، واللغويون من المستشرقين . ولقد أخطأ (رينان) الفرنسي في قوله : « إن أدب اللغة السريانية غير شائق » . وكل ما يمكننا أن نقوله هو أن السريانيين ليس لهم تاريخ خالد ، ولم يبرزوا في الحروب أو العلوم ، أو الفنون ، ولكنهم كانوا أحسن المترجمين . وكانت تنقصهم شجاعة العرب وعلومهم ، ومثابرة العبريين ، وغيرتهم العلمية .

وإننا لا ننكر أن السريانيين قد اكتسبوا كثيراً من اليونان باندماجهم فيهم ، ومعرفتهم لغتهم ، فأظهروا شيئاً كثيراً من علوم اليونان وفلسفتهم وحضارتهم في كتبهم ، وأضافوا إليه قليلاً من عندهم ، ولم يكن لديهم مثلاً أمثال الفارابي ، والغزالي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن العربي ، وابن خلدون ، في الرها ، أو في ديورة قنسرين أو نصيبين . وينسب إلى السريانيين أنهم قد نقلوا كثيراً من حضارة اليونان وعلومهم إلى اللغة العربية .

وقد يجد أدب اللغة السريانية كثيراً من الرغبة والشوق في نفس الأديب ،
والمؤرخ الحديث ، أو العالم المستشرق ، أو العالم الديني .
وأهم الكتب الدينية في الأدب السرياني الكتاب المقدس : العهد القديم ،
والعهد الجديد . وبجانب الكتاب المقدس كثير من الكتب السريانية المحفوظة
في مكتبة دار الآثار البريطانية بلندن وغيرها من دور الكتب الأوروبية . وهذه
الكتب المكتوبة باللغة السريانية تحتوي شروحاً للكتاب المقدس ، ومواعظ
وإرشادات ، وأشعاراً دينية أو ترنيمات عن أى موضوع من الموضوعات الدينية المختلفة .
ولقد كتب أيضاً باللغة السريانية كثير من الكتب التاريخية ، والكتب التي
تبحث عن حياة الشهداء والرهبان والقديسين ، وعلماء الكنيسة ورجال الدين ،
والرسائل التي كانت تدور بينهم ، والمسائل الدينية التي كانوا يبحثون عنها
ويتناقشون فيها .
وفي أوائل القرن الحادي عشر قد كتب (إلياس برشناية) « مطران » نصيبين
كتبه التي كتبها للمسيحيين خاصة ، تارة باللغة العربية وحدها ، وتارة باللغتين العربية
والسريانية معاً . ولكنه في كتابته بالسريانية كان يخلط بين لغة المحادثة واللغة
العلمية وهي لغة الكتابة .
وعلى هذا قد صار من الضروري وضع معاجم لشرح الكلمات الغريبة ؛
معاجم سريانية عربية ، تشرح فيها الكلمات السريانية بالعربية التي
حلت محلها .
ولا تزال اللغة السريانية تستعمل في الوقت الحاضر لأغراض أدبية أو دينية في
الكنائس السريانية . وربما نجد الآن من يتحدث بها في بعض الديورة أو المعاهد

الدينية . لكنها تعد لغة ممتدة منذ زمن طويل . ولا يعرف بالضبط الوقت الذي أصبحت فيه اللغة السريانية منقرضة عديمة الأثر في الرها وما يجاورها .

ولقد كان للسريان نحو خمسين مدرسة فيما بين النهرين تعلم فيها العلوم المختلفة باللغتين السريانية والإغريقية . وكانت سورية غنية بمدارسها السريانية وديورتها التي كان يعلم فيها الدين للطلبة في معظم بلاد سورية ؛ وذلك بقراءة الكتب المقدسة المكتوبة بالإغريقية والسريانية مع الشرح . ومن هذه المدارس أو المعاهد المعهد العظيم الذي كان في الرها ؛ ذلك المعهد الذي أبيد من أجل نزعاته النسطورية في سنة ٤٨٩ ميلادية . وفي هذا المعهد (معهد الروها) أخذ السريان يشتغلون في القرن الخامس الميلادي بفلسفة «أرسطو» ، وقد نقلوا هذه الفلسفة الإغريقية إلى السريانية ، ونقلوا علم المنطق كذلك في أواسط القرن المذكور . وكان في كل معهد مدرسون دينيون لتعليم الطلبة القراءة والمطالعة والإلقاء والنطق وضبط الحروف بالحركات أو النقط قبل لحاقهم بقسم التخصص بالدين ، حيث يجدون كبار أساتذة الشريعة والدين . فكانوا يجمعون أصعب الكلمات والعبارات التي كانوا يعثرون عليها في الكتاب المقدس ، ثم يرتبونها بحسب الحروف الأبجدية في كتب أو مذكرات للقراءة والبحث ، يبينون فيها بوساطة الشكل والحركة طريقة النطق بوضوح .

وعلى أي حال لا نستطيع أن ننكر ما كان لدى السريان من العلوم الدينية المسيحية ، ومن العلوم الفلسفية التي نقلوها عن اليونان ، فقد تعلموا منهم الفلسفة والطب وكل العلوم ، كما تعلمها الرومان من قبلهم ، والمسلمون من بعدهم .

وكان السريان ينصرفون إلى الاشتغال بالعلوم كلما طمأنوا من مظالم الفاتحين ، ومنهم من شرح الكتب اليونانية ، ومنهم من لخصها ، ومنهم من ترجم للعباسيين

العلوم المختلفة ، ومعظمهم من النساطرة ، وهم أذكىاء نشيطون . ولقد أتم (سرجيوس الرأس عيني) الطبيب السرياني المعروف دراسة المنطق . وبالمتحف البريطاني بلندن نسخ مخطوطة من ترجمته لإيساغوجي في المنطق من اليونانية إلى السريانية . وترجم حنين (المتوفى سنة ٨٧٣ م) علم البيان لأرسطو إلى السريانية .

اعتناق المسيحيين السريانيين

الدين الإسلامي

في المدة التي بين سنة ٦٣٣ وسنة ٦٣٦ ميلادية انتصر المسلمون وفتحوا سورية . فاعتنقت الدويلات العربية الصغيرة - من لخم وتغلب وغسان وكذا القبائل المتجولة في دجلة والفرات - الدين الإسلامي ، وهزم الفرس في بلادهم ، وصارت تلك البلاد بلاداً إسلامية ، فأسلم السريانيون منهم ، وحاول الروم أن يخلصوا سورية من المسلمين فلم ينجحوا ، وقد كان لانتصار المسلمين وانتشار اللغة العربية ونهضتها أكبر أثر في إضعاف مركز اللغة السريانية كما قلنا ؛ فقد ابتدأت اللغة السريانية تضعف بحلول اللغة العربية محلها ، واحتلالها مكانها في البلاد التي كانت اللغة السريانية منتشرة فيها ، فكلما كانت اللغة العربية تتقدم كانت السريانية تتأخر حتى كادت تختصر . ونهضة الأدب الإسلامي - وهو الأدب العربي - انحط الأدب المسيحي ، وهو الأدب السرياني . ومنذ ذلك الوقت شعر المسيحيون من السريانيين بالحاجة إلى تأليف كتب قواعد ومعاجم في اللغة السريانية القديمة ، وكتابة القراءة الصحيحة والنطق الصحيح للكلمات التي في الكتاب المقدس والكتب الأخرى ، حتى تحفظ اللغة ، ويحفظ الدين ، ولا يصعب فهم المعنى .

اللغة السريانية الحديثة

إن اللهجات الآرامية والسريانية لا تزال حية في بعض الأقاليم كالجبال المعروفة بطور عابدين « Tur Abdin » في بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) ، وفي جهات معينة في شرق الموصل وشمالها ، وكذا في الجبال المجاورة لكرديستان . وفي الشاطئ الغربي من بحيرة أرمية^(١) تجدد المسيحيين هناك يتكلمون اللهجات السريانية الحديثة . وبعض هذه اللهجات معروفة بدقة إلى حد ما .

وتختلف لهجة طور عابدين كثيراً عن كل اللهجات الأخرى . وأهم اللهجات لهجة أرمية التي كون منها المبشرون من الأمريكيين لغة علمية أدبية حديثة . ولقد قام مجمع رومة المختص بنشر مذاهب « البابا » بطبع كتب بلهجتين من لهجات اللغة السريانية الحديثة . وهذه اللهجات تظهر لنا أن هناك تغييراً تاماً ، واختلافاً كبيراً بين اللغة السريانية القديمة واللهجات الحديثة ؛ فمثلاً قد اختلفت الصيغ القديمة للأفعال تقريباً ، ووضع مكانها صيغ جديدة مأخوذة من صيغة المضارع الحالي . وفي لهجة « طور عابدين » قد اخترعت « أداة تعريف » ، وفي لهجة أرمية حدثت اختصارات كثيرة بحذف بعض الأحرف اختصاراً ، وإدغام الحروف بعضها في بعض ، وحدثت تغيرات صوتية في النطق . كل هذه الأمور قد أكتسبت بعض هذه اللهجات - وبخاصة لهجة أرمية - رقة في اللفظ ، وحسناً في الصوت .

(١) أرمية : قال ياقوت في معجم البلدان جزء ١ ص ٢٠٢ ، « وأرمية : اسم مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان ، بينها وبين البحيرة نحو ثلاثة أميال أو أربعة وهي فيما يزعمون مدينة زرادشت نبي المجوس ... رأيتها في سنة ٦١٧ م . وهي مدينة حسنة كثيرة الخيرات ، واسعة الفواكه والبساتين ، صحية الهواء ، كثيرة الماء » .
وقال في جزء ٢ ص ٧٨ : « بحيرة أرمية : بحيرة مرة منتنة الرائحة لا يعيش فيها حيوان ولا سمك ولا غيره . وفي وسطها جبل يقال له كبوزان ، وجزيرة فيها أربع قرى أو نحو ذلك ... ويخرج منها ملح يشبه التوتيا » .

اللغة السريانية وما فيها من الدخيل

كان السريان في الغالب يستطيعون أن يتكلموا لغة أجنبية على الأقل من لغات جيرانهم . وكثيرا ما كانوا يستعيرون أو يتبنون الكلمات الأجنبية المزخرفة ، ويستعملونها في لغتهم ، حتى صار في اللغة السريانية كثير من الدخيل ؛ فقد استعاروا كلمات من العرب والكرد والفرس واليونان ؛ ولذلك تجد فيها كثيراً من الكلمات الأجنبية .

الخطوط السريانية

تكتب اللغة السريانية من اليمين إلى اليسار بكتابة اللغات السامية . أما الخطوط السريانية فثلاثة :

(١) الخط الإسترانجيلي .

(٢) الخط النسطوري .

(٣) الخط اليعقوبي .

أما الخط الإسترانجيلي فهو أقدم الخطوط ، وكان يستعمل قديماً في نسخ الكتب الدينية ، ولا يزال يستعمل في أوروبا في طبع الكتب القديمة التي لا يراد شكلها وضبطها . وأما النسطوري فيلبي الإسترانجيلي في القدم ، وهو أصغر الخطوط كتابة ، ويضبط بالحركات السريانية ، وهي نقط تكتب فوق الحرف أو تحته . وكان يستعمله المسيحيون من النسطوريين نسبة إلى نسطور (بطريك) القسطنطينية (من أبريل سنة ٤٢٨ ميلادية إلى وقت إدانته سنة ٤٣١) . وفي المصباح : النسطورية بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في

زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وهو بالرومية نسطورس . ونسطور هذا كان من جرمانس^(١) ؛ وهى مدينة فى شمال سورية . عرف بالفصاحة وغيرته الدينية . وله نظرية خاصة بالمسيح وأمه ، اتهم من أجلها تهمة هدد فيها بالعزل إن لم يسحب نظريته . ولكنه تمسك برأيه ، وكانت النتيجة عزله . ولا يزال المسيحيون فى كردستان نسطوريين ؛ ويبلغ عددهم نحو ٧٠٠٠٠ نفس ، ويتكلمون اللغة الآرامية القديمة . ويسكن بعضهم بلاد الهند الجنوبية ، ويعرفون بالمسيحيين السريانيين . وتسمى الكتابة النسطورية فى الهند الكتابة الكلدانية ، وتعرف فى أوروبا بالنسطورية .

وأما الخط اليعقوبى فهو أكثر الخطوط السريانية شيوعاً . وكان يستعمله (الأرثوذكس) من المسيحيين فى الإمبراطورية الرومانية . ويسمى فى الهند الخط المارونى . وهناك فروق صغيرة بين اللهجتين : اليعقوبية والمارونية فى القواعد والنطق .

والمارونيون طائفة من المسيحيين فى لبنان ، ينسبون إلى راهب يدعى (مارو أو مارون) كان يعيش فى القرن الخامس الميلادى . ويستعمل القسس المارونيون اللغة السريانية القديمة فى عباداتهم ، ويبلغ عددهم نحو ٢٥٠٠٠٠ نسمة ، ويسكن معظمهم لبنان . وهناك عداوة كبيرة بين المارونيين والدروز المجاورين لهم .

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان جزء ٣ ص ٨٨ : جرمانا : بالفتح ، وبين الألفين نون : من نواحي غوطة دمشق . وجرمانس : بزيادة السين عوضاً من الألف الأخيرة . ذكرها الحافظ أبو القاسم ، من قرى الغوطة .

الفصل السادس

العرب

العرب قوم رحل موطنهم الأصلي شبه جزيرة العرب ، وتحد غربا بالبحر الأحمر وجزء من الشام ، وجنوبا بالمحيط الهندي ، وشرقا بالمحيط الهندي والخليج الفارسي والعراق العربي ، وشمالا بالجزيرة وجزء من الشام وفلسطين .

وتنقسم جزيرة العرب خمسة أقسام : وهي اليمن وتهامة والحجاز ونجد واليمامة . وقد أخذ اسم العرب من الإعراب وهو البيان . واختص العرب بالفصاحة ، وانطلقت ألسنتهم بالبيان الرائع . ويقابل اسم العرب العجم - من العجمة - وهم من عدا العرب ، فيقال عَرَبٌ وعَرَبٌ كما يقال عَجَمٌ وعَجَمٌ . والعرب جمع مفردة عربي ، ويسمى أهل البادية منهم الأعراب ، والواحد أعرابي ، وترادف كلمة عرب كلمة بادية أو بَوَادٍ ، فلا يبعد أن تكون تسميتهم عربا من إطلاق اسم الخل على الحال . ويؤيد ذلك ما قيل من أن أولاد إسماعيل عليه السلام نشئوا بعربة أو عربات وهي ساحة في أرض تهامة ، ثم انتقلوا إلى الحجاز^(١) .

وقد اختلف العلماء في أصل القبائل التي تسكن الآن شبه جزيرة العرب .

(١) المعروف أن إسماعيل نشأ بمكة وأصهر إلى جرهم .

ويرى جميع المؤرخين من العرب أن القبائل الأصلية في بلاد العرب الشمالية من سلالة إسماعيل ، أما العرب في الجنوب الذين سكنوا الأراضي الجبلية عدة قرون قبل ظهور أبناء إسماعيل على مسرح التاريخ ، فيعتقد بعض العلماء أنهم من سلالة قحطان .

فلا ريب في أنهم من الساميين كأهل الشمال . ويظن آخرون أن السكان الأولين لبلاد العرب الجنوبية كانوا قاشيين أو حاميين . ويعتقد بعض المستشرقين من الألمان أن أبناء قحطان قد امتزجوا بأبناء قاش أيام العرب القدماء ، وكونوا شعبا واحدا .

ولا يشمل أبناء إسماعيل الذرية المباشرة له ، أي الاثني عشر أميرا الذين ذكروا في سفر التكوين ، في الآية السادسة عشرة من الإصحاح الخامس والعشرين ، ولكنهم يشملون أبناء إيدوم ، وأبناء موآب ، وأبناء أمون ، وأبناء مدين ، وقبائل أخرى من أصل واحد . وقد كتبت المعاجم التي شرحت العهد القديم كثيرا عن أبناء إسماعيل ومساكنهم وآثارهم .

وقد ادعى العرب أنفسهم أن قبائل الشمال من ذرية إبراهيم عليه السلام . ويثبت التعصب أو البغض الجنسي القديم بين أهل اليمن وأهل معد - نظرية وجود شعبين مختلفين يسكنان شبه جزيرة العرب من قديم الزمان . ولا يزال الشعبان مختلفين حتى اليوم مع اتحادهما في اللغة والدين . وإنما لا نفهم سبب العداوة والحقد بين أهل اليمن وأهل معد ، ولكنها عداوة ثابتة لا تقهر . ويشبه بعضهم هذه العداوة بمادتين كيميائيتين تنفجران في الحال حينما تمس إحداهما الأخرى . ولهذا وجد دائما أن من المستحيل على اليمنيين أن يعيشوا في هدوء مع أهل معد ، وحتى في العصور الحديثة

يكره أهل اليمن القرييون من بيت المقدس أهل معد سكان حبرون . وحينما يسألون عن سبب تلك الكراهة القديمة لا يجدون لديهم جواباً أكثر من أنهم كرهوهم من قديم الزمان .

وقد حدث أن دمرت مملكة دمشق بحرب مهلكة استمرت سنتين ؛ لأن معدّياً أخذ فاكهة من حديقة ليمنى . وقد غمرت مدينة مُرسية في الأندلس بالدم سبع سنوات ؛ لأن معدّياً قطف سهواً ورقة كرم ليمنى .

وقد سئل يمنىّ بالقرب من الكعبة : لقد دعوت لأبيك ، فلماذا لاتدعوا لأمك؟ فأجاب اليمنى : لأمى !! كيف أدعو لها وقد كانت من معد؟ ولا ندرى لماذا اختارها أبوه زوجها له .

وقد أسس اليمينيون قديماً مملكة حمير ؛ تلك المملكة القوية التي استفاضت شهرتها في التاريخ . وكان أهل اليمن من مهرة الملاحين في البحار الشرقية ، وعلى حظ في الصناعة والتجارة . وكانت لهم لغة كتابة كشفت في العصر الحاضر في بلاد العرب الجنوبية . وكان العرب من أهل معدّ (أبناء إسماعيل) أكثر تبديداً في عاداتهم وأخلاقهم ، يرأسون القوافل التجارية العظيمة التي تضرب في آفاق البر من عدن إلى مصر ، ومن بابل إلى تدمر ودمشق ، ومن وادى رمّة ونجد إلى العاصمة القديمة للحميريين وهي مأرب .

وقد كانت الطرق البرية التي تسلكها تلك القوافل أهم الخطوط التجارية قديماً . وقد وجدت هذه القوافل شبه جزيرة العرب ؛ فأهل الشمال من العرب تأثروا بمدينة أهل الجنوب ، واتخذ أهل الجنوب منهم لغة أهل الشمال . استمر الحال هكذا حتى وجدت سفينة الصحراء - وهي الجمل - منافساً قويا لها في سفن

البحر، فتأخرت تجارة القوافل، واضمحلت نهائيا، وحل الفقر بتلك البيوت العربية التي أثرت من وراء هذه القوافل التجارية، وفقدت المدن العربية القديمة التي كانت تعد مصرا كز لتلك التجارة أهميتها، وضاعت شهرتها، وتقوضت أركان العمران فيها. ويبدو لنا أن الشعب العربي قد تكوّن قبل ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم بمدة ليست بالقصيرة.

ويقسّم العرب المحدثون أنفسهم قسمين : أهل البدو ، وأهل الحضر . أو بعبارة أخرى : أهل الخيام ، وأهل الحيطان . ولكن هذا التقسيم لا يكفي . وقد قسّمهم « إديسون . ل . كـلارك » في كتابه « العرب والترك » خمس طبقات ، مبتدئا بالدرجة الأولى من السلم هكذا :

١ — العرب الذين استقروا وصاروا يشتغلون بالزراعة ، ولو أن كثيرا منهم لا يزالون يسكنون الخيام . وقد حرمت هذه الطبقة من العرب حقوقها الوطنية ، واحتقرهم إخوانهم البدو ؛ لتغيير طريقتهم وأسلوبهم في المعيشة والحياة .

٢ — القبائل الرحالة التي تجول حول البلاد المسكونة ، ويختلطون بسكانها ، وقد فقدوا كثيرا من أخلاقهم العربية .

٣ — الطبقة الثالثة طبقة العرب الذين يسكنون المدن والقرى التركية ، وقد أضاعوا لغتهم ، ونسوا أخلاقهم العربية .

٤ — الطبقة الرابعة سكان المدن والقرى من بلاد العرب خاصة ، وقد صاروا في عزلة عن بقية العالم .

٥ — القبائل البدوية العظيمة التي تسكن بلاد العرب ، ولا تزال محافظة على الأخلاق العربية ، والعادات البدوية ، والملابس والنظم التي ورثوها عن

آبائهم الأولين . ولا شك أن الطبقة الأخيرة من العرب تمثل البدو الحقيقيين في كل ناحية من النواحي .

وقد قسم المؤرخون العرب قسمين : بائدة وباقية . ومن العرب البائدة : عاد : ومساكنهم الأحقاف باليمن .

وثمود : ومساكنهم الحجر في جهة عمان ومدائن صالح بين الحجاز والشام .

وأثيم : ومساكنهم بادية أبار بين عمان والأحقاف .

وعميل : ومساكنهم يثرب ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وطسم وجديس : ومساكنهم اليمامة .

والعائلة : ومساكنهم عمان والحجاز وتهامة ، وبعض نجد وتيما ، وتبراء

وفلسطين . وهم القوم الجبارون الذين تهيبهم قوم موسى ؛ إذ قالوا له : « يا موسى :

إن فيها قوما جبارين . وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . » ومنهم جالوت وقد قص

علينا القرآن قصته ، وكيف انتهى أمره بقتل داود عليه السلام له .

وجرهم : ومسكنهم باليمن ، ومن بقاياهم قوم هاجروا إلى مكة ، وهم أصهار

إسماعيل عليه السلام ، ثم بادوا مع من بادوا من العرب الأولين .

ووبار : ومسكنهم اليمن في وبار المسماة باسمهم ، وقد هلكوا أيضا .

والعرب الباقية أولاد قحطان وأولاد عدنان .

وتنقسم العرب أيضا قسمين باعتبار آخر وهم العرب العاربة أو العرباء ، والعرب

المتعربة أو المستعربة .

فالعرب العاربة هم العرب البائدة أولاد قحطان ، سمو بذلك لأنهم عرب

صرحاء خالص ، ليس فيهم شائبة الدخيل ، ولفظ عاربة أو عرباء تأكيد ، كما يقال :

ليل لائل ، وداهية دهياء .

والعرب المتعربة أو المستعربة هم أولاد إسماعيل عليه السلام ؛ لأن إسماعيل عبراني الأصل ، فهو ابن إبراهيم أبي الأنبياء الذي نشأ في بلاد السكدان ، ولما هاجر إبراهيم ومعه ابنه إسماعيل إلى أرض الحجاز ، بقي إسماعيل هناك ، ثم تزوج من قبيلة جرهم العربية وهي قبيلة يمانية ، وتعلم لسان جرهم ، ومنه نسل عرب الشمال وهم العدنانيون .

وهناك تقسيم عام للعرب يتعلق بسلسلة الأنساب . وليس في العالم من يولع بعلم الأنساب كالعرب . وتتصل أسماء القبائل العربية في كثير من الأحوال بسلسلة تصلهم بالعرب في العصر الجاهلي . ولهذا تجد أسماء القبائل الأولى مأخوذة من اسم حيوان أو شيء في الطبيعة كقبيلة نمر ، وكلاب ، وضب ، وأنمار كلاب ، وذئاب ، وفهر ، أو مأخوذة من اسم مكان ثم حولت فيما بعد إلى أسماء أجداد كحضر موت ، أو من أسماء الأصنام وعبادتهم كعبد القيس وعبد اللات .

أخلاق العرب وصفاتهم

يختلف الناس باختلاف البيئة التي يعيشون فيها ، فأهل القرى يختلفون عن أهل المدن ، وسكان الصحراء يخالفون سكان السواحل في أخلاقهم ومناقبهم . وقد عرف البدو من العرب بالشجاعة ، وأكرموا كل شجاع ، ومن شجعانهم عمرو بن معديكرب ، وعنترة بن شداد العبسي ، وعلى بن أبي طالب ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن الزبير .

واشتهرت نساء العرب بالشجاعة أيضاً ، ومنهن عمرة بنت علقمة الحارثية التي رفعت لواء قریش في غزوة أحد ، والخنساء أخت صخر وغيرها من النساء . وقد

كانت المرأة العربية تصحب الرجال في ساحة القتال ، فتداوى الجرحى ، وتحمل الماء في القرب .

ومن مناقبهم التي لا ينكرها أحد الجود والكرم ، وأشهر كرمائهم حاتم الطائي ، وهرم بن سنان ، وكعب بن أمية الأيادي ، وخالد بن عبد الله .

وقد ضرب بهم المثل في الوفاء ، وعزة النفس ، وحب الحرية ، وإغاثة الضعيف ، وحى الجار ، والفروسية ، والأخذ بالثأر .

عرف العرب بإباء الضيم ، والتفاخر بالآباء والأجداد ، وكثرة الرحيل ، واتقاء العار - فقد كان العربي يؤد بفتاة مخافة العار - والحفاظة على الأنساب فلا يدخلون فيها دخيلاً . وإذا تزوج أحدهم امرأة غير عربية ، وولد له منها ولد سمي ذلك الولد هجيناً ؛ أى قبيحاً من الهجنة وهى القبح . وإذا تزوجت المرأة العربية رجلاً غير عربي سمي ابنها مُقْرِفاً . والإفراف أشد قبحاً من الهجنة . وقد كانوا يحترمون الأشهر الحرم وهى أربعة : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم . فكان العربي منهم يقابل قاتل أخيه أو أبيه فى تلك الأشهر ، وهو يبحث عنه ليأخذ بثأره ، فيغمض عنه الطرف ، ولا يتعرض له بسوء .

وقد عرفوا بالفصاحة والصراحة ، والنجدة والصبر ، وحب الحرية ، ومعاقرة الخمر . والقصة التالية إن صحت كانت دليلاً على حبهم للخمر ، حباً جعلهم يؤثرونها على سداية البيت ؛ فقد باع أبو غبشان المسلكانى مفاتيح الكعبة لقصى بن كلاب بزق من الخمر وهو سكران ، فانتقلت بسبب ذلك سداية الكعبة من قبيلة خزاعة إلى قبيلة قريش ، وفى هذا يقول الشاعر :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بزق خمر فبئست صفقة البادى
باعت ساداتها بالنزر وانصرفت عن المقام وظل البيت والنادى
وتختلف أخلاق البدو من العرب عن أخلاق أهل الحضرة منهم ؛ فالبدوى متأثر
ببيئته ، ففيه الجفاء والقوة بخلاف الحضري الذى تأدب بأداب المدن . وقد تأثر
سكان الجزء الشرقى من بلاد العرب بالفرس فى خطابتهم وطعامهم وملبسهم ، كما
تأثروا بهم فى هندسة المباني . وكان لأفكار بلاد الهند الشرقية أثر فى بلاد العرب
الجنوبية ، وبخاصة حضرموت ؛ للصلات التجارية التى كانت بينهما .

والعرب من الناحية الجسمية من أقوى شعوب العالم . قال « البارون دى لارى »
أحد قواد نابليون الأول : « إن العرب من الناحية الجسمية أقوى من الأوروبيين .
وحواسهم قوية حادة ، وليسوا بالطوال ولا بالقصار ، وهم أقوىاء الأجسام ، صورتهم
ظريفة ، ولونهم أسمر ، أذكاء العقول ، ويفوقون غيرهم فى كثير من الأمور » .
والوجه العربى بيضى الشكل مستدير ، وتبدو النحافة على العرب ، حواجبهم
كثثة ، عيونهم صغيرة سوداء أو عسلية ، حادة البصر ، والوجه يعبر نصفه عن الوقار ،
والنصف الآخر يعبر عن الدهاء والشفقة ، ولو أنه لا يتقسم . وأسنانهم بيضاء ،
وصورتهم تمثل الرجولة ، وعضلاتهم قوية . ويعرف شبان البدو بحسن المنظر ، وسواد
الشعر . وفى سن الأربعين يبدو الشيب فى لحاهم . وفى سن الخمسين يظهر عليهم
كبر السن .

ويميل العرب إلى (الأرستقراطية) . وقد يكثر النزاع بينهم حول أفضلية قبيلة
على أخرى ، ولا يسمح بالزواج إلا بين قبائل أو عشائر من طبقة متساوية ، ويخضع
العرب عادة لأحكام رؤساء القبائل ، ولا يحتمل العربى أن يسبقه رجل أقل منه
حسباً .

والعربي جندي بطبيعته، مولع بالتفصيلات، محب للأمر العقلية، كثير الانفعال، محافظ على التقاليد العربية، يمجّد الماضي، ويتأثر بالتقديم الخالد، يميل بفطرته إلى الخطابة القوية المؤثرة الموجزة، ويغلو أحياناً في الإطناب والتكرار والزخرفة والإيجاز الشديد خاصة من خواص الصحراء، أما الإطناب فمن خواص أهل المدن. والعربي مولع بالخط الجميل، ميل إلى الفنون الجميلة. وفي هذا ما يدل على أن له ذوقاً فنياً جميلاً، وأن من السهل أن يكون حفاًراً أو مصوراً أو رساماً.

والعربي معروف بالأدب، وكرم الخلق، والنشاط، والرجولة، وحب الفخر، والوفاء بالوعد، ويغلب عليه الخيال، ويميل نفسه في الدفاع عن العرض. لا يهاجم بالليل. وهو يجتهد في تجنب سفك الدم حينما يغلب على أمره. وللضيف عندهم حرمة، وللبجار عهد يجب الوفاء به. وهو أمين. يمكنك أن تثق به إذا عاهدك. والشعر العربي في العصر الجاهلي مظهر لحياة العرب، ومراة صادقة لأخلاقهم، ترى فيها الشرائع العربية التي منها: الفروسية والبسالة، والشرف والشهامة، والوفاء في الحب.

وكان لدى العرب القدماء قانون بأن من يسفك دم رجل فهو مدين بدمه لأسرة القتيل. ويعد قانون الأخذ بالتأثر مقدساً في كل مكان ببلاد العرب. ويكون العربي ضيقاً إذا قبل الدية وتنازل عن حقه.

ويسكن العرب في الخيام في شمال بلاد العرب، والأكواخ في جنوبها، والمنازل في البلاد والمدن. وتحتوي الخيمة تسعة أعمدة، وترتب ثلاثة ثلاثة. وتغطي بغطاء من شعر المعز الأسود بحيث تكون قسمين: أحدهما في الجهة اليسرى من الدخول وهو للرجال، والآخر في الجهة اليمنى وهو للنساء. ويبلغ ارتفاع العمود

خمس أقدام أو أكثر ، وطول الخيمة يختلف من عشرين قدماً إلى ثلاثين ، وتؤثث بسجاجيد ، وبها أوعية للطبخ ، وسروج للنخيل ، وقرب للمياه ، وأكياس للقمح ، ورحى لطحن الحبوب .

وتبنى الأكواخ من شجر النخيل ، وتغطي بمحصر من الخوص توضع فوقها لحفظها من العواصف والأمطار .

وتختلف البيوت في بلاد العرب في بنائها وهندستها وجمالها ؛ ففي اليمن مبان شاهقة كالحصون لكثرة الحجارة ، وجمال هندسة المباني ، ولأنها كانت مهد حضارة قديمة شيدها الحميريون ، وارتقى فيها فن البناء .

وينتشر البناء الفارسي ذو الأقواس والأبراج والشرف في بغداد والبصرة ، وبلاد العرب الشرقية .

وتبنى البيوت في مكة والمدينة بشكل نظام خاص يلائم حاجات الحجاج ، وتحلو الحيطان من الزخرفة والصور ، ويبنى سور عالٍ على السطح حتى لا ترى النساء .

ويلبس العربي جلباباً فوقه عباءة ، ويضع فوق رأسه عقلاً ، وفي وسطه حزاماً . ويحمل الأسلحة ، ويستعمل الخف أو الخذاء . وتلبس المرأة جلباباً واسعاً من القطن أسود اللون ، وفوق رأسها غطاء ، وتستعمل الوشم على يدها ووجهها ، ومن أدوات زينتها الحناء والأثمد (الكحل) .

وكانت العرب في الجاهلية مختلفة المثل والنحل ؛ فكان بعضهم يعبد الأصنام ، وأشهرها سواع ، ويعوث ، ويعوق ، ونسر ، واللات والعزى ، ومناة . وبعضهم يدين بدين الصابئة ، وبعضهم ينكر الإله والبعث ، ويقول : « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر » . ويعترف بعضهم بالإله ، وينكروا بعضهم ،

وهم الذين نعى عليهم الله بقوله : « أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ » . ومنهم مَنْ تدين بدين اليهود أو النصرانية ، وحينما ظهر الدين الإسلامى أسلم أهل شبه جزيرة العرب جميعاً .

ويميل العرب بفطرتهم إلى الموسيقى والغناء قبل الإسلام وبعده . وكان الشعر والغناء قديماً يتصلان بعضهما ببعض كل الاتصال . وقد اعتاد الشاعر من الشعراء أن يلقى شعره أو يغنى أغانيه ، أو ينشد أناشيده في مجالس المساء ، وفي الأسواق العامة والأعياد ، وبخاصة سوق عكاظ ، حيث تقرأ المعلقات السبع ، وكانت تكتب بالذهب ، وتعلق في أستار الكعبة . ولم يخلف العرب الجاهليون شيئاً من فن الموسيقى يدل على اشتغالهم بهذا العلم ، على الرغم مما خلفوه من ثروة عظيمة في اللغة والأدب . والربابة عند العربى كالزمار عند الأسكتلندى . وكثيراً ما ينفخ الرعاة في المزامير ، وتستعمل الطبلية في أفراح الزواج والختان ، ولا يسمع الإنسان في الصحراء كلها إلا الربابة . يقول عنتر بن شداد : « إن غناء العرب كدوى الذباب حينما يكثر التمر في الأسواق » . وقد عاش عنتر في عصر الجاهلية ، وربما يقصد بالغناء تلك الأغاني التى يغنيها حداة الإبل . ويعد الغناء العربى والنغمات الطويلة غريبة في نظر الأوروبي . والموسيقى العربية جميلة في نظر قليل من الغربيين . وليس عند عرب الصحراء من الأغاني سوى أغاني الحب أو الحرب .

وللبدو قراءة خاصة بهم تسمى الأثر ، وعلامة خاصة تسمى الوشم . وكل بدوى يستطيع أن يقرأ علم الأثر ، ويكتب قراءة وشمه ولو كان جاهلاً أو أمياً .

والبدوى مولع بعلم الأثر ، وهو علم الخطوات ، مثله في ذلك مثل الهنود الحمر في أمريكا ، وهو يستطيع أن يحكم على آثار أقدام الإنسان أو الحيوان على الرمل ، ويمكنه أن يعرف آثار أقدام الصديق من العدو ، وآثار القبيلة أو العشيرة . ومن

طابع القدم الذي يتركه الجمل في الرمل يمكنه أن يميز إن كان يحمل ثقلاً أو لا ،
أو كان سليماً أو أعرج . ويعرف من أثر قدم الرجل أن كان ذلك أمس أم منذ
أسبوع مضى ؟ وفي قدرته أن يحكم إن كان الطابع منتظماً أو غير منتظم ، أو كان
السائر متعباً أو غير متعب . وإذا كان طابع القدمين الأماميتين للجمل أعموق من
طابع قدميه الخلفيتين عرف أن الحيوان ضعيف الصدر . ومن البعر يعرف ضيعة
مرعى الجمل ، والمكان الذي أتت منه . وقد يتبع البدوي آثار الجمل أياماً إذا
سرق ، ليهتدي إلى الموضع الذي توارت فيه .

ولمعرفة ملكية الحيوان الذي يمتلكه البدوي يوسم بعلامة خاصة من علامات
القبائل أو سمات العرب ، وهي علامات تجارية لإظهار الملكية وحقيقتها ، وشخصيتها .
ويقول (دوتي) : « إنها كثيراً ما تشبه الحروف الحميرية ، وربما تكون قد أتت من
الين » . ولكل قبيلة وسم خاص بماشيئها . ولا يكتفى البدو بوضع سمات على الماشية ،
بل يضعون علامات على صخور قرب الآبار أو المراعى التي يفضلونها . وتعد هذه
العلامات سجلاً أو دليلاً يدل على أن قبيلة معينة قد حلت بها ، وشغلها من قبل .
ولكل قبيلة من القبائل الشهيرة سمتان أو ثلاث سمات مختلفة .

ولا يمتنع البدوي أن يستشير طبيباً إذا وجد الفرصة سانحة أمامه . والمفروض أن الطبيب يجب أن يعرف المرض وعلاجه بمجرد النظر . ويكثر مرض الكبد والحمى ، والطحال والحصوة ، والحصبة والجدرى بين العرب . ويستعمل الكي لديهم لكل نوع من أنواع المرض ، كما يستعمل الفصد علاجاً لمعظم الأمراض . ومن الأدوية المنزلية في البلاد العربية النعناع والكزبرة والقرفة والزعفران والقطرون وقشر الرمان ، والخل ، وشراب التمر . وكان الحلاق في قديم الزمان يعد طبيب أسنان ، وهو الذي يكوى ويفصد بعدد وآلات ربما كانت تستعمل في القرون الأولى من غير رأفة أو شفقة ، ولكنه ، يستعملها بمهارة فائقة . وتعالج جروح الضرب بالرصاص بلزقات من البلح والبصل والتمر الهندي . وهناك خرافات كثيرة لا علاقة لها بشفاء المريض أو علاجه .

فضل العرب :

أقبل ابن المقفع^(١) على جماعة من أشرف العرب فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام ثم قال : لومتم إلى نيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ، فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذي تطلبونه لم تفلتموه . ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه ، فقبلنا وملنا . فلما استقر بنا المكان قال لنا : أي الأمم أعقل ؟

فنظر بعضنا إلى بعض . فقلنا : لعله أراد أصله من فارس . فقلنا : فارس . فقال :

(١) ارجع إلى كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للسيد محمود شكرى الألوسى البغدادى

ليسوا بذلك ، إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماء من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبت فيهم عقْد الأمر ، فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم فى نفوسهم .

قلنا : فالروم ! قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين ! قال : أصحاب ترفه . قلنا : فالهند ! قال : أصحاب فلسفة . قلنا : الخزر ! قال : بقر سائمة . قلنا : فقل . قال : العرب . قال : فضحكنا .

قال : أما أنى ما أردت موافقتكم ، ولكن إذ فاتنى حظى من النسبة فلا يفوتنى حظى من المعرفة . إن العرب أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشئ بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم همهم ، وأعلتهم قلوبهم وألستهم ، فلم يزل حباء الله فيهم ، وحبائهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال سبحانه : « إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » . فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ، ودفع الحق باللسان أكتب للجنان .

الحياة العربية

إن أحسن وسيلة لمعرفة حياة الأسرة العربية النظر إلى حياة طفل في الصحراء ، وإلى مركز النساء بين البدو وسكان المدن . ولا يحتفل الفقراء من العرب بولادة الأطفال ؛ لفقرهم ومعيشتهم في أرض قحلة ، ولا يعيش من الأطفال إلا الطفل القوي السليم . ولا عجب إذا قلنا إن هذه الأشياء وهي الفقر والمعيشة في الصحراء وقانون البقاء للأصلح أثرت في الأمم العربية كل التأثير ، ففي الخلاء في الصحراء تحت ظل شجرة السنط أو خلف الجمل يرى الطفل العربي نور النهار . وقد تلد هذه الأم طفلها وهي ترعى الغنم ، فتمسح الطفل بنفسها ، وتنظفه وتضعه في ملاءتها ، ثم تحمله إلى خيمتها ، ولا ترضعه إلا مدة قصيرة . وكثيراً ما يشرب لبن الجمل بوفرة . وإذا بلغ الرضيع من العمر أربعة أشهر سمى اسماً يؤخذ من أى حادثة تتعلق بولادته ، أو من أى شيء يستميل خيال الأم . ومع أن له اسماً خاصاً ينادى الطفل من البدء باسم أبيه أو قبيلته . وكثيراً ما ينادى متصلاً بأخته فيقال : يا أخانورة ، ويا أخاليلي . وتسمى البنات عادة بأسماء النجوم أو الطيور أو حيوانات الصحراء ، فيقال : يازهرة وياغزال ويا قر .

الطفل العربي

وفي التربية العربية يترك الطفل للطبيعة ؛ فهو ابن الطبيعة حقاً ، يتركه أبواه لنفسه تحت تأثير عوامل الطبيعة في الصحراء معتمداً على نفسه ؛ فهو يربي منذ ولادته تربية استقلالية في تلك المدرسة القاسية ؛ مدرسة الحياة البدوية ؛ كي يتعود احتمال

الأخطار والآلام . يقول بيروك هارديت : « لقد رأيت جماعات من أولاد العرب يلعبون وقت الظهيرة على رمل محرق في منتصف الصيف ، ويجرون حتى يشعروا بالتعب . وحينما يرجعون إلى خيام آبائهم يوبخون ويزجرون على عدم استمرارهم في اللعب والتريينات البدنية » .

ويلعب الأطفال معاً ذكوراً وإناثاً ، حتى يبلغوا من العمر ست سنوات . ويعودون الاحتراس من الغريب ، كما يؤخذون بضروب من الشجاعة مدة الطفولة . وإذا بلغ الطفل من العمر سبع سنوات أقيم له عيد يحتفل فيه بختانه في يوم خاص ، تذبح فيه الذبائح ، وتعد الولائم ، وتغنى النساء ، ويتسابق الشبان والرجال بالخيول ، ويتبارزون بالرماح ، وتزين البنات أنفسهن بزينات ليست بالغالية ، وتجمل أعمدة الخيمة بريش النعام ، ويعد اليوم يوم عيد وفرح عند الجميع .

ولأطفال البدو لعب قليلة ، لكنهم يستطيعون أن يدخلوا السرور على أنفسهم بكثير من الألعاب . وقد يتخذون من الجراد لعبة ، فيأتي الواحد منهم بالجرادة ، ويربط رجلها بخيط طويل ويطيرها في الهواء . ويتعاملون الفروسية وركوب الخيل ، ويتخذون من قرون المعز أو الغنم آلات موسيقية ، ويعودون في اليمن ونجد استعمال المقلاع مع الحصا . وهذا هو السلاح الأول للصبي ، ثم يقتنى لنفسه رحاً أو سكيناً قديماً . ولمعيشتهم في الصحراء لا يجدون وسيلة لتعلم القراءة والكتابة ، أما كتبهم فهي الطبيعة ، وهي كتاب جميل ، مملوء بصور بديعة ، زينتها قدرة الخالق ، لا يقدرها إلا تلك العيون السوداء العربية التي تلاحظ الغنم في مراعيها ، وتعد النجوم في لياليها ، في أثناء الرعي نهاراً ، والرحيل على الجمال ليلاً .

والشباب البدوى وإن كان لا يستطيع أن يقرأ رسالة يمكنه أن يقرأ وجوه الرجال ، ويعرف الصحراء معرفة حقة . وكثيراً ما يسمع وهو جالس حول النار ، أو حول خيمة شيخ العرب ليلاً أحاديث الشجاعة والبطولة والفروسية والحكمة ، وفلسفة الحياة ، وعدم الاكتراث للدهر ، والتحلى بالصبر ، والثقة بأن لكل شيء خاتمة جميلة .

والطفل البدوى يودع حياة الطفولة مبكراً ، ويبدو في نظر الغربيين رجلاً صغيراً ، وتبدو الطفلة امرأة صغيرة . وإذا بلغ الولد من العمر عشر سنوات تولى الذكر رعى الجمال ، والأنثى رعى الغنم .

ويبكر العرب في الزواج . وقد يتزوج الشاب وعمره لم يتجاوز خمس عشرة سنة ، ويلبس لباس الرجال ، ويفخر بأنه صار بعلاً . وقد تتزوج البنت وهى صغيرة لا تتجاوز الثانية عشرة من العمر ، وتشتغل بغزل وبر الجمال ، وتغنى أغاني الماضى ، وتنتهى حياة الطفولة المحدودة ، وتبدأ حياة الرجولة أو الأمومة . وبقدر السهولة فى احتفال الزواج عند البدو تكثر العناية بالأفراح عند العرب من أهل الحضر . وبعد المفاوضات التى تسبق عقد الزواج يأتى العروس بخروف بين ذراعيه إلى خيمة آل الفتاة ، وهناك يذبح الخروف أمام الحاضرين ، فإذا ما سال الدم على الأرض ختم العقد ، وبدأ الفرح والمرح ، والرقص والغناء ، وتقاد العروس ليلاً إلى خيمة عروسها حيث يكون منتظراً وصولها .

ومهور العرائس فى المدن أكثر منها فى البدو . ويعد طلب نقود لزواج عروس معيباً فاضحاً عند قبائل معينة من العرب . ويجد نساء البدو الحرية والعدالة أكثر من نساء المدن .

وإذا نظرنا إلى تاريخ العرب وجدنا أن للعرب فضلا كبيرا على الحضارة والمدنية،
والعلم والأدب ، وخاصة بعد الإسلام .

وإن نظرة واحدة إلى آراء ابن خلدون والغزالي والفارابي والسكندی وابن العربي
وغيرهم في التربية والتعليم والثقافة تدلنا على ما كان لهم من فضل عظيم في دوائر المعرفة،
من دين وفلسفة ، وعلم وأدب .

ويظن العربي أن المرأة سبعة أرواح ، وأنها تميل بطبعها إلى الشر . ويندر
ضرب البدوي لزوجته . فإذا ضربها استغاثت بوصيها أو حميها ، فيحضر ويهدي
زوجها ، ويعيده إلى عقله وتفكيره . وتقوم المرأة العربية بجميع الأعمال المنزلية ؛
فهى التى تطحن القمح على الرحى ، وتعد الطعام ، وتخبز الخبز ، وتصنع الزبد ،
وتحضر الماء ، وتغزل الصوف والوبر والشعر ، وتعمل فى النول ، وتصلح الخيمة إذا
خلقت ، ولا تسأم العمل ، فى حين يجلس زوجها أو أخوها أمام الخيمة يدخن
أو يشرب القهوة .

والمرأة البدوية جميلة مستبشرة ، وفيه ، كريمة الخلق ، مخلصه فى عملها ، معاونة
لزوجها ، تقوم بواجبات شاقة فى العمل بخيمتها وخارجها . وتعيش فى جهة منعزلة عن
الرجال . وفى الصباح تخرج لجمع الحطب والوقود ، وليس لها سلطان على زوجها . وفى
خيمة النساء يقوم شيخ القبيلة بحل المشاكل وتقرير الأمور .

التربية عند العرب :

إن من يطلع على ما كتبه الفارابي والغزالي وابن سينا وابن خلدون ، وابن رشد،
وابن مسكويه ، وابن المقفع ، ومحي الدين بن العربي ، وإخوان الصفا لا يستطيع

أن ينكر أن العرب عنوا بتربية أطفالهم تربية طبيعية ، تربية جسمية وعقلية ، تربية خلقية ووجدانية ، تربية حربية ، تربية وطنية كلها استقلال وحرية ، وأن العرب كان لهم أكبر الأثر في الحضارة والمدنية . وليس في استطاعتنا أن نوفى هذا الموضوع حقه في هذا الكتاب . ونرجو من الله العلى القدير أن يوفقنا لخدمة العروبة ؛ حتى نكتب كتابا مستقلا ، عن التربية عند العرب ، وأثر العرب في العلوم والمعارف والحضارة التي نراها اليوم ؛ كي نقوم بواجبنا نحو الشرق الذى أنكر الغرب فضله ، ونحى ماضينا الجيد ، وحضارتنا الخالدة ، ونستعيد عصر المنصور والمأمون والرشيد ، وعظمة بغداد وقرطبة والقاهرة .

أثر العرب فى الرياضيات والعلوم :

لقد كان للعرب أثر كبير فى العلوم والرياضيات والفلك ، فى الوقت الذى كان فيه الغرب والغربيون بعيدين كل البعد عنها ، فقد أهدى الشرق إلى الغرب كنوزاً علمية ، هى سر الحضارة الأوروبية اليوم . ولا ننكر أن العرب قد أخذوا من اليونان بعض النظريات العلمية ، ودرسوها دراسة عميقة ، وفهموها فهماً جيداً ، ثم أضافوا إليها كثيراً من النظريات الحديثة ، والبحوث الجديدة .

وفى استطاعتنا أن نقرر أن العرب قد قدموا للعلم أكبر خدمة ؛ فللعرب ما أثر فى الحساب والهندسة والجبر ، والفلك والمثلثات والشعر . ومن علمائهم : محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المأمون ، وله أثر كبير فى الفلك والرياضيات وعلم الجبر . وهو أول من انتفع بعلم الجبر ، وألف فيه .

وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته أن أول من كتب فى الجبر أبو عبد الله

الخوارزمي ، وبعده كامل شجاع بن أسلم^(١) . فالخوارزمي عالم عربي ابتكر كثيراً ، وكان له أكبر الأثر في الرياضة والفلك .

ولا يمكننا أن ننسى ابن سينا^(٢) في الطب والفلسفة ، والكندي فيلسوف الإسلام ، والحسن بن الهيثم ، وأحمد أبو حنيفة الدينوري^(٣) ، وثابت بن قرة^(٤) ، وكان يحسن اللغات العبرية والسريانية واليونانية . وهل نستطيع أن ننكر أثر عمر الخيام^(٥) في الرياضيات والفلك والفلسفة والشعر ؟

وقد ذكر ابن خلكان أن فخر الدين الرازي فريد عصره ، ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل^(٦) .

ويجب على كل عربي إحياء ما تركه علماء العرب وأدباؤهم من ذخائر علمية وأدبية ، وإخراج تلك الكنوز من أصولها ، ونشرها في العالم العربي ؛ حتى يشعر العرب بما كان لأبائهم الأولين من أثر في الحضارة والمدنية ، والعلوم والعارف ، ويعملوا على أن يعيدوا مجدهم القديم ، ويحيوا آثارهم التالدة . وثقافتهم الخالدة .

(١) ارجع إلى مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٩ .

(٢) ولد سنة ٩٨٠ م وتوفي سنة ١٠٣٧ م ويلقب بالشيخ الرئيس .

(٣) ولد في القرن الثالث للهجرة ، وتوفي سنة ٢٨٢ هـ سنة ٨٩٥ م .

(٤) (٢٢١ هـ - ٢٨٨ هـ) .

(٥) ولد في أواخر النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي ، وتوفي بنيسابور سنة ١١٢٣ م .

(٦) ارجع إلى كتاب «تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك» تأليف قدرى حافظ طوقان

هدية المقتطف سنة ١٩٤١ .

الفصل السابع

اللغة العربية

اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية الجنوبية ، وهي العربية والحبشية وتسمى الجعزية .

وتنقسم اللغة العربية إلى لهجات ، ولهجة في الجزء الأكبر من بلاد العرب ، ولهجة سبأ في الجنوب ، ولهجة بلاد العرب في الشمال . وقد كشف بعض الرحالين آثاراً ونقوشاً في بلاد الحجاز في الشمال كتبت بحروف غير معروفة إلى الآن ، ويظهر أنها نقوش سبئية كتبت قبل عصر المسيح ، ويسمى بعضهم الكتابة السبئية الكتابة الثمودية أي كتابة ثمود ، لأنها وجدت في بلاد ثمود حينما بلغت ثمود مبلغاً كبيراً من القوة . وقد تحدث القرآن الكريم عن حضارة ثمود ، وما كان لهذه القبائل من نفوذ وسلطان . ويسمى بعض اللغويين هذه النقوش بلغة الصراصرة ، ويسمونها آخرون الكتابة اللحيانية . ولسوء الحظ كانت الكتابة التي عثر عليها قليلة مختصرة لا يحصل منها العالم اللغوي إلا على مادة قليلة جداً ، ولكن لا يشك أحد في أنها كتبت بلهجة عربية متوغلة في القدم .

وفي بعض الجهات في شمال الحجاز وما يجاورها من بلاد نجد قد كشفت كتابات عربية ، ونقوش مختصرة أخرى ، وكان معظمها مبعثراً على صخور هنا وهناك . وتشبه كتابتها الكتابة اللحيانية ، ومعظمها رموز ، ولا تحتوى إلا أعلاماً ، ولا يفهم معنى كثير من كلماتها . كل هذا يجعل من الصعب الوصول إلى معرفة اللغة العربية الأولى بالدقة .

وفي القرون الأولى من العصر المسيحي عثر على آلاف من النقوش والكتابة العربية في الجهات الصخرية في الجنوب الشرقي من دمشق ، وتسمى لهجة « الصفا » ، أو اللهجة الصفوية ، وهي جهة قريبة من دمشق . وقد حفرت هذه الكتابة على حجارة صخرية ولم يحفر منها شيء بعناية إلا القليل . وكان من الصعب شرح تلك النقوش وتفسير تلك الكتابات القديمة ، لعدم وجود شيء يحاكيها باللغة العربية الحالية . ولو أن تلك الكتابة الأثرية والنقوش القديمة في لغة الصفا ، واللغة اللحيانية - لا نستمد منها أخباراً عن الحوادث الهامة المجهولة ، فإنها لا تزال تعلمنا كثيراً عن حياة القبائل العربية وأعمالهم وحرفهم . تلك القبائل التي حل غيرها محلها . وللأسماء والأعلام التي تؤخذ من تلك الكتابة الأثرية قيمة كبيرة في نظر العالم اللغوي .

إن العرب الذين كانوا يسكنون مملكة الصراصة^(١) كانوا يستعملون اللغة الآرامية في كتابتهم ، ولكن لغتهم الأصلية كانت اللغة العربية ، ويظهر أثرها في كتابتهم بالآرامية . وعلى هذا فنحن قادرون على أن نقول : إن هؤلاء العرب الذين كانوا يعيشون قبيل المسيح وبعيد المسيح كانت لهجتهم تشبه اللغة العربية القديمة

كل الشبه، فأصول الأسماء والأفعال ثلاثة أحرف كما في العربية القديمة، ونهاية الكلمات ونطقها كما في العربية القديمة، أما العرب الذين كانوا يسكنون إدسا وبالميرا فقد كانوا أيضاً من سلالة واحدة، وجنس واحد. ومن الممكن أن تكون كتابة نمارة^(١) في الجنوب الشرق من دمشق كتابة عربية، لكن بحروف الصراصرة، ويرجع تاريخها إلى ٣٢٨ بعد الميلاد.

وفي الوقت الذي كان فيه اللغة الآرامية الغلبة والانتشار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً. وكلما أمعنا في الفحص والاستقصاء اتضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن بعض الأفكار أو المواد التي تدل على درجة معينة من المدنية قد استعيرت من اللغة الآرامية. ومن هذا نستنبط أن العرب قد شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال، وأنهم قد تأثروا بها، فكان لتلك المدنية أثر عظيم في إعداد العرب لأن يمثلوا دوراً هاماً جداً في تاريخ العالم.

اللغة العربية القديمة :

في القرن السادس الميلادي كان معظم السكان في شبه جزيرة العرب يتكلمون لغة واحدة في كل مكان ؛ تلك اللغة كانت أهم اللهجات العربية ، وهي المعروفة الآن باللغة العربية القديمة ، وكان الشعر العربي في ذلك الوقت شعراً مهذباً في جميع

(١) النمارة : قصر صغير للروم على مقربة من دمشق جنوبي منطقة الصفا . وينسب إليه نقش يرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ بعد الميلاد . وهو يشير إلى قبر امرئ القيس بن عمرو الذي كان من ملوك الحيرة ، وامتد نفوذه إلى الشام . ومنطقة الصفا واقعة بين تلال الصفا وجبل الدروز .

أنحاء بلاد العرب الشمالية ، وبلاد نجد حتى ما وراء نهر الفرات . وكان الشعراء لا يستعملون إلا لغة واحدة هي اللغة العربية ، ولم تدون القصائد العربية المنسوبة للعصر الجاهلي إلا بعد ذلك العصر ؛ فقد كانت تنقل بالرواية من راوٍ إلى آخر . فلا غرابة إذا اعتراها كثير من التغيرات . وإن المتتبع لقوانين الشعر العربي - الذي له دراية بها من وزن وقافية - يرى أن هذه القصائد لم تخرج عنها ، على الرغم من أن علماء النحو ، قد عثروا على أشياء تخالف أصول النحو واللغة ، وذلك لموافقتها للهجة القبائل الخاصة . على أنه من المحتمل أن تكون هذه المخالفات قد حصلت بعد ذلك ، إذا لم تكن في سجع أو قافية ؛ لأن التغير في هذه النواحي يفسد الشعر ، ويذهب روعته . لكن هذه التغيرات لم يطل بها الزمن ؛ لأن كل لهجة قد تشعبت واختلفت كثيراً عن اللغة العربية ؛ لغة علماء النحو والصرف ، ولا تصالح لأن تنسج منها أوزان الشعر ومقاييسه .

وقد لحظ علماء اللغة وجود خلافاً وفروق صغيرة بين لهجات القبائل بعضها وبعض ، وبين شاعر وآخر . ويظن بعض العلماء أن لغة الشعر عند معظم العرب كانت لغة صناعية ، وأن الشعراء في جميع الجهات العربية قد استعملوا في شعرهم لهجة قبائل معينة في إنشاد قصائدهم .

إننا نسلم بمثل هذا الظن إذا رأينا هذا الاختلاف مقصوراً على الشعراء الذين يجوبون الأقطار ، وقد اتخذوا الشعر وسيلة لكسب عيشهم ، وتحصيل قوتهم ، كالنابغة الذبياني ، والأعشى ، ولكن حينما نجد البدو رعاة الغنم الذين يقطنون الجهات الجبلية قرب مكة ينظمون قصائد شعرية بتلك اللهجات نفسها نرى أنها تدور حول شؤونهم الخاصة ، من مشاجرات شخصية ، وتنافس في الزعامة والرياسة والفخر ؛

فرؤساء تغلب يفخرون بالشجاعة والنجدة ، ورؤساء بكر يخاطبون ملك الحيرة بشعر
ينبض بالشجاعة والبطولة ، وطلب المبارزة في الميدان .
وحينما ننظر إلى الشعر العربي الجاهلي نرى أنه ليس هناك أثر لوجود فرق كبير
من الوجهة اللغوية . فمن التناقض أن ندعى أن كل هؤلاء العرب الغُير على شرف
قبائلهم الذين لا يعرفون معظم القراءة والكتابة - استطاعوا أن يكافوا أنفسهم التعبير
عن أفكارهم وشعورهم بلغة أجنبية أو صناعية .

وقد اتفق علماء اللغة العربية بالإجماع على أن لغة الشعراء في الجاهلية كانت اللغة
السائدة في شبه جزيرة العرب . وقد كان عرب البادية في القرن الثالث الهجري يعرفون
بأنهم يحيدون اللغة العربية الصحيحة التي لم تشبها لكنة الأعاجم ، ولم تفسد سلاتهم
العربية . ولهذا عمد النحويون وعلماء اللغة إلى الهجرة إلى البادية ، ومشافهة أولئك
الفصحاء ، والنقل عنهم . كانوا يفعلون ذلك ، ويأخذون عن هؤلاء البدو في الوقت
الذي لم يحفظ فيه الواحد منهم عشرين آية من القرآن ، ولم تكن لديه أى فكرة
عن النحو . وكانوا يأخذون برأيهم في التعبير عن بعض الأمور في اللغة العربية سائلين :
هل ورد هذا التعبير أو لم يرد ؟ أحيحة هذه العبارة أم خطأ ؟

ويتضح لنا أن هؤلاء العلماء المتعمقين في اللغة لم يعرفوا إلا لغة واحدة هي لغة
البدو في بلاد العرب ، وبعبارة أخرى هي اللغة العربية القديمة . وينسب معظم الشعراء
في العصور الأولى للغة العربية إلى بعض القبائل في الحجاز ونجد وما يجاورها وإلى
الجهات القريبة من نهر الفرات .

ويجب أن نذكر أن بعض بلاد الحجاز لم يظهر لها أثر كبير في الشعر العربي
القديم ، أما العرب في الشمال الغربي الذين كانوا خاضعين للرومان فلم يكن لهم

أى نصيب فى ذلك الشعر . وقد أنتجت قبائل تغلب وغيرها شعراء مشهورين كانوا يتدينون بالدين المسيحى . وكان أمراء غسان بالقرب من دمشق يرحبون ويحتفون بمن يظهر لديهم من الشعراء . ويمكننا أن نقول : إن القبائل التى عرفت بالنبوغ فى الشعر العربى يبدو أنها كانت متجاورة فى الإقليم وفى العصر . ثم تفرق الشعراء بعد ذلك إلى طوائف كثيرة فى بلاد واسعة الأرجاء ، وكان الشعراء يحترمون الحرم بمكة ما عدا المسيحيين منهم .

لهجة قریش التى نزل بها القرآن الكريم :

ومن الخطأ الشائع بين الأوربيين القول بأن اللغة العربية هى لهجة قریش فحسب ؛ فإن هذا الحكم لم يقل به مؤلف عربى يعتد به . حقا إننا نقرأ فى بعض الأحوال عن لهجة قریش وهى لهجة مكة ، ولكن الحكم على اللغة العربية بأنها لغة قریش وحدها حكم يخالف العقل ؛ كما لو قلت فى وصف اللغة الإنجليزية : إنها لغة لندن أو لهجة أكسفورد . ومع الأسف ، قد جعلت تلك الفكرة القائلة بأن اللغة العربية هى لغة قریش أساساً لنظرية خاطئة كثيرا ما تكرر فى العصر الحاضر ؛ تلك النظرية هى أن اللغة العربية القديمة ما هى إلا لغة قریش بمكة . والحق أن لغة المحادثة فى بلاد الحجاز لم تتفق من جميع الوجوه مع لغة الشعراء ، ولكن يمكننا أن نقول : إن قبيلة قریش كانت تتكلم اللغة العربية الفصحى ؛ لغة القرآن الكريم . وقد كان للقرآن الكريم أثر كبير فى لغة الشعراء فى صدر الإسلام . وقد حفظ الشعر الإسلامى بشكاه الحقيقى أكثر مما حفظ الشعر الجاهلى ؛ لأن رواة الشعر الجاهلى أضافوا إليه ما ليس منه ، ونحلوا شعراءه كثيرا من قصائده .

وقد رفع القرآن الكريم والإسلام من شأن اللغة العربية ، حتى صارت إحدى اللغات الرئيسة الهامة في العالم . وبقيادة قريش أخضع العرب نصف العالم ، فانتشر الدين الإسلامي ، وخضعت أمم وممالك للسلطة العربية ، والحكم الإسلامي . وقد صارت اللغة العربية لغة مقدسة ، وهذه ميزة أخرى لها . وقد اتضح لعلماء البحث واللغة أن كل العرب تقريبا كانوا يتكلمون لغة تقرب كل القرب من اللغة العربية القديمة ؛ لغة الشعراء القدماء . وقد لعب العرب الذين كانوا يقطنون في الشمال الغربي من شبه جزيرة العرب دوراً هاماً ، ومثلوا فصلاً عظيماً في أثناء عصر بني أمية . وقد انقطعت لغة الحداثة لأهل مكة والمدينة عن أن تكون تلك اللغة العربية لغة الصحراء .

وقد أجمع العلماء والرواة والأدباء واللغويون على أن قريشا أفصح العرب السنة ، وأصفاهم لغة ؛ وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم ، واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشا قُطَّانَ حَرَمِهِ ، وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من كل أصقاع الجزيرة يفدون إلى مكة للحج ، ويتحاضرون إلى قريش في أمورهم . وكانت قريش تعلمهم مناسكهم ، وتحكم بينهم . ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها (أهل الله) ؛ لأنهم (الصريح) من ولد إسماعيل عليه السلام ، لم تشبههم شائبة ، ولم تنقلهم عن مناسبتهم ناقلة ، فضيلة من الله جل ثناؤه لهم ، وتشريفاً ؛ إذ جعلهم رهط نبيه الأَدْنَيْنِ ، وعِترته الصالحين .

وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفي كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا

من تلك اللغات إلى نحازهم وسلاقتهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب ، وكانوا يفعلون ذلك حينما تجتمع تلك الوفود بالأسواق المطيفة بمكة .

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم غفنة تميم ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة ، ولا عجرية قيس ، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس ، مثل تعلمون : ونعلم في قولك تعلمون ونعلم ، ومثل شعير وبعير بدلاً من شعير وبعير .

وقد نزل القرآن بلغة قريش ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، وأنى نشأت فى بنى سعد بن بكر » ، وهى أفصح قبائل هوازن ، وكان مُسترضعاً فيهم . وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : « أفصح العرب عليا هوازن ، وسُفلى تميم » . ومن عليا هوازن قبائل سعد بن بكر ، وجُشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثَقِيف .

وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْمَصَاحِفَ مِنْ مُضَرَ . وقال سيدنا عمر رضي الله عنه : « لَا يُمْلَيْنَ فِي مَصَاحِفِنَا إِلَّا غُلَامَانِ قَرِيشٍ وَثَقِيفٌ » . وقال سيدنا عثمان : « اجْعَلُوا الْمُؤَمِّلِيَّ مِنْ هَذَيْلٍ ، وَالْكَاتِبَ مِنْ ثَقِيفٍ » .

خصائص اللغة العربية ومميزاتها

تتمتاز اللغات السامية من سائر لغات البشر بوفرة كلماتها ، واطراد القياس في أبنيتها ، وتنوع أساليبها ، وعذوبة منطقتها ، ووضوح مخارج حروفها . وتفضلها اللغة العربية في كل ذلك ؛ لتصورها زمن جاهليتها قروناً سحيقة في شبه جزيرة العرب ، وتقدمها في الطريقة النظرية التي نشأت عليها ، أمانة شر الامتزاج بلغة الفاتحين ، أو لهجة المغيرين ، حتى ظن كثير من العلماء الباحثين أنها لغة وليدة مواضعة ، واصطلاح متعمد ، من حكماء أهلها ، لا أنها لغة فطرية تدريجية ، وهي من أقدم اللغات السامية ، بل هي أصلها على رأى كثير من علماء عصرنا الغربيين والشرقيين . ولا يمكننا أن ننسى أن الإعراب ، والإيجاز ، والسجع ، وكثرة المترادفات ، ودقة التعبير من خصائص اللغة العربية .

واللغة العربية الفصيحة التي نحن بصدد الكلام فيها نشأت من الآرامية في الشمال ، والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الإسلام ، متمثلة في العدنانية مع بقاء الحميرية مستعملة في بعض مواطن اليمن إلى ما بعد الإسلام بقليل ؛ ولكن العدنانية في جملتها لم يحفظ كيائها بعد الإسلام ، بل تغلبت عليها المضرية بنزول القرآن بلغة مضر ، ولأن أكبر أهل الحل والعقد من العرب كانوا من مضر وخاصة قريش .

ولم توضع اللغة العربية كلها في وقت واحد ، ولا يعلم بالضبط أى الأنواع الثلاثة : الاسم ، والفعل ، والحرف وضع قبل غيره . والطريق إلى معرفة اللغة النقل المحض ، أو استنباط العقل من النقل . ومن شأن اللغوى أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعدها .

ومن شأن النحوى أن يتصرف فيما ينقله اللغوى و يقيس عليه ، فيقيس المنشور على منشور العرب ، و يقيس الشعر على شعرهم .

واللغة العربية غنية لا يستطيع أن يحيط بها أحد . قال أحد العلماء : إن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها الفاظاً ، ولا يستطيع أن يحيط به إنسان غير نبى . قال ابن فارس : إن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها ، وإن الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير . وإن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير ، وكلام كثير .

قال أستاذنا العالم الجليل المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى : « إن أول من صنف فى جمع اللغة الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين المشهور ، وألف بعده أبو بكر بن دريد كتاب الجهرة ، نسجه على منوال العين ، ثم ألف أتباع الخليل كتباً شتى فى اللغة ، منها المطول والمختصر ، ومنها العام فى أنواع اللغة ، والخاص بنوع منها ، كالأجناس للأصمعى ، والنوادر واللغات لأبى زيد الأنصارى ، والنوادر واللغات للفراء ، والتذكرة لأبى على الفارسى ، والتهذيب للأزهرى ، والجمل لابن فارس ، وديوان الأدب للفارابى ، والمحيط للصاحب بن عباد ، وغير ذلك مما لا يحصى » .

وقد حكى عن صاحب بن عباد أن بعض الملوك أرسل إليه رسالة يسأله القدوم عليه ، فقال له فى الجواب : أحتاج إلى ستين جملاً أنقل عليها كتب اللغة التى عندي . وقد ذهبت هذه الكتب كلها فى النتن التى نشأت من التتار وغيرهم ، حتى إن الكتب الحية الآن فى اللغة من تأليف المتقدمين والمتأخرين لا تكفى حمل جمال واحد . ولم يلتزم المؤلفون فى معظم هذه الكتب الصحيح فى اللغة ، بل جمعوا فيها ما صح ، ونهبوا على ما لم تثبت صحته غالباً . وأول من التزم الصحيح واقتصر عليه

الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، ولهذا سمي كتابه بالصَّحاح . وأعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر الصَّحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن سيده ، الأندلسي الضرير ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . ثم كتاب القاموس للفيروزبادي . ولم يصل كتاب من هذه الكتب في كثرة التداول إلى ما وصل إليه الصَّحاح . ولم تنقص رتبته ولا شهرته بوجود هذه الكتب ؛ لالتزامه ما صح ، فهو في كتب اللغة كصحيح البخاري في كتب الحديث . وليس المدار في الاعتماد على كثرة الجمع ، بل على شرط الصحة .

وقال السيد محمد مرتضى في كتاب تاج العروس معلقا على القول بأنه لم يصل واحد من هذه الكتب إلى ما وصل إليه الصَّحاح بأن هذا الحكم صحيح بالنسبة إلى زمانه ؛ فقد بلغ القاموس بعد ذلك في الاشتهار مبلغ ظهور الشمس في رابعة النهار . قال السيوطي : « ومع كثرة ما في القاموس من الجمع للنوادر والشوارد فقد فاتته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة ، حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيلا عليه . » وقد يسر الله هذا للسيد مرتضى صاحب تاج العروس ، فجمع ما ظفر به من الزوائد عليه في مسوِّدة لطيفة .

قال ابن فارس : لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها . قال جل ثناؤه : « وإِنَّه لتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . » فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البيان ^(١) .

وقال جل ثناؤه : « خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ . » فقد ذكر البيان على جميع ما تفرد بخلقه وإنشائه ؛ من شمس وقمر ، ونجم وشجر . فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عن اللغة العربية ، وواقعة دونها . فإن قال

(١) ارجع إلى المزهري لجلال الدين السيوطي ج ١ ص ١٨٧-٢٠٠

قائل : قد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأن كل من أفهم بكلامه بلغته فقد بين .

قيل له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعبر عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا أدنى مراتب البيان ؛ لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لا يسمى متكلماً ، فضلاً عن أن يسمى مُبيناً أو بليغاً . وإن أردت أن جميع اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا خطأ ؛ لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية ما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، في حين أننا نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس ، وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذاك ؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟ هذا لا يخفى على ذي نهية وعقل .

وقال بعض العلماء حينما ذكر ما للعرب من الاستعارة والتشثيل ، والقلب ، والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن الكريم : وكذلك لا يقدر أحد من المترجمين على أن ينقل القرآن الكريم إلى لغة من اللغات ، أو لسان من الألسنة ، كما نقل الإنجيل من السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله بالعربية ؛ لأن غير العرب لم تتسع في المجاز اتساع العرب . ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى « وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء . » لم تستطع أن تأتي بالألفاظ المؤدية للمعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد ، فخفت منهم خيانة ونقضاً ، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء .

والشعراء قد يؤمنون بإيماء ، ويأتون بالكلام الذي لو أراد مرید نقله لصعب عليه ذلك ، وما أمكنه إلا بمبسوط من القول ، وكثير من اللفظ . ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس :

فدع عنك نهبا صيح في حجراته^(١) .
بالعربية فضلا عن غيرها لطال عليه .

وكذا قول القائل : « والظن على الكاذب^(٢) » .

« ونجارها نارها^(٣) » و « عي بالأسناف^(٤) » و « هو باقة^(٥) » وهو كثير ،
بمثله فاقت لغة العرب اللغات .

ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق ، واليقين والشك ، والظاهر والباطن ، والحق والباطل ، والمبين والمشكل ، والاعتزاز والاستسلام لعي به .

(١) هذا صدر بيت له من قصيدة ، يدم فيها خالد بن سدوس . قال الشنقيطي وتماه :
« ولكن حديثا ما حديث الرواحل » . وليس هذا دون صدره في معناه .

(٢) من قطعة في حماسة أبي تمام ، للحارث بن هجان الشيباني ، والبيت الذي فيه هذه الجملة
هو قوله :

أنا ابن زبابة إن تدعني آتتك والظن على الكاذب

(٣) نجار الشيء : أصله . والنار : السمة . يقال : ما نار هذه الناقة ؟ أي ما سمها ؟
و « نجارها نارها » مثل يضرب في شواهد الأمور التي تدل على علم باطنها ، كما تدل سمة الإبل
على أصلها .

(٤) السناف والأسناف : كاللب للفرس . قال الزمخشري في أساس البلاغة : « عي فلان
بالأسناف » إذا دهش من الفزع ، كمن لا يدرى أين يشد السناف . قال :

إذا ما عي بالأسناف قوم من الهول المشبه أن يكونا

(٥) قال الزمخشري في أساس البلاغة : هو باقة من البواقي للكيس الداهي من الرجال ،
شبه الطائر الذي يرد البقع وهي المستنقعات - دون المزارع خوف القناص .

أما عدم القدرة على نقل اللسان العربي إلى شيء من الألسنة على أى وجه كان ففيه نظر . وقد ترجم جمع من العلماء واللغويين القرآن الكريم بالفارسية والهندية واللغات الإفرنجية وغيرها من الألسنة ، وهى تؤدى معناه ، وتبين فحواه بلا شك ، وإن لم تكن من استقصاء المعانى كلها ، ومراتب الفصاحة والبلاغة جلها بمكان العربية . نعم اللغة العربية أفضل اللغات ، ولسان العرب أجود الألسنة وأكملها ، بخصائص توجد فيه ولا توجد فى غيره .

ومما اقتصت به لغة العرب بعد ما تقدم قلبهم الحروف عن جهاتها ، ليكون الثانى أخف من الأول ، نحو قولهم : ميعاد ولم يقولوا موعاد وهما من الوعد . ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين ، وقد يجتمع فى لغة العجم ثلاثة سواكن . ومنها اختلاسهم الحركات فى مثل : فاليوم أشرب غير مُستحب^(١) . ومنه الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف مثل لم يك ولم أبل .

ومن ذلك إضمارهم الأفعال مثل : (امرأ اتقى الله) ، و (أمر مبيكاتك لا أمر مضحكاتك) .

ومما لا يمكن نقله ألبتة أوصاف السيف والأسد والرمح ، وغير ذلك من الأسماء المترادفة . ومن المعروف أن العجم لا تعرف للأسد غير اسم واحد ، أما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم . قال ابن خالويه الهمداني . جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين . وقد جمع حمزة الأصبهاني من أسماء الدواهي ما يزيد على أربع مائة ، وذكر أن تكثر أسماء الدواهي من الدواهي .

(١) قال الشنقيطي تمامه : « إنما من الله ولا واهل » .

ومن العجائب أن أمة وسمت معنى واحداً بمئين من الألفاظ . وقد حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه : أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العُقَلِيّ ففسّره ، فقال : يا أصمعي : إن الغريب عندك لغير غريب . فقال : يا أمير المؤمنين ! ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً ؟

قال ابن فارس : فأين لسائر الأمم ما للعرب ؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم : ذات الزمّين ، وكثرة ذات اليد ، ويد الدهر ، وتخاوصت النجوم ، ومجت الشمس ريقها ، ودرأ الفىء ، ومفاصل القول ، وأتى بالأمر من فصّه ، وهو رحب العطن ، وغمر الرداء ، وهو ضيق المجم ، قلق الوضين ، رابط الجأش ، وهو ألوى بعيد المستمر ، وهو جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب . وما أشبه هذا من بارع كلامهم . ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدالة كثير وكثير .

وإن ما في كتاب الله تعالى من الخطاب العالى أكثر وأكثر ، قال جل ثناؤه : « ولکم فی القصص حیاة » . « یحسبون کلّ صیحة علیهم همّ العدوّ » . « وأخرى لم تقدروا علیها قد أحاط الله بها » . « إن یتبعون إلا الظنّ ، وإن الظنّ لا یغنی من الحق شیئاً » . « إنما بغیکم علی أنفسکم » ، « ولا یحیی المکر السیئ إلا بأهلِهِ » . وهو أكثر من أن نأتى علیه .

وللعرب بعد ذلك کلمة تلوح فی أثناء كلامهم كالمصایح فی الدجی ، كقولهم للجموع للخیر : « قثوم » . « وهذا أمر قاتم الأعماق ، أسود النواحی » . « وله قدم صدق » . « وفي هذا الأمر مصاعب وقحّم ، وامرأة حیة قدعة ، قليلة الكلام حیة » . « وذأ أمر أنت أردته ودبرته ، وتقاذفت بنا النوى ، واشتفّ الشراب ، ولك قرعة هذا الأمر أى خیاره . وما دخلت لفلان قرعة بیت ؛ أى سقف بیت . وهؤلاء قرابین الملك ، ولیل أقعس ، « لا یکاد یبرح » . وأقبلت

مَقَاصِرُ الظَّلامِ، إلى غير ذلك . وهذه كلمات من قُرْحَةٍ واحدة ، وفي رواية من قُدْحَةٍ واحدة ، فكيف إذا جال الطرف في سائر الحروف بحاله ؟ ولو تَقَصَّيْنَا ذلك لجاوزنا الغرض ، وما حوته مؤلفات^(١) .

واختصت العرب من العلوم الجليلة التي اختصت بها بالإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيزَ فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوٍ ، ولا تعجب من استفهام ، ولا نعت من تأكيد .

وللعرب العروض وموازين الشعر ، وبها يعرف صحيحة من سقيمة . وقد حفظ العرب الأنساب ، ولم يكن أحد من الأمم عناية العرب بحفظ النسب . وقد انفردت اللغة العربية بالهمز في آخر الكلام ؛ مثل قرأ وبدأ ، ولا يكون الهمز في شيء من اللغات إلا ابتداء . واختصت اللغة العربية بالحاء والطاء ، وقيل إن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم ، وانفردت بالألف واللام للتعريف ؛ كقولنا الرجل والفرس . وليست الألف واللام في شيء من لغات الأمم غير اللغة العربية .

وتمتاز العربية بالتصريف والإعراب ، وبالإعراب تميز المعاني ، وتُعرف أغراض المتكلمين . فإذا قلت ما أحسن زيد برفع كلمة زيد لا يعرف السامع مرادك . أما إذا قلت ما أحسن زيداً بنصب زيد وهو الصواب - ظهر بالإعراب المعنى المراد . وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم ؛ فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني . يقولون : مِفْتَاحٌ لِلآلَةِ التي يفتح بها ، ومِفْتَاحٌ لموضع الفتح .

(١) ارجع إلى الصاحي ص ١٢ - ١٦ والمخصص للسيوطي ج ١ ص ١٨٩

ويقال امرأة طاهر من الحيض ، وطاهرة من العيوب ؛ لأن الرجل لا يشاركها في الحيض ، بل يشاركها في الطهارة .

ومن فاته علم التصريف فاته كثير ؛ فنحن نقول : وَجَدَ المطلوبَ ووجدَه يَجِدُه وَجْداً ، وَجِدَةً وَوَجْداً وَوَجُوداً وَوَجْدَاناً : أدركه وأصابه وظفر به بعد ذهابه .

ويقال وجدت الضالة . وتأتى وجد بمعنى علم فتنصب مفعولين ؛ مثل : وجدت صدقك راجحاً .

(وَجَدَ) المالَ وغيره : يجده ، وَجْداً ، وَجِدَةً : استغنى .

وفي التهذيب للأزهري (وَجَدْتُ في المال) : يَجِدُ ، وَيَجِدُ ، وَجْداً ، وَجِدَةً ، وَمَوْجِدَةً ، ووجدانا : غَضِبَ . وفي الحديث « إني سألك فلا تجد علي » ؛ أي لا تغضب من سؤالي .

ويقال : وَجَدَ به وَجْداً : أي أحبه . ووجدَ به : حزن .

ويقال القاسط للجائر ، وقسط : جار . والمُقسط للعادل ، وأقسط : عدل . فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل ، وأمثلة ذلك كثيرة لا تكاد تنحصر :

سنن العرب :

(١) ومن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ؛ كقولهم عند المدح : قاله الله ما أشعره ! والاستعارة ؛ مثل : انشقت عصاهم ؛ إذا تفرقوا . وكشفت عن ساقها الحرب ، وكقولهم للبليد : حمار .

(٢) ومن ستمهم أيضاً الحذف والاختصار ، كقولهم : والله أفعل ذلك ؛ أي لا أفعل . وكقوله تعالى « واسأل القرية » أراد أهلها . والزيادة نحو : « ليس كمثله شيء » فالكاف زائدة . وتكون الزيادة في الأسماء والأفعال والحروف .

(٣) ومن سنتهم التكرير والإعادة بقصد الإيلاغ ، بحسب العناية بالأمر ، قال الحارث بن عباد :

قَرَّبَا مَرْبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنْ حِيَالٍ
فكرر قوله (قربا مربط النعمة مني) في رموس أبيات كثيرة ؛ عناية بالأمر ، وإرادة الإيلاغ في التنبيه والتحذير .

(٤) ومن سنتهم : إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلا في الحقيقة ، كقوله تعالى : « فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ » ، فنسب الإرادة إلى الجدار ، ويقال : فلان يريد أن يموت إذا كان محتضرا .

(٥) وذكر الواحد وإرادة الجمع ، كقولهم للجماعة : ضيف وعدو .
(٦) وذكر الجمع والمراد اثنان ، نحو قوله تعالى : « فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا »
وهما قلبان .

(٧) ومخاطبة الواحد بلفظ الجمع ، نحو : ربّ ارجعون ، وكقولهم للرجل العظيم : انظروا في أمري ، وقول من يعظم نفسه : نحن فعلنا .
ومخاطبة الواحد خطاب الجمع إذا أريد بالخطاب هو ومن معه كقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ » . فخطوب صلى الله عليه وسلم بلفظ الجمع ؛ لأنه أريد هو وأمته .

(٨) والإخبار عن جماعة وواحد بلفظ الاثنين ؛ كقوله تعالى : « أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا » ؟

(٩) وتحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب ، ومن الغائب إلى الشاهد ، وهو الالتفات ؛ نحو قوله تعالى مخاطبا النبي : « فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ » ثم قال للكفار :

« فاعلموا أنما أنزل بعلم الله . » يدل على ذلك قوله « فهل أنتم مسامحون » ؟ ومثل هذا في القرآن كثير .

(١٠) ومنها أن تنسب الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما ؛ نحو قوله تعالى : « مَرَجَ الْيَحْرَيْنَ » إلى قوله : « يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ . » وإنما يخرجان من الملح لا العذب .

(١١) ومنها أن تنسب الفعل إلى الجماعة وهو لواحد منها ، مثل : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَّارَ أَنْتُمْ فِيهَا » فالقاتل واحد .

(١٢) أو تنسبه إلى أحد اثنين وهو لهما ، مثل : « وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ » . وكقوله تعالى : « وَإِذْ أَرَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا » والمراد انفضوا إليهما .

(١٣) ومنها أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين ؛ نحو : افعلا ذلك ، ويكون المخاطب واحدا ، ونحو يا صاحبي يا خليلي ، والمراد يا صاحبي ويا خليلي .

(١٤) والإتيان بلفظ الماضي وهو حاضر أو مستقبل ؛ نحو : « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ » أى يأتى ، و « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ » أى أنتم ، وبالعكس نحو : « فَلَيْمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ » أى فَلَيْمَ قَتَلْتُمْ ؟ ونحو : « وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ » أى ما تلت .

(١٥) ووصف الشيء بما يقع فيه ؛ نحو : يومٌ عاصفٌ ، وليلٌ نائمٌ أو ساهرٌ .

(١٦) ومنها التوهم والإيهام ؛ وهو أن يتوهم أحدهم شيئا ، ثم يجعل ذلك كالحق ؛ نحو قولهم : (وقفت بالرَّبيعِ أسأله) وهو أكل عقلا من أن يسأل رسما يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل ، لكنه تفجع لما رأى الساكنين قد رحلوا ، وتوهم أنه يسأل الرَّبيعَ : أين ذهبوا ، وذلك كثير في أشعار العرب ^(١) .

(١) ارجع إلى الصاحبي صفحة ١٩٢ .

(١٧) ومنها الفرق بين الضدين بحرف أو حركة كيدوى من الداء ، ويداوى من الدواء .

(١٨) والبسط بالزيادة فى عدد حروف الاسم والفعل ، ولعل أكثر ذلك لإقامة الوزن ؛ كفرقود فى فرقَد ، ويرقود فى يرقُد ، كقول الشاعر : (١٧)

وليلةٌ خامدةٌ خمُوداً طُخياءُ تغشى الجدى والفرقُوداً
فزاد فى الفرقد الواو وضم الفاء حتى يستقيم وزن الشعر وتُسَوَّى قوافيه ، وكذلك زاد الواو فى قوله : (لو أن عمراً همَّ أن يرقُوداً) أى يرقد (١).

(١٩) ومنها الإضمار للأسماء ؛ مثل : ألا يا اسلمى أى يا هذه . (٥٢)

(٢٠) والإضمار للأفعال ؛ مثل : أثعلبا وتفر ، أى أترى ثعلباً وتفر ؟

(٢١) والإضمار للحروف ؛ مثل : (ألا أيُّ هذا الزاجرى أحضَرَ الوغى) أى أن أحضَرَ الوغى . وفى كتاب الله : « ألم غلبت الروم » ؛ أى لقد غلبت الروم (٢).

(٢٢) ومنها التعمويض ، وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة ، كإقامة المصدر مقام الأمر ؛ نحو ف ضربَ الرقاب ، وإقامة الفاعل مقام المصدر ، نحو ليس لوقعتها كاذبة ، أى تكذيب ، وإقامة المفعول مقام المصدر ، نحو بأيكم المفتون ، أى الفتنة ، والمفعول مقام الفاعل ، نحو : حجاباً مستوراً ، أى ساتراً ، والفاعل مقام المفعول نحو : « لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله » أى لا معصوم ، « وعيشة راضية » أى مَرْضَى بها .

(٢٣) ومنها تقديم الكلام وهو مؤخر فى المعنى ؛ كقوله : (ما بال عينك منها الماء ينسكب) ، أراد ما بال عينك ينسكب منها الماء . وقوله تعالى : « ولولا كلمةٌ

(١) ارجع إلى فقه اللغة لابن فارس صفحة ١٧٣ .

(٢) ارجع إلى الصاحبي صفحة ١٩٦ - ١٩٧ .

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لَزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى « ؛ فَأَجَلٌ مَعْطُوفٌ عَلَى كَلِمَةٍ ، وَالتَّأْوِيلُ
وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مُسَمًّى - أَرَادَ الْأَجَلَ الْمَضْرُوبَ لَهُمْ وَهُوَ قِيَامُ
السَّاعَةِ - لَكَانَ الْعَذَابُ لَازِمًا لَهُمْ ^(١) .

(٢٤) وَمِنْهَا تَأْخِيرُ الْكَلَامِ وَهُوَ مُقَدَّمٌ فِي الْمَعْنَى نَحْوُ : « يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ
وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ » وَالرُّكُوعُ قَبْلَ السُّجُودِ .

وَنَحْوُ : « أَتَوْنِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا » أَيْ أَتُونِي قِطْرًا أَفْرِغْهُ عَلَيْهِ .

وَنَحْوُ : كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ ، أَيْ كَفَانِي قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ .

(٢٥) وَمِنْهَا الْإِعْتِرَاضُ بَيْنَ الْكَلَامِ وَتَمَامِهِ ؛ كَقَوْلِكَ : اْعْمَلْ - وَاللَّهُ نَاصِرِي -

مَا شِئْتُ ، وَالْمُرَادُ اْعْمَلْ مَا شِئْتُ .

(٢٦) وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى ؛ نَحْوُ : طَوِيلُ النَّجَادِ ، يَرِيدُونَ طَوِيلَ الرَّجْلِ ، وَفِي
هَذَا إِشَارَةٌ وَإِيمَاءٌ بِغَيْرِ تَصْرِيحٍ ، وَنَحْوُ : غَمَرُ الرِّدَاءِ ، يَشِيرُونَ إِلَى الْجُودِ .

(٢٧) وَمِنْهَا الْكَفُّ عَنْ ذِكْرِ الْخَبَرِ اِكْتِفَاءً بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ؛ كَقَوْلِ
الشَّاعِرِ :

إِذَا قُلْتَ سِيرُوا نَحْوَ لَيْلَى لَعَلَّهَا جَرَى دُونَ لَيْلَى مَائِلَ الْقَرْنِ أَغْضَبُ

فَقَدْ تَرَكَ خَبَرَ لَعَلَّهَا .

(٢٨) وَمِنْهَا إِعَارَةُ الشَّيْءِ مَا لَيْسَ لَهُ ، كَقَوْلِهِمْ : مَرَبِّينَ سَمِعَ الْأَرْضُ وَبَصَرَهَا . وَإِجْرَاءُ

مَا لَا يَعْقِلُ مَجْرًى مِنْ يَعْقِلُ ، كَقَوْلِهِ فِي جَمْعِ أَرْضِ أَرْضُونَ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : « كُلُّ
فِي فَلَاكِ يَسْبَحُونَ » ، وَقَوْلِهِ : « يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ » .

(١) ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧ - ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢ - ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢ - ١٥٠٣ - ١٥٠٤ - ١٥٠٥ - ١٥٠٦ - ١٥٠٧ - ١٥٠٨ - ١٥٠٩ - ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢ - ١٥١٣ - ١٥١٤ - ١٥١٥ - ١٥١٦ - ١٥١٧ - ١٥١٨ - ١٥١٩ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ - ١٥٢٢ - ١٥٢٣ - ١٥٢٤ - ١٥٢٥ - ١٥٢٦ - ١٥٢٧ - ١٥٢٨ - ١٥٢٩ -

(٢٩) والاقتصار على ذكر بعض الشيء والمراد كله ، كقوله تعالى : « أو تحرير رقية مؤمنة » ، فذكر الرقية والمراد العبد .

(٣٠) والعرب تصف الجمع بصفة الواحد ؛ كقوله جل ثناؤه : « والملائكة بعد ذلك ظهير » . ويقولون : قومٌ عدلٌ ، وقومٌ رضا .

وربما وصفوا الواحد بلفظ الجمع ؛ كقوله تعالى : « ما كان المشركين أن يعمرُوا مساجدَ الله » ، أراد أن يعمرُوا المسجد الحرام .

(٣١) ومما اختصت به اللغة العربية ترك العرب الجمع بين الساكنين ، وقد يجتمع في غيرها ثلاثة سواكن .

(٣٢) وتخفيف الكلمة بالحذف ؛ مثل لم يكُ ، والأصل لم يكن . وقد جاء القرآن بجميع هذه السنن ؛ لتكون حجة الله عليهم أكده .

قال الفارابي : « هذا اللسان كلام أهل الجنة ، وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة ، والمعلى من كل خسيصة ، والمهذب مما يستهجن ، فبني على مبان خالف بها جميع اللغات من إعراب أو جده الله لهم ، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به . والعرب تميل عن الذي يلزم كلامها الجفاء ، إلى ما يأتين حواشيه ويرققها . وقد نزه الله لسانها عما يجفيه .

ولم تكن الكنى لشيء من الأمم إلا للعرب ، والكنية إعظام ، وما كان يؤهل لها إلا ذو الشرف . ثم ترقوا عن الكنى إلى الألقاب الحسنة ، فقل من المشهورين في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ، إلا أن ذلك ليس خاصا بالعرب ؛ فلم تزل الألقاب في الأمم كلها من العرب والعجم . ويقال : اختص الله العرب بأربع : العمام تيجانها ، والحبي حيطانها ، والسيوف سيجانها ، والشعر ديوانها .

ومما لا يمكن نقله البتة إلى أى لغة من اللغات أوصاف السيف والأسد والرمح، وغير ذلك من الأسماء المترادفة . ومن المعلوم أنه ليس للأسد في غير اللغة العربية إلا اسم واحد ، أما العرب فقد أخرجوا له خمسين ومائة اسم . وجمع أبو عبد الله بن خالويه الهمداني خمسمائة اسم للأسد . ومن العجائب أن أمة وسعت معنى واحدا بمئين من الألفاظ . فإين لسائر الأمم ما للعرب ؟

ومن سنن العرب الخبايا ؛ وذلك أن تجعل كلاما بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظا ، وإن كانا مختلفين معنى ؛ فيقولون : الغدايا والعشايا ، فقالوا الغدايا لانضمامها إلى العشايا . ومثله قولهم : (أعوذ بك من السامة واللامّة) فالسامة : مأخوذة من قولك سمّت إذا خصّت ، واللامّة أصلها ألّمت ، لكن لما قرنت بالسامة جعلت في وزنها . ومن هذا الباب كتابة المصحف « والليل إذا سجى » بالياء ، وهو من ذوات الواو لما قرّن بغيره مما يكتب بالياء .

وقد تكفلت كتب المعاني والبيان والبديع ببسط ما اشتمل عليه كلام العرب من فنون البراعة والجمال في الأسلوب . وقد سأل أبو إسحق الكندي الفيلسوف العربي أبا العباس المبرد فقال : إني أجد في كلام العرب حشوا ؛ يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ، والمعنى واحد . فأجابه أبو العباس : إن المعاني مختلفة ؛ فقولهم : عبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وقولهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه . فانظر إلى تفاوت هذه المعاني مع تغيير يسير في اللفظ .

معرفه الألفاظ الإسلامية :

كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ، ونسائلكهم وقرابينهم ، فلما جاء الإسلام حدثت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من موضع إلى آخر بزيادة زيدت ، وشريعة شرعت . فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم ، والكافر والمنافق ؛ فإن العرب إنما عرفت المؤمن من الإيمان ، والإيمان هو التصديق ، ثم زادت الشريعة شروطاً وأوصافاً ، بها سمى المؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت من إسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء . وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر . فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من نفاقه اليربوع . ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق هو الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى . ومما جاء في الشرع : الصلاة والصوم ، والحج والزكاة ، فالصلاة في اللغة : الدعاء ، والصوم : الإمساك ، والحج : القصد ، والزكاة : النمو . وقد زاد الشرع فيها ما زاد . ومثل هذا جميع أبواب الفقه ، فإذا سئل الإنسان عن شيء من هذه الأشياء قال : إن له معنيين : لغوي وشرعي ، ثم ذكر المعنى اللغوي ، وهو ما كانت العرب تعرفه ، ثم المعنى الشرعي وهو ما جاء الإسلام به .

وقد حدثت في صدر الإسلام أسماء ؛ كقولهم لن أدرك الإسلام من أهل الجاهلية مخضرم^(١) . ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها المرباع والنشيطه والفضول .

(١) المخضرم من الشعراء : من قال الشعر في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام ؛ مثل حسان ابن ثابت ، وليد بن ربيعة ، والنابعة الجعدي .

ومن الأسماء التي تركت أيضاً الأتاوة والمكس والحلوان ، وقولهم أنعم صباحاً ، وأنعم ظلاماً ، وأبيت اللعن ، وقول المملوك لمالكه: رَبِّي^(١) ، وتسمية من لم يحج صرورة^(٢) ، والإبل التي تساق في الصداق النوافج .

ومما كره في الإسلام من الألفاظ قول القائل: خَبِثْتُ^(٣) نفسي ، واستأثر الله بفلان ، وحجراً محجوراً . وكان هذا عند العرب لمعنيين : أحدهما عند الحرمان إذا سئل الإنسان قال حجراً محجوراً ، فيعلم السائل أنه يريد أن يجرمه . ومنه قوله : حَنَنْتُ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا : حَجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تَتْلِكِ الدَّهَارِيسُ والوجه الآخر : الاستعازة . كان الإنسان إذا سافر فرأى من يخافه قال : حجراً محجوراً ؛ أي حرام عليك التعرض لى . وعلى هذا فُسِّرَ قوله عز وجل : « يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ . ويقولون : حجراً محجوراً . » يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا .

(١) ارجع إلى كتاب البلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق حسن طبعه القسطنطينية سنة ١٩٢٦ هـ ص ٤٩ ، وإلى كتاب فقه اللغة لابن فارس ص ٤٤ - ٤٧ .
(٢) الصرورة : المتعبد الذي يجتنب النساء وطيب الطعام ، وفي الإسلام من لم يحج .

(٣) قال الشاعر :
وَأَسْلَمَنْ فِيهَا رَبٌّ كِنْدَةٌ وَابْنَةٌ وَرَبٌّ مَعَدٌّ بَيْنَ خَبْثٍ وَعَرَعَرٍ

الفصل الثامن

ثروة اللغة العربية

إن نظرة واحدة إلى معاجم اللغة العربية تدلنا على أن اللغة العربية غنية، وغنية جدا، بألفاظها وتعبيراتها، وما فيها من مفردات ومترادفات. ولا عجب؛ فاللغة العربية تتألف من ثمانين ألف مادة، والعلماء يقولون إن المستعمل منها عشرة آلاف. ومن الواجب أن نشكر لأصحاب هذه المعاجم ما قاموا به من مجهود عظيم يستحق الإعجاب والتقدير، من كل من ينطق بتلك اللغة، وإن كان مجهودهم لم يستوعب كل ألفاظ اللغة.

ويزداد إعجابنا بثروة اللغة العربية القديمة، إذا تذكرنا مقدار السهولة في الحياة والمعيشة عند العرب القدماء، وتذكرنا أنهم كانوا يعيشون في صحراء، كان مستوى المعيشة فيها محدودا، ومحدودا جدا. وربما كان لتلك البيئة أثر في أن أفكارهم كانت محدودة في العصر الجاهلي، قبل أن يتأثروا بغيرهم، ممن اتصلوا بهم، قبيل ظهور الإسلام، وبعد انتشاره في كل الأقطار. ومع هذا نجد أن في اللغة العربية ثروة دونها كل ثروة، وأن المعنى الواحد يمكن التعبير عنه بكثير من الأساليب، من كلام العرب وتعبيراتهم، كما سنبين فيما بعد بالأدلة القاطعة.

وقد انتفع علماء اللغة بما اقتبسه الشعراء من الألفاظ في شعرهم، ومن طرق الاستعارة والمجاز والكناية التي أكثروا استعمالها في قصائدهم.

وفي الأدب العربي القديم فن من فنون الشعر هو الهجاء ، وقد أكثر الجاهليون من قوله ، وساعدتهم في إنشاده بتلك الكثرة طبيعة الحياة والبيئة ؛ فأضافوا إلى المعجم العربي كثيراً من التعبيرات التي اخترعوها ، والألفاظ التي ابتكروها . وقد اختلف الآن معظم هذا النوع من الشعر ، فلا تجد اليوم شاعراً يهجو ، أو يمضي وقته في الهجاء الشعري .

ومع أن علماء اللغة لم يدونوا في معاجمهم إلا الألفاظ التي كثر ورودها ، وشاع استعمالها بين جميع القبائل ، وتركوا الألفاظ القليلة الورد ، أو التي وردت من حين لآخر ، ولم يكثر تداولها إلا بين قبائل خاصة - مع هذا نجد أن اللغة العربية غنية بمفرداتها وأساليبها . وسيبقى المعجم العربي على الدوام مرجعاً هاماً لتوضيح العبارات الغامضة في جميع اللغات السامية الأخرى ، إذا راعى الباحث الاحتراس والدقة .

فاللغة العربية بثروتها في أصول الكلمات ، وبما فيها من ضروب الاشتقاق والجاز والاستعارة والكناية ، تصلح للأغراض العلمية والأدبية . فهي لغة العلم والأدب . ومن السهل أن تكتب بها ما تشاء ، وأن تترجم إليها ما تشاء . وبلا اشتقاق نستطيع أن نعبر باللغة العربية الصحيحة عما لدينا من الأفكار الجديدة ، أو المخترعات الحديثة ، أو المصطلحات العلمية ، بألفاظ وعبارات مختصرة واضحة ، فمثلاً يقال :

غَفَرَهُ أَيْ سَتَرَهُ . وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ : عَفَا عَنْهُ . وَغَفَرَا ، وَغُفِرَانَا ، وَمَغْفِرَةٌ ، وَاسْتَغْفَرَهُ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَاسْتَغْفَرَهُ إِيَّاهُ : طَلَبَ مِنْهُ الْمَغْفِرَةَ . وَالْغَفُورُ وَالْغَفَّارُ : مَنْ صَفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى . وَالْمُسْتَغْفِرُ : مَنْ يَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ . وَجَاءُوا جَمًّا غَفِيرًا ، وَجَمَّ الْغَفِيرُ ، وَالْجَمَّ الْغَفِيرُ : أَيْ جَمِيعًا ، شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ ، لَمْ يَتَخَلَفْ أَحَدٌ ، وَكَانَتْ فِيهِمْ كَثْرَةٌ .

ويقال : كَمَل ، وكُمِل كَمَالًا ، وكُمُولا ، فهو كَامِل وكَمِيل ، وتكَامَلَ ، وتكَمَّل ، وأَكَمَلَه ، واستكَمَلَه ، وكَمَّلَه : أَمَّه ، وجَمَّله . وأَعْطاه المَالَ كَمَلًا أى كَامِلًا . والمستكَمِل : من بَطَلَ الكَمال . والمِـكْمَل : الرجل الكَامِل للخير والشر . والتكَامُل ، والتكَمُّل ، والإِكْمال ، والاستكْمال ، والتكْميل كلها مصادر .

ولقد أعجب المستشرقون بثروة اللغة العربية ، وكلماتها التى لا حُدَّ لها ، واعترفوا جميعا بثروتها فى ألفاظها ومترادفاتها . وقد سَمى القاموس قاموساً محيطاً لأنه عميق مملوء بكثير من الجواهر الثمينة التى تخفى على الطالب المُنابر ، والبحَّاث المجد .

يقول (رينان) : « إن اغويا من العرب كتب فى متن اللغة رسالة ذكر فيها خمسمائة اسم للأسد » . وكتب آخر مائتى كلمة عن الثعبان . وقد قيل : إن الفيروزابادى كتب رسالة عن العسل ، وتركها من غير تكملة ، بعد أن ذكر ثمانين مترادفا لتلك الكلمة . ويقال : إن فى اللغة العربية أكثر من ألف كلمة مختلفة مرادفة لكلمة « سيف » . وإن (دى هامر بيرجستول^(١)) المستشرق الألمانى قد أحصى الكلمات التى تتعلق بالحمل فى أدب اللغة العربية فوجدها تبلغ ٥٧٤٤ كلمة .

فاللغة العربية حافلة بثروة لغوية عظيمة ، ويكفى دليلاً على صحة هذه الدعوى أن فى المهجور من ألفاظها سبعين ألف مادة لم تستعمل إلى اليوم . ذهب إلى ذلك المرحوم العلامة أستاذنا الشيخ أحمد الإسكندرى ، وقد كان فيما وضعه من أسماء الجواهر والفلزات فى المؤتمر الطبى ببغداد قبيل وفاته دليل آخر على أن اللغة العربية تشتمل على كنوز ثمينة من المفردات ، وإن كانت هذه اللغة لا تواتى بعض حاجة المخترعين ،

(١) De Hammer Burgstoll

فليس العيب فيها ، وإنما العيب واقع على أبنائها الذين أهملوها ، ولم يفتشوا عن ثرواتها الضخمة في كل علم وفن .

وليست اللغة العربية غنية في مفرداتها فحسب ، ولكنها غنية في صيغ قواعدها أيضا . وإن نظرة واحدة إلى صيغ جمع التكسير ، وصيغ المصدر ، واسم المصدر تدلنا على أن في اللغة العربية ثروة لفظية لا تحصى .

وقلما تمكننا القصائد الشعرية من تكوين فكرة واضحة عن لغة المحادثة ، لغة الحياة العادية عند العرب ؛ فالشعر العربي يختلف عن النثر ، لأن في الشعر ميلاً خاصاً إلى الصناعة والتأنق ، ومراعاة الوزن والقافية . أما القرآن الكريم فهو تنزيل من حكيم حميد ، ولا يمثل اللغة العربية في الشكل الذي كان يستعمل في المحادثة ؛ فهو فوق لغة البشر ، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله مهما أوتي من الفصاحة والبلاغة . والحق أن لغة المحادثة عند العرب تظهر في النثر العربي القديم ، من الخطب القديمة ، والأحاديث الشريفة ، وأقوال الخلفاء الراشدين ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ، وتاريخ الغزوات الحربية في العصر الجاهلي ، وفي المدة الأولى من صدر الإسلام . فهذه كلها من أحسن النماذج لأسلوب النثر العربي القديم .

وبالموازنة بين اللغة العربية ، وأي لغة أخرى من اللغات السامية الشمالية أو الجنوبية يمكننا أن نقول : إن اللغة العربية أغنى تلك اللغات جميعها ، ولا تقل في ثروتها عن اللغة اللاتينية أو الإغريقية قديماً ، ولا تقل عن الإنكليزية أو الألمانية أو الفرنسية حديثاً ، بل إننا لا نكون مدّعين إذا قلنا : إن اللغة العربية من حيث المفردات تفوق جميع اللغات الحية ، وتمتاز بضروب كثيرة من أسباب النمو التي منها : الاشتقاق والمجاز .

وإذا تأملنا قواعد النحو في اللغة العربية وجدناها منظمة مرتبة منطقية ؛ فلكل أداة شرط جواب ، ولكل فعل فاعل ، ولكل مبتدأ خبر ، وللفاعل موضع خاص في الجمال ، وللمفعول به موضع معين ، والفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب ، والمضاف إليه مجرور دائماً .

وإذا كانت الأفكار واضحة في نفس الكاتب أو الخطيب أو المؤلف ، فمن السهل جداً أن يعبر عنها بكثير من العبارات العربية الصحيحة .

يقول « نُولدِكه » المستشرق الألماني الكبير : « إن من الخطأ الشائع أن نظن أن اللغة العربية فقيرة لا تصلح لبحث الأمور المعنوية ؛ فعلى العكس يندر أن نجد لغة أخرى كاللغة العربية تصلح لأن تكون وسيلة للتعبير عن الفلسفة القديمة ، وأصول حكمة الأولين » .

وقد صدق « نُولدِكه » فيما قال ؛ فقد وسعت اللغة العربية كل ما ترجم إليها في العصر العباسي من الفلسفة والحكمة ، والطب ، والكيمياء ، والمنطق ، والفلك ، وكثير من العلوم الأخرى . وبهذا صارت اللغة العربية صاحبة السيادة العلمية والفلسفية والأدبية والدينية في ذلك العصر .

ولدى البدو القدماء ميل بفطرتهم لاستعمال الأمور المعنوية أو المجردة . وقد كان لهذا الميل أثر كبير في التعبيرات اللغوية عن الأمور المعنوية . ومن السهل أن تترجم إلى اللغة العربية في العصر الحاضر أي كتاب علمي أو فلسفي إذا كنت على علم دقيق بأصول العربية ، واقفاً على أسرارها ، متأدباً بأداب اللغة التي تترجم منها .

ولله درّ المرحوم حافظ إبراهيم بك شاعر النيل حيث قال في قصيدته :

[لسان حال اللغة العربية] : *جاءني على قفالي عينا مداعة لعلولة لاني و...*

وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً وما ضِقتُ عن آيٍ به وعِظَاتِ
فكيف أضيق اليومَ عن وصفِ آلهِ وتنسيقِ أسماءِ لِحَرَعاتِ ؟
أنا البحرُ في أحشائه ^(١) الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواصَّ عن صدَفاتي ؟
فيا ويحكم أبلي وتبلى محاسني ومنكم - وإن عزَّ الدواء - أساتي
فلا تَكِلوني للزمانِ فإنني أخافُ عليكم أن تحينَ وفاتي

سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يعزُّ عليها أن تلينَ قناتي ^(٢)
حفظنَ ودادي في البلى وحفظتهُ لمنَّ بقلبٍ دائمٍ الحشراتِ
وفاخرت أهلَ الغربِ - والشرقُ مطرقٌ - بقتلك الأعظمِ النخراتِ ^(٣)
أرى كلَّ يومٍ بالجرائدِ مَزَلَقاً ^(٤) من القبرِ يُدنيني بغيرِ أناةٍ
وأسمعُ للكتَّابِ في مصر ضجةً فأعلمُ أن الصائحين نُعاتي ^(٥)
أيهجرني قومي عفا الله عنهمُ إلى لغةٍ لم تتصلْ برواةٍ ؟
إلى معشرِ الكتابِ والجمعِ حافلٌ بسطت رجائي بعد بسطِ شكاتي
فإما حياةٌ تبعثُ الميتَ في البلى وتنبت في تلك الرموسِ ^(٦) رُفاتي
وإما مماتٌ لاقيامةً بعده مماتٌ لعمري لم يُقَسَّ بممات

يقول « إرنست ريفان » المستشرق الفرنسي : « إن مما يثير عجبني أن لغة
كاللغة العربية قد نشأت في بلاد صحراوية كبلاد العرب - تصل إلى درجة الكمال في

(١) أعماقه . (٢) رمحي . (٣) البالية . (٤) هفوة .

(٥) الناعي : الذي يأتي بخبر الموت . (٦) الرمس : تراب القبر .

خيـام البدو». ورينان معروف بشدة تعصبه ، وهو ضد العرب والساميين ، ومع ذلك قد اعترف بأن اللغة العربية لغة غنية ، صالحة للتعبير عن الأفكار الدينية والفلسفية والعلمية بطريقة لا وجود لها في أية لغة أخرى ، فهي تفوق أخواتها من اللغات السامية في ثروتها اللفظية ، وفي جمال تعبيرها ، وفي تركيباتها المنطقية في القواعد .

كانت اللغة العربية غنية بألفاظها وعباراتها قبل الإسلام ، فلما نزل القرآن الكريم ، وانتشر الدين الإسلامي في القرنين : السابع والثامن الميلاديين ، اتسعت ثروة هذه اللغة ، وأكسبها القرآن الكريم حياة جديدة ، وظهر جمالها في كل بلد أشرفت فيه شمس الإسلام . فكان للقرآن أثر فيها من الناحية اللغوية بزيادة مفرداتها ، وأما من الناحية الأدبية فقد أفاض عليها جمـالاً فنياً ، وبيانا سهلاً مؤثراً ، وأما من الناحية العلمية فقد أحدث فيها علوماً لسانية وبيانية وتشريعية من نحو وصرف وبلاغة ، وفقه وأصول .

وقد ظلت اللغة العربية حاملة لواء العلم حقبة طويلة من التاريخ تنتهي بانتهاء القرون الوسطى ؛ لأنها في هذا الزمن كانت لغة العلماء . وكان للقرآن الكريم أكبر الأثر في المحافظة على هذه اللغة في تلك العصور . وكان للشعراء والأدباء واللغويين نصيب آخر في المحافظة على تلك اللغة : قواعدها ومعاجمها ، وآدابها وتاريخها في القرون الوسطى ؛ فقد حافظوا على اللغة العربية القديمة ، ولم يستعبروا شيئاً من اللغة العامية المنتشرة بين العامة وغيرهم .

ولما فتح العرب بلاد الفرس بين (٦٤٠ - ٦٥١ م) اعتنق الشعب الفارسي الدين الإسلامي ، وحلت اللغة العربية محل اللغة الفارسية . فصارت لغة الدولة الرسمية ،

ولغة العلم والأدب . ولا يستطيع الإنسان أن يمر على هذا الحادث العظيم في التاريخ اللغوي للغة العربية من غير أن يذكر شيئاً من نتائجه .

ويسرنا أن نقتبس ما ذكره « نولدكه » في هذا الشأن حيث يقول : « إن اللغة اليونانية لم تؤثر في الحياة الفارسية إلا تأثيراً سطحياً ، ولكن العربية قد أثرت فيها كل التأثير ؛ فتدينت إيران بالدين العربي ، والأخلاق والعادات العربية » .

لم تصل إلينا اللغة العربية بجميع أوضاعها اللغوية ، وقد عجز الرواة عن رواية كل ما أنشأه العرب من شعر ونثر ؛ ولذلك جاءنا قل من كثير . ومع ذلك فقد كان في هذا القليل ثروة أدبية ضخمة ؛ فقد دون المتأخرون ما تلقوه ، وما سمعوه من النقات من الرواة عن أيام العرب وأخبارهم ، وأمثالهم وأشعارهم ، فبلغ ذلك ما بلغ من الأسفار حتى تجاوزت دوائر العد والحصر . وقد ذهب كثير من شعرهم ولغتهم وأخبارهم بذهاب الرواة ، وبقي في صدورهم ولم ينقل ، وأخذوا في أكتافهم كثيراً من علوم العرب وفنونهم حيث لم يجدوا من يطبع لهم تلك الذخائر فيحفظها ويصونها لهم ^(١) .

وكان لكل شاعر عربي رواية يحفظ عنه ما يقول ذلك الشاعر وما ينشده حين يصول ويجول . وكان كل رواية من الرواة يحفظ من القصائد والأراجيز ، وفنون الشعر ، ما يفوت العد والحصر . قال الأصمعي وهو من متأخري الرواة : « ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب » .

(١) قال أحد العراقيين :

وأخذت في كفى علوماً لم أجد من يحفظنَّ حقوقها ويصون
ورقيق أسرار جعلت لها الحشا مستودعاً هي في الدفين دفين

وكان خلف الأحمر أروى الناس للشعر، وأعلمهم بجيده، ولا يكاد يمتري أحد في أن العرب كانوا أحفظ الناس، حتى أن الهمداني ادعى في كتاب «الوشى المرقوم» أنه لم يصل أحد إلى أخبار العرب والعجم إلا بالعرب^(١).

وفي مقدمة «أقوم المسالك» بتصرف أن الآداب كانت قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم، تؤدي بلغتين: الحميرية في اليمن، والقرشية في الحجاز. وباللغة الثانية لغة قریش جاء القرآن الكريم، ولم تدخل العجمة في اللسان إلا بدخول الأمم المختلفة في الإسلام، وتطاول السنين. ولا يخفى مافى اللغة العربية من اتساع وسعة في المجال، لا سيما في الأشياء التي تتصل بمعيشتهم في البادية، أو تتكرر رؤيتهم لها، أو تكثر حاجتهم إليها؛ فقد يكون للشئ الواحد عدة أسماء بمراعاة تعدد أحواله وصفاته. وبكثرة الترادف عند العرب اتسعت لهم دائرة الشعر، فلعل ثمانون اسماً، ولشعبان مائتان، وللأسد خمسمائة، وللجمل ألف، ولل سيف ألف كذلك، وللدا هية أربعة آلاف اسم. ولا شك أن استيعاب مثل هذه الأسماء يستدعى حافظة واعية، وذائكة قوية. وللعرب من قوة الحافظة والذاكرة، وحدة الفكر مالا يستطيع أحد أن ينكره. ومن مشهورهم حماد الراوية الذي ذكر يوماً للخليفة الوليد أنه ينشد له في الحال مائة قصيدة، وكل قصيدة من عشرين إلى مائة بيت، فتعجب المستمع قبل أن يتعجب المنشد.

(١) ارجع إلى كتاب «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»، للسيد محمود شكرى الألوسى البغدادى ص ٣٩، ج ١ الطبعة الثانية. المطبعة الرحمانية (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م)

(٢) نقل ذلك عن تاريخ دروى وزير المعارف بفرنسا.

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الشعر علم قوم ، ولم يكن لهم علم أصبح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب فى الأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يرجعوا إلى ديوان مدوّن ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك . وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا قلّ ذلك ، وذهب عنهم كثره . وقال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا قلّه ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير » .

وعن حماد الراوية قال : أمر النعمان بن المنذر فنسخت له أشعار العرب فى السكراريس ، ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبى عبيد الثقفى قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار . فمن ثمّ كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة .

ولما كنا قد قررنا لك أن اللغة العربية من أغنى اللغات كلاماً ، وأوسعها عبارات وأمثالاً وحكماً ، سنضع أمامك فصولاً صغيرة ، فى نواحٍ متعددة من المعانى ، مراعين الاختصار فيما نقول ، وقد اخترنا هذه الأمشاج من الجزء الثانى من كتاب « نبعة الرائد وشرعة الوارد » لليازجى ، يقول :

١ — فى العلم والعلماء :

يقال فلان من ذوى العلم ، ومن حَمَلَة العلم ، ومن أولى العرفان ، ومن العلماء المحققين ، ومن الراسخين فى العلم ، ومن ذوى البَسْطَة^(١) فى العلم . وإن فلاناً لعالمٌ

(١) التوسع .

علامة ، وعالم نحرير^(١) ، وعالم فاضل ، وهو من صدور العلماء وأعلامهم ، وأفاضلهم وخولهم . وهو عالم أمته ، وإمام وقته ، وعالم عصره ، وهو علامة العلماء ، وعميدهم ، وعمدتهم ، وإمامهم وقودتهم .

وتقول : فلان بحر العلم الزاخر ، وبدر العلماء الزاهر ، وكوكبهم اللامع ، ونبراسهم^(٢) الساطع .

ويقال : تَصَلَّحَ^(٣) فلان من العلم ، وتَبَحَّرَ فيه ، وتعمَّق ، وأوْغَلَ^(٤) في البحث ، وأَمَعَنَ في التنقيب ، وتَقَصَّى في التدقيق . وقد اسْتَجَلَى غوامض العلم ، وخاض عُبابه^(٥) ، وأحصى مسائله ، واستَقْرَى^(٦) دقائقه ، واستخرج مَخْبَأَتَه ، وَحَصَّ^(٧) حقائقه ، ووقف على أغراضه ، وجمع أشغالاته ، واستقصى أطرافه ، وأحاط بأصوله وفروعه .

وهو حُجَّة في علم كذا ، وإمام في علم كذا ، وهو عالم فَنِّه ، وواحد فَنِّه ، وهو من ثقات هذا العلم ، وهو فيه راسخ القدم ، طويل الباع ، غزير المادة ، واسع الاطلاع . وإنه لبحر لا يُسْبَرُ^(٨) غَوْزُهُ ، ولا يُنَال دَرَكَهُ^(٩) ، وهو إمام عصره غير مُدَافِع ، ورئيس فَنِّه غير مُعَارِض .

ويقال : فلان من طلبة العلم ، وانقطع لطلبه ، وخلأ لطلبه ، وتخلَّى له ، وقَصَرَ عليه نفسه ، ووقف عليه جهده ، وقد نبغ فيه . وخَرَّجَه^(١٠) فلان ، وتخرَّجَ على فلان ، وهو خَرِيْجُه^(١١) . وقد حَذَقَ علم كذا ، ومهره ، ومهر فيه ، وأتقنه وأحكمه ،

(١) حاذق متقن (٢) مصباحهم (٣) امتلاء (٤) أبعد (٥) معظمه (٦) تتبع (٧) خالص (٨) لا يقاس عمقه (٩) نهايته (١٠) أى درجته ومرتبته (١١) أى تلميذه الذى تخرج على يديه

ومَلَكِ عِنَانَهُ ^(١) ، ومَلَكِ قِيَادَهُ ^(٢) وتَوَقَّرَ حَظَّهُ مِنْهُ ، وأَخَذَ مِنْهُ مَكَانَهُ ، وبلغَ مِنْهُ
مَوْضِعًا جَلِيلًا ، وأَصْبَحَ مَنْ يَرْمِي بِالْأَبْصَارِ ، وَيُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ^(٣) .
وتَقُولُ : طَلَبْتَ الْعِلْمَ عَلَى فُلَانٍ ، وَوَقَفْتَ فِيهِ عَلَى فُلَانٍ ، وَدَرَسْتَهُ عَلَيْهِ ،
وَحَصَّنْتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَخَذْتَهُ عَنْهُ ، وَاقْتَبَسْتَهُ عَنْهُ ، وَتَلَقَّيْتَهُ عَنْهُ ، وَتَلَقَّنْتُهُ مِنْهُ ، وَقَدْ تَأَدَّبْتَ
عَلَيْهِ ، وَتَخَرَّجْتَ عَلَيْهِ ، وَسَمِعْتَ عَلَيْهِ كِتَابَ كَذَا ، وَقَرَأْتَ عَلَيْهِ عِلْمَ كَذَا .
وهُوَ مُوَقَّفِي وَمَدْرَسِي ، وَمُؤَدِّبِي وَمُخَرِّجِي ، وَشَيْخِي وَأُسْتَاذِي .
وَقَدْ اسْتَضَاتُ بِمَشْكَائِهِ ^(٤) ، وَاسْتَفَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا ، وَاقْتَبَسْتُ مِنْهُ عِلْمًا ، وَحَمَلْتُ
عَنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا ^(٥) .

٢ — فِي الْأَدَبِ :

يُقَالُ فُلَانٌ أَدِيبٌ فَاضِلٌ ، بَارِعٌ مُتَفَنِّنٌ ، غَزِيرٌ الْأَدَبِ ، وَاسِعُ الرِّوَايَةِ ،
وَاسِعُ الْإِطْلَاعِ .
وَإِنَّهُ لَكَاتِبٌ مُجِيدٌ ، وَشَاعِرٌ بَلِيغٌ ، بَلِيغٌ الْعِبَارَةِ ، لَطِيفٌ الْكُنَايَاتِ ، بَدِيعُ
الِاسْتِعَارَاتِ ، حُلُوُّ الْمَجَازِ ، مُسْتَمَلِحُ السَّجْعِ ، مُسْتَعَذَّبُ النِّظْمِ .
وَإِنْ لَهُ ثَرَا آتَقَ مِنَ النُّوْرِ ^(٦) فِي الْأَكْثَامِ ^(٧) ، وَسَجْعًا ^(٨) أَطْرَبَ مِنْ سَجْعِ
الْحَمَامِ ، وَنَظْمًا أَحْسَنَ مِنَ الدُّرِّ فِي النِّظَامِ . وَإِنْ أَلْفَاظُهُ الزَّلَالُ أَوْ أَرْقُ ، وَمَعَانِيهِ
السَّحَرُ أَوْ أَدَقُّ . إِذَا تَكَلَّمَ مَلَكُ الْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ ، وَإِذَا أَخَذَ الْقَلَمَ تَدَفَّقَ تَدَفُّقَ

(١) مِنْ عِنَانِ الْفَرَسِ ، وَهُوَ : سَيْرُ اللَّجَامِ (٢) مِنْ قِيَادِ الدَّابَّةِ وَهُوَ رَسْنُهَا

(٣) أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ (٤) بِمَصْبَاحِهِ (٥) أَرْجِعْ إِلَى كِتَابِ نَجْمَةِ الرَّائِدِ وَشَرْعَةِ الْوَارِدِ
لِلْيَازِجِيِّ ج ٢ طَبْعَةُ مَطْبَعَةِ الْمَعَارِفِ ١٩٠٥ ص ٢ - ٦ (٦) الزَّهْرُ (٧) الْأَكْثَامُ جَمْعُ كَمْ وَهُوَ
غُلَافُ الزَّهْرَةِ (٨) تَفْرِيدًا .

الْيَعْبُوبُ^(١) . وإِنَّهُ لَمَتَضَلِّعٌ مِنْ فَنُونِ الْأَدَبِ ، عَارِفٌ بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ ، بَعِيدٌ بِمَذَاهِبِ
الْكَلَامِ ، عَلِيمٌ بِمَوَاضِعِ النِّقْدِ ، وَهُوَ مِنْ خَوَاصِّ أَهْلِ الْأَدَبِ وَأَتَمَّتْهُمْ . وَإِنْ لَهُ الْيَدُ
الطُّوْلَى فِي صِنَاعَةِ الْأَدَبِ ، وَلَهُ الْقِدْحُ الْمُعَلَّى فِي صِنَاعَتِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ^(٢) .

٣ — فِي الْحِفْظِ :

يُقَالُ فُلَانٌ وَعِيٌّ ، سَرِيعُ الْحِفْظِ ، وَاسِعُ الْحِفْظِ ، قَوِيُّ الْحَافِظَةِ^(٣) ، قَوِيُّ الذَّاكِرَةِ ،
قَوِيُّ الذِّكْرِ ، بَعِيدُ النِّسيَانِ . وَقَدْ حَفِظَ الْكِتَابَ وَاسْتَظْهَرَهُ ، وَوَعَاهُ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِهِ ،
وَأَدَّاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ ، وَعَنْ ظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَقَدْ ارْتَسَمَ عَلَى لَوْحِ قَلْبِهِ ، وَانْطَبَعَ عَلَى لَوْحِ
حَافِظَتِهِ ، وَعَلَقَتَهُ حَافِظَتُهُ ، وَوَعَتَهُ ذَاكِرَتُهُ .

وَفُلَانٌ غَايَةٌ فِي الْحِفْظِ ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي قُوَّةِ الْحَافِظَةِ ، إِذَا تَلَا عَنْ لَوْحِ
قَلْبِهِ فَكَأَنَّمَا يَتْلُو فِي لَوْحِ مَسْطُورٍ .

وَتَقُولُ فُلَانٌ ضَعِيفُ الذَّاكِرَةِ ، بَلِيدُ الذَّاكِرَةِ ، ضَيِّقُ الْحَافِظَةِ ، قَلِيلُ الْحَفُوظِ .

٤ — فِي التَّأْلِيفِ :

تَقُولُ : هَذَا كِتَابُ نَفِيسٍ جَلِيلٍ ، جَامِعٌ ، غَزِيرُ الْمَادَّةِ ، جَمُّ الْفَوَائِدِ ، قَرِيبُ الْمَنَالِ ،
دَانِي الْقُطُوفِ^(٤) ، سَهْلُ الْأَسْلُوبِ^(٥) ، عَذْبُ الْمَوْرِدِ ، نَاصِعُ الْبَيَانِ ، وَاضِحُ التَّعْبِيرِ ،
تُدْرِكُ فَوَائِدَهُ عَلَى غَيْرِ مَثُونَةٍ^(٦) ، وَلَا كَدَّ ذَهْنٍ ، وَلَا جَهْدَ فِكْرٍ ، وَلَا إِرْهَاقَ خَاطِرٍ .

(١) الجداول الكثير الماء (٢) ارجع إلى نجعة الرائد ، وشرعة الوارد ، لليازجى ، ج ٢ ص ٦ - ٧

(٣) القوة التي تحفظ (٤) جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف من الثمر (٥) الطريقة

(٦) كلفة .

وقد تصفحت مؤلف كذا فإذا هو كتاب أنيق ، حسن ، فصيح الخطبة ، حسن الديباجة : مُحْكَمُ الوضع ، متناسق التبويب ، مُطَرِّدُ الفصول ، وهو كتاب فريد في فنه ، مبسوط العبارة ، مُسَهَّبُ الشرح ، مُستوعِبُ^(٢) لأطراف الفن ، قد استوعب أصول هذا العلم ، وأحاط بفروعه ، واستقصى غرائب مسائله ، ولم يدعْ أبدًا^(٣) إلا قيدها ، ولا شاردة إلا ردها إليه : لم يُصنّف في بابهِ أجمع منه ، وقد نُزّه عن التعقيد والإشكال ، والإبهام واللبس ، واللغو^(٤) والحشو^(٥) والركاكّة .

وتقول هذا مؤلف مختصر ، وجيز وموجز ، مُدْمَجُ التّأليف ، مُحْكَمُ الحدود ، جَزَلُ التعبير ، قد لُخِّصَتْ فيه قواعد العلم أحسن تلخيص ، وحرّرت مسائله أحسن تحرير .

وعليه شرح لطيف كافل ببيان غامضه ، وإيضاح مُبْهِمِهِ ، وحلّ مشكله ، وتفصيل مُجْمَلِهِ ، وبَسْطُ موجزه ، وتقريب بعيدهِ ، والكشف عن دقائق أغراضه ، ومكنون أسرارهِ .

٥ — في الفصاحة :

تقول هذا كلام فصيح مُحَبَّرٌ^(٦) ، متخير الألفاظ ، مُنتَقَى الأساليب ، مهذب اللفظ ، مُنَقَّحُ العبارة ، مُحْكَمُ السَّبْكِ .

وهذا كلام عليه طابعُ^(٧) الفصاحة ، وعليه رونقُ^(٨) الفصاحة ، وقد خلعت الفصاحة عليه زخرفها ، وقد نسج على منوال^(٩) الفصاحة ، وطبع على غرار^(١٠) الفصاحة ، وكأنه الدرّ المرصوف^(١١) ، واللؤلؤ المنصود .

(١) مطول (٢) مستوف (٣) مسألة شاردة (٤) ما لا معنى له (٥) ما زاد في الكلام بغير فائدة (٦) منق (٧) أثرها وعلامتها (٨) من رونق السيف وهو : مأوه وطلاوته (٩) نول (١٠) الغرار القالب ، يصنع الشيء على مثاله (١١) المنظوم .

وتقول في التفصيل : هذا كلام فصيح جَزَلٌ ^(١) ، فَخْمٌ متين الحبك ^(٢) ، مُحْكَم النسيج .

وفلان مطبوع على جزالة الألفاظ ، وفخامة الأساليب - ويقال : هذا كلام رقيق عَذْبٌ ، سائغ سهل ، رشيق ، سَلِسٌ ، رخم الحواشي ، رقيق الحواشي ، خفيف على السمع ، سهل على الألسنة ، حسن الانسجام ، يدخل الأذان بلا استئذان ، يفعل بالألباب فعل السحر ، وتعشقه الأسماع لعذوبته .

وتقول في ضد ذلك : هذا كلام غليظ فَظٌّ ، جافٌ نافر ، ثقیل على السمع ، ثقیل على الألسنة ، تَمْجُّهُ ^(٣) الأسماع ، وتنبو ^(٤) عنه الأذان .

وتقول : هذه لغة مهجورة ، وألفاظ متروكة ، وإنها للغة وَحْشِيَّةٌ ، ولغة حُوشِيَّةٌ . وتقول : هذا كلام ركيك ، سخي ، سقيم ، ساقط ، مبتذل ، سُوقِيٌّ الألفاظ ، لم يُحْكَمْ طبعه ، ولم يُعْنِ ذوقه ، وليس عليه للفصاحة ظل ، وليس عليه للجزالة رَوْنَقٌ ^(٥) . وإنه لكلام تَمْجُّهُ الأذواق السليمة ، وتقتحمه ^(٦) الملكات الراسخة ، وهو مما لَا كِتْمَهُ ^(٧) الأفواه حتى يَجْتَنَهُ .

وتقول في وصف متكلم : رجل فصيح لَسِنٌ مُفَوِّهٌ ، فصيح اللفظ ، فصيح اللسان ، فصيح المنطق ، حُرُّ الكلام ، جَزَلُ الخطاب ، بَيِّنُ اللمجة ، حَسَنُ السَّبْكِ ، سليم الذوق ، لطيف الذوق ، بصير باختيار الألفاظ ، عليم بمواقع الكلام ، يتخير من الألفاظ أحسنها مسموعا ، وأقربها مفهوما .

(١) خلاف الرقيق (٢) النسيج (٣) تقذفه وتلفظه (٤) تصد وتعرض (٥) طلاوة

(٦) تزدرية (٧) مضغته

وإنه لا يُعلم أفصح منه منطقاً ، ولا أبين عبارة ، قد أنزلت الفصاحة على لسانه ، وأعطته الفصاحة قيادها ، وهو أفصح من نطق بالضاد ، وأفصح من سحبان^(١) وائل .
وتقول في خلاف ذلك : هو رجل ثقیل اللسان ، كليل اللسان ، بطيء المنطق ، مُتَكَكِّي المنطق ، وإنه لرجل أعجم ، وبالرجل عُجْمة ، وبه لُكْنَة ، وهى العُجْمة والعِي .

وهو رجل أَلَفٌ ، وهو العِيّ البَطِيء الكلام ، إذا تكلم ملاً لسانه فيه .
وكلمته فتلجلج في جوابه ، وهو رجل لَجَلَج ، وفي منطقهِ حُبْسَة ، وعُقْلَة ، وعُقْدَة ، وقد عُقِدَ لسانه . ويقال : قد توقف الرجل في كلامه ، وتلجلج وتلكأ وتلعثم .

ويقال : رجل تَأْتَأ : وهو الذى يتردد فى التاء إذا تكلم ، ورجل تَمْتَأ : وهو الذى يرد الكلام إلى التاء والميم ، ورجل فَأَفَاء : وهو الذى يتردد فى الفاء .

ويقال : تفصّح الرجل وتفصّح إذا تكلف الفصاحة ، أو تشبه بالفصحاء . وإنه يتشّدّق فى كلامه إذا لَوَى شِدْقَه^(٢) للتفصّح - ويقال قد تقعرّ فى كلامه ، وتعمّق ، وتفهمّ ، وتفهيّق إذا تكلم من أقصى الفم .

٦ - فى البلاغة :

يقال : هذا كلام بليغ ، مُشْرِق المعانى ، مُتِلَافٍ الأطراف ، مُتَنَاسِقٍ الأجزاء ، أَخِذٌ بعضه بأعناق بعض .

(١) هو رجل من باهلة يضرب به المثل فى الفصاحة ، وكان من خطبائها وشعرائها . قيل إنه خطب فى صلح بين حين نصف يوم فما أعاد كلمة (٢) جانب فيه .

وتقول: هذا كلام بالغ حد الإعجاز، وإنه لكلام يملك القلوب، وَيَسْتَرِقُ الأفهام، وَيَسْتَعْبِدُ الأسماع - وهو عنوان البيان، وآية البراعة، تتمثل البلاغة في كل فقرة من فقره، تكاد تدركه الأفهام قبل الأسماع.

وتقول في ضده: هذا كلام غث^(١)، سقيم، فاسد المعاني، مُضْطَرِبُ المباني^(٢)، قَلِقُ التراكيب، مُخْتَلِ الأداء، بَادِي التكلف، قد فَشَتْ فيه الركاكة والخلط واللغو. وإنه لكلام مُبْهِمٌ مُغْلَقٌ مُعَقَّدٌ، ينبو^(٣) عنه الفهم، وتحار فيه البصائر، وتعرض عنه القلوب، لا يَشِفُ ظاهره عن باطنه، وإنما هو ألفاظ مسرودة، وجمل متقطعة، مُتَنَاوِرَةٌ اللَّحْمَةِ، سقيمة المعاني، مُلْتَبِسَةٌ التعبير، كأنها ضرب من المُعَمِّيَّاتِ، وكأنها رَطَانَةُ الأعجام.

وتقول في وصف المتكلم: رجل بليغ الكلام، بليغ العبارة، رصين التعبير، واضح الأسلوب، مُشْرِقُ الدِّيَابِجَةِ، يضع لسانه حيث شاء، ويبلغ بكلامه كُنْهَ القلوب، سَخَّرَتْ له الألفاظ، وأوتِيَ فصل الخطاب^(٤).

هو من أمراء الكلام، إذا افْتَنَّ فِتْنِ الألباب، وسحر العقول، وَخَابَ الأسماع. وإن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب، وإن كلامه العسل أو أعذب، وإن بيانه السحر أو أغرب، وإن كلامه أُنْدَى على الأفئدة من زلال الماء، وإنه لآية من آيات الله في بلاغة التعبير، وهو أبلغ من الجاحظ، وأبلغ من قس بن ساعدة.

وتقول في خلاف ذلك: فلان عَيِيٌّ، وعَيِيٌّ وَفَهُ، عَيِيٌّ اللسان، حَصِرُ اللسان، كَلِيلُ الذهن، بليد الطبع، جامد القريحة، خامد الفكرة، مُظْلِمُ العبارة، مُنْحَطٌّ

(١) لا طلاوة عليه (٢) الألفاظ (٣) يرتد (٤) القول الفاصل بين الحق والباطل.

عن مقامات البغاء ، قد ملكت لسانه الركاقة ، وملك ذهنه العي . وإن به لعيًا فاضحا ، وهو أعيان من باقل^(١) .

٧ — في الخطابة :

يقال : فلان خطيب مصقع^(٢) ، قوى العارضة^(٣) ، فسيح الباع ، بعيد الغاية ، طلق البديهة ، سمح القريحة ، حسن البيان ، ناصع البيان ، عذب المنطق ، خلّاب المنطق ، رفيع الصوت .

وإنه لفصيح بليغ ، طليق اللسان ، سريع الخاطر ، ثبت^(٤) البديهة ، حاضر الذهن^(٥) ، كأنما يتلو عن ظهر قلبه ، لا يتككأ^(٦) في منطقته ، ولا يتلجلج ولا يتكلم ، ولا يتوقف^(٧) ، لا تناله حُبسة^(٨) ، ولا ترهقه^(٩) عُقلة^(٩) ، تجري الفصاحة بين شفثيه ، وتجري البلاغة بين لسانه وفؤاده ، إذا تكلم تحدّر تحدّر السيل ، وتدقق تدقق اليعسوب^(١٠) ، وملا الأسماع والقلوب .

وإن فلانا صادق الفراسة بما في الضمائر ، كأنه اطلع على ما تكن^(١١) أخفاء^(١٢) الضلوع ، وكأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، وقد فجر الله ينابيع الحكمة على لسانه ،

(١) رجل من بني إباد ، اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فعرضه على منكبيه ، وأمسكه بيديه من وراء .
ولما كان في بعض الطريق سئل : بكم اشتريت هذا الظبي ؟ فأشار بأصابعه العشر ، ومد لسانه ؛
كناية عن الأحد عشر . فأفادت الظبي ، ولحق بالصحراء . (٢) بليغ (٣) البيان (٤) ثابت
(٥) ارجع إلى نجعة الرائد ، ج ٢ ص ١٣ — ٢٠
(٦) يتوقف (٧) احتباس منطق (٨) تدركه (٩) حُبسة (١٠) النهر الشديد الجري
(١١) تنحني وتستتر (١٢) جمع حنو بالكسر وهو كل ما فيه اعوجاج من البدن

وَتَدَفَّقَتْ سُبُولَ الْبَلَاغَةِ عَلَى لِسَانِهِ ، إِذَا أَفَاضَ فِي كَلَامِهِ مَلَكَ أَعِنَّةً ^(١) الْقُلُوبَ ،
وَقَوْمَ زَيْغٍ ^(٢) الْنفُوسَ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَبْصَارَ ، وَسَكَنَتْ الْجَوَارِحَ ^(٣) ، وَخَفَقَتْ
الْأَفْعِدَةَ ، وَطَارَتْ الْنفُوسُ خَشْيَةً وَرِقَّةً .

وَيُقَالُ فِي الذَّمِّ : فَلَانٌ مُتَشَدِّقٌ ^(٤) ، ثَرْتَارٌ ^(٥) ، غَثُّ الْمَنْطِقِ ، تَفَهُ ^(٦) الْكَلَامِ .
إِذَا تَكَلَّمَ انْصَرَفَتْ عَنْهُ الْوُجُوهُ ، وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ الْقُلُوبُ ، وَانْقَبَضَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ ،
وَسَمِّمَتْهُ الْنفُوسُ .

٨ - فِي الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ :

يُقَالُ : فَلَانٌ كَاتِبٌ مُجِيدٌ ، بَارِعٌ مُتَأَنِّقٌ ^(١) ، مُتَفَنِّنٌ ، رَشِيقٌ اللَّفْظُ ، مُنَمِّقٌ الْعِبَارَةُ ،
بَدِيعٌ الْإِنْشَاءُ ، صَحِيحٌ الدِّيَابِجَةُ ، حَسَنُ التَّرْسُلِ ، مُصْقُولٌ الْعِبَارَةُ ، سَهْلٌ الْأُسْلُوبُ ،
نَاصِعٌ الْبَيَانُ ، سَلِيمٌ الذَّوْقُ ، مُتَفَنِّنٌ فِي ضُرُوبِ الْخَطَابِ ، مُقْبُولٌ الْإِطْنَابُ ، بَلِيغٌ
الْإِيْجَازُ ، قَدْ أُنْزِلَتْ الْفَصَاحَةُ عَلَى قَلَمِهِ ، وَأُنْزِلَتِ الْبَلَاغَةُ عَلَى فَوَادِهِ .
وَإِنَّهُ لَمَنْ أَغْزَرَ الْكِتَابَ مَادَّةً ، وَأَطْوَلَهُمْ بَاعًا ، وَأَوْسَعَهُمْ مَجَالًا ، وَأَشْرَعَهُمْ خَاطِرًا .
وَإِنْ فَلَانًا لَمَنْ أَكْبَرَ الْكِتَابَ ، وَمَنْ الْكِتَابَةُ الْمَجِيدِينَ ، مُتَقِنٌ لِأَدْوَاتِ الْكِتَابَةِ
وَالْإِنْشَاءِ ، مُتَضَلِّعٌ مِنْ عُلُومِ الْأَدَبِ ، مُحِيطٌ بِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ ، حَافِظٌ لِأَقْوَالِ الْفَصَحَاءِ ،
وَخَطَبُ الْبَلْغَاءِ ، مُطَّلِعٌ عَلَى أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، جَامِعٌ لِلْحِكَمِ الْمُسْطَوْرَةِ ، وَالْأَحَادِيثِ
الْمَنْقُولَةِ ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ طَرَائِفِ الْكَلَامِ وَلَطَائِفِهِ وَنَوَادِرِهِ ، عَارِفٌ بِفَصِيحِ
اللُّغَةِ وَرَكِيكِيهَا ، عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ اللَّفْظِ وَاشْتِمَاقِهِ ، وَحَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ .

(١) جَمْعُ غَنَانٍ وَهُوَ سَيْرُ الْجَمَامِ (٢) اعْوَجَاجُ (٣) الْأَعْضَاءُ

(٤) يَلْوِي شِدْقَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ (٥) كَثِيرُ الْكَلَامِ (٦) لَا مَعْنَى لِكَلَامِهِ

وإنه ليتعهد^(١) كلامه ، ويبالغ في تنقيحه وتهذيبه ، لا ترى في كلامه ركافة ولا تعسفاً ، ولا قلقاً ولا تكلفاً .

ويقال في الذم : فلان من ضعاف الكتّاب ، سقيم العبارة ، ضعيف الملكة ، متطفل على موائد الكتبة ، بعيد عن مذاهب البلغاء ، عامي اللفظ ، مبتذل التراكيب ، ضعيف النقد ، سيئ اختيار الألفاظ ، لم يصفح راحة الأدب ، ولم يرتفع أخلاف^(٢) الفصاحة ، وقد ألف مضاجع الركافة ، قعد به طبعه عن مجاراة البلغاء^(٣) .

٩ — في الشعر :

يقال : فلان شاعر متفنن ، مجيد مُفلق^(٤) ، بليغ خل ، بعيد الغاية ، رفيع الطبقة ، وهو شاعر عصره غير مدافع ، وشاعر مطبوع ، وهو من فحول الشعر ، ومن أمراء الشعر ، وزعماء القول ، جيد الشعر ، رصين الشعر ، مُنضد^(٥) اللفظ ، مرصف^(٦) المعاني ، رائق الأسلوب ، رشيّق اللفظ ، دقيق المعنى ، دقيق الفكر ، لطيف التخيّل ، شريف المعاني ، ليس في شعره تكلف ولا تعسف^(٧) ، ولا تعقيد ولا غموض ، ليس فيه حشو ولا لغو ، ولا ترى في قوافيه قلقاً ولا ضعفاً ولا نفوراً .

ويقال : فلان من قالة الشعر ، وصاغة الشعر ، وصاغة القريض^(٨) ، وإن له شعراً صافي الديباجة ، كثير الطلاوة^(٩) والطرف والبدائع ، وإن شعره ليتدفق سلاسة ،

(١) يراجع وينقحه (٢) جمع خلف بالكسر وهو للناقة كالضرع للشاة .

(٣) ارجع إلى (نجعة الرائد ج ٢ ص ٣٠ — ٣٥)

(٤) يأتي بالعجيب في شعره (٥) منسق (٦) منسق (٧) أن يأتي المعنى من غير وجهه

(٨) الشعر (٩) الرونق

يجول فيه رونق الحسن ، رائق النسيب ، حلو التغزل ، حسن التشبيهات ، بديع الاستعارات ، لطيف الكنايات .

وفلان إذا رام نظم الشعر قامت الألفاظ في خدمته ، وتلبَّبت^(١) المعاني لدعوته ، ولا يزال يأتي بالبيت النادر ، والحكمة البليغة ، والمعنى البديع .

وإنه ليستكر المعاني ويتدعها ، وهذا معنى لم يسبق إليه ، ولم ينازعه فيه منازع .

وإن فلاناً لينظم اللائ ، ويُسكرُ الألباب ، ويسحرُ العقول ، ويخلبُ^(٢)

القلوب ، وكأن معانيه السحر الباطلي ، وكأن كلامه قد صيغ من خالص النضار ، وإنه لشعرٌ حرىُّ بأن يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق في كعبة الفخر .

وهذا الشعر من قلائد فلان ، ومن فرائده ، ونفائسه ، وبدائعه وغرره وحسناته .

ويقال : نبغ فلان في الشعر إذا أجاده ، ومن ينظم الشعر وينسجه ، ويحوجه

ويصوغه ، ويقرضه وينشئه .

وإنه ليرتجل الشعر ويتدَّهه ، ويقول على البديهة ، وهذه الأبيات من عفو^(٣)

الساعة ، ومن فيض الخاطر ، وفيض القريحة ، وإنه لسريع الخاطر ، طلق البديهة ،

فيّاض القريحة ، حاضر الذهن .

وتقول في الذم : فلان شاعر ضعيف ، سخيّف النظم ، مهلهل الشعر ، مقصّر

عن طبقة الفحول من الشعراء ، لا ملكة عنده للنظم ، وليس في سليقته الشعر .

وإنه متخلف الطبع ، سقيم الخاطر ، ناضح القريحة ، خامد البديهة ، صلد^(٤)

الخاطر .

(١) تجمعت (٢) يندع (٣) مما أخذ لحينه على غير كلفة (٤) صلب

وإنما هو شُويعر ، وشُعْرُور ، ومتشعّر ، رث الألفاظ ، قلق الأساليب ، سقيم المعاني ، مبتذل المعاني ، فاسد التعبير ، كثير التكاف ، شديد التعمّل ، وهو ينظم بالصنعة ، وإنما هو عَرُوضيّ ، وإنما هو مقطّع أبيات ، ووزان التفاعيل . وإنما هو وِزَّان لا شاعر ، وإن شعره لتافه في الذوق ، وإنه لجاف الكلام ، ليس على كلامه بِلَّة الفصاحة ، وليس على شعره طلاوة ولا حلاوة ، ولا رونق ولا رشاقة ولا بدهاة ، ولا قدرة له على الاختراع ، ولا فضل فيه للاستنباط . ولا تكاد ترى في كلامه إلا مترقعا^(١) .

وتقول : هذه قصيدة عائرة^(٢) ، وقافية شاردة .

ويقال : هذه قصيدة من غُرَر^(٣) القصائد ، ومن عيون الشعر ، ومن محكم الشعر وجيده . وهذه قصيدة حذاء أو منقطعة القرين ، وهي من قلائد الشعر أى البواقى على الدهر . وهذه قصيدة حكيمة أى فيها كلام حكمة ، وهذا البيت فقره هذه القصيدة ، أى أجود بيت فيها ، وهو بيت القصيد .

وتقول : هذه قصيدة من سفساف الشعر أى من رديئه .

وتقول : شعر فلان أحسن من حوليات زهير ، وأحسن من اعتذارات النابغة ، وحماسيات عنتره ، وهاشميات الكميت ، ونقائض^(٤) جرير ، وخمريات أبي نواس ، وتشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبي العتاهية ، وروضيات^(٥) الصنوبريّ ، ولطائف كشاجم .

(١) موضع إصلاح (٢) من قولهم عار الفرس يعير إذا ذهب على وجهه (٣) خيارها (٤) التي ناقض بها الفرزدق في الهجاء (٥) قصائده في وصف الرياض

١٠ — في النقد :

يقال : نقدتُ الكلام وانتقدته ، وتدبرته ، وتأملتُه ، وتبصَّرتُه وميَّزته ، ونظرتُ فيه ، وأعملت فيه النظر ، وقلَّبت فيه النظر ، وأنعمت فيه النظر ، وحكمتُ معدنه ، وسبرتُ^(١) غَوْرَه ، وعجَّمتُ عوده أى اختبرتُ صلابته .

وفلان نقَّاد بصير من جهابذة^(٢) أهل العلم ، ومن ذوى البصائر النافذة ، صحيح النقد ، صائب الفكر ، ثاقب النظر ، دقيق النظر ، شديد التقييم ، دقيق البحث ، بعيد الغور^(٣) ، يغوص على الحقائق ، ويكشف عن الغوامض ، خير بمحاسن الكلام ومساوئه ، عليم بصحيحه وفاسده ، بصير بجيده وسفْسافه .

وتقول : هذا كلام لا يثبت على النقد ، وإن فيه لمطعناً وماخذاً ، ومغمزاً ، وفيه موضع للنقد ، وموضع للقول .

وتقول : هذا كلام لم يصدر عن علم راسخ ، ولم يُملِه علم صحيح ، إنما هو ضربٌ من الخبطِ أى التكلم على غير هدى ، وهو بعيد عن جادة^(٤) الصواب ، وإن بينه وبين الصواب مراحل .

وقد كان الوجه أن يقال كذا ، والصواب أن يقال كذا ، ولو قيل في موضعه كذا لكان أسلم ، وكان أقرب إلى الصواب ، وكان هو الوجه ، وهو الصواب .
وتقول : هذا كلام قد حُصِّن^(٥) عن نظر الناقد ، وإنه لكلام لا غبار عليه ،

(١) قست عمقه (٢) مفرداً جهبذ بمعنى الناقد الخبير والكلمة فارسية معربة

(٣) كناية عن التعمق في الأمور (٤) طريق (٥) لا شبهة عليه

ولا وجه فيه للاعتراض ، ولا شبهة فيه لناظر ، ولا مطعن فيه لغامر^(١) ، ولا سبيل عليه لأخذ ، ولا معترض ولا طاعن ولا قادح .

١١ — في الجدل :

يقال: فلان جدل شديد المراء^(٢) ، متين الحجة ، قوى الحجة ، ناصع البرهان ، شديد البرهان ، حاضر الدليل ، صحيح الاستدلال ، بصير بمواضع الحق ، واستنباط الأدلة .

وقد جادل خصمه ، وماراه^(٣) ، وناظره ، وباحثه ، وناقشه ، وحاجّه . وقد احتج على خصمه بحجة دامغة^(٤) ، وجاءه بالدليل المفحم^(٥) ، وأيد قوله بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والأدلة الواضحة .

وقد أحم خصمه وأبكمه ، وقرعه^(٦) بالحق ، ودحض^(٧) حجته وأدحضها ، وزيف^(٨) برهانه .

وتقول: هذا هو الحق اليقين ، والحق المبين ، وقد سقر الحق ، وحصص^(٩) الحق ، ووضح الصبح لدى عينين .

وإنه لأمر لا مرية فيه ، ولا مرأ فيه ، ولا ريب في صحته ، ولا موضع فيه لشبهة ، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان ، وقد تنافرت عليه الحجج ، وقام عليه برهان العقل ، وصححه القياس ، وأيده الوجدان .

(١) غائب (٢) الجدل (٣) جادله (٤) تدفع الباطل (٥) المسكت

(٦) رماه به (٧) أبطلها (٨) أظهر زيفه أى فساد (٩) ظهر وثبت

وتقول في خلاف ذلك : فلان ضعيف الحجة ، ركيز البرهان ، واهن الدليل ،
ضعيف البصيرة ، بليد الفكر ، خامل الذهن .

وهذا قول مدفوع ، وقول مردود ، لا ينهض ولا يسمع ، ضعيف السند ، واهى
الدليل ، بعيد عن شبه الصحة ، ليس فيه شيء من الحق ، وليس عليه للحق ظل .
وهذا أمر ظاهر البطلان ، لا تعقل صحته ، ولا يقوم عليه دليل ، ولا تؤيده
حجة ، ولا ينهض فيه برهان ، ولا يثبت على النظر .

وهذه حجة واهية ، وواهنة ، وإن حجته لأوهى من بيت العنكبوت ، وأوهن
من شبح باطل . وتقول : هذه أدلة متعارضة ، وحجج متخاذلة ، وبيانات متناقضة ،
يصادم بعضها بعضا ، ويجادل بعضها بعضا ، ويقدح بعضها في بعض ، ويدفع بعضها
في صدر بعض .

ويقال : فلان متعنت ، يمارى في الباطل ، ويتحكم في الجدل ، ولا تراه إلا معاندا
أو مكابرا ، أو مغالطا أو مشاغبا .

١٢ — في حسن المنظر وقبحه :

يقال : فلان جميل المنظر ، جميل الخلق ، حسن الصورة ، وضئ الطلعة ، صبيح
الوجه ، مشرق الجبين ، وضاح^(١) الحياء ، ظريف الهيئة ، بديع الحاسن ، معتدل
الأعضاء^(٢) .

(١) الأبيض الحسن اللون

(٢) ارجع إلى نعمة الرائد ، ج ٢ ، ص ٤٥ — ٤٧

ويقال في ضد ذلك: هو قبيح المنظر ، بشع المنظر ، ذميم الحلقة ، مشوه الخلق ، جَهْمٌ^(١) الوجه ، كرهه الطلعة ، قبيح الهيئة .
وهو أقبح خلق الله صورة ، وأقبح من الجاحظ ، وأقبح من القرد .

١٣ — في الكبر والتواضع :

يقال: فلان متكبر ، متعظم ، متعجرف ، مُتَغَطِّرٌ ف ، مُتَغَطِّرِس ، منتفخ مختال .
وإنه لشديد الكبر ، والكبرياء ، والعجرفة والغطرسة ، والظفرسة ، والتهية ،
والخيلاء . وإنه لرجل مزهُوٌّ ، معجَبٌ بنفسه ، فيه زهوة وعُجْبٌ وإعجاب .
وتقول من الكناية : صعرَّ الرجل^(٢) خَدَّه ، ولوى شِدْقَه ، ونفخ شِدْقِيَه ، وشمخ
بأنفه أى رفعه كِبْرًا ؛ ورفع رأسه كِبْرًا ، وجاء ثاني عِطْفَه أى جانبه ، وهو من
الرأس إلى الورك .

وهو أزهى من ديك ، وأزهى من غراب .
وترفع كِبْرًا ، ونأى بجانبه ، وسما بنفسه تيمها واستكباراً .
وتقول في خلاف ذلك : هو متواضع النفس ، خافض الجناح ، متجافٍ^(٣) عن
مقاعد الكبر .

١٤ — في الذكاء والبلادة :

يقال: فلان ذكي فطن ، فهِيمٌ ، لَوَذَعِيٌّ^(٤) أَلْمَعِيٌّ^(٥) ، حاد الذهن ، متوقد
الذهن ، صافي الذهن ، ذكي القلب ، حديد الفهم ، سريع الفهم ، سريع الفطنة ،
سريع الإدراك ، صادق الحدس ، يقظ الفؤاد .

(١) كرهه (٢) أماله وأعرض به كِبْرًا (٣) منتهج (٤) الذكي المتوقد (٥) الذكي المتوقد

وقد فَطِنَ له سَأَلَةٌ ، وَتَفَطَّنَ لها ، وَزَكَّيْنَهَا وَتَنَبَّهَ لها .
 وإِنَّه لَفَطِنٌ ، ذَهِنٌ ، وإِنَّه لآيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي ذِكَاةِ الْفَهْمِ ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ ،
 وَلَطَافَةِ الْحَسِّ ، وإِنَّه لِيَفْهَمُ مِنَ الْإِيْمَاءِ قَبْلَ الْلَفْظِ ، وَمِنْ النَّظَرِ قَبْلَ الْإِيْمَاءِ .
 وَتَقُولُ فِي ضِدِّهِ : هُوَ بَلِيدٌ ، غَبِيٌّ ، أَهْلُهُ ، غَافِلٌ وَمَغْفَلٌ ، ضَعِيفُ الْإِدْرَاكِ ، بَطِيءُ
 الْحَسِّ ، سَقِيمُ الْفَهْمِ ، بَلِيدُ الْفِكْرِ ، مَغْلَقُ الذَّهْنِ ، خَامِلُ الذِّكَاةِ ، مُظْلِمُ الْبَصِيرَةِ .
 فِيهِ بِلَادَةٌ ، وَفَدَامَةٌ ، وَغَبَاوَةٌ ، وَبَلَهٌ ، وَبَلَاهَةٌ ، وَغَفْلَةٌ .
 لَا يَتَنَبَّهُ لِلْحَقِّ ، وَلَا يَكَادُ يَذْهَنُ ^(١) شَيْئًا ، وَلَا يَكَادُ يَعْيُ قَوْلًا ، وَلَا يَسْتَقْضِي
 بِنُورِ بَصِيرَةٍ .

١٥ — فِي الصَّبْرِ وَالْجَزَعِ :

يُقَالُ : فَلَانٌ صَابِرٌ لِلْأُمُورِ ، وَصَبُورٌ ، وَقَدْ صَبَرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَصَبَّرَ نَفْسَهُ ،
 وَتَصَبَّرَ وَاصْطَبَرَ ^(٢) .
 وَقَدْ وَطَّنَ فَلَانٌ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ ، وَلَاذًا بِالصَّبْرِ ، وَتَجَلَّدَ عَلَى مَضَضِ الْمَحَنِّ .
 وَيُقَالُ : أَصَابَهُ كَذَا فَعَضَّ عَلَى نَاجِذِيهِ ^(٣) ، أَيْ صَبَرَ عَلَى مَا نَابَهُ ، وَمَا زَالَ فِي
 أَمْرِهِ رَابِطُ الْجَأَشِ ^(٤) ، وَإِنَّهُ لَرَجُلٌ صُلْبُ الْعُودِ ، لَا تَرُدُّهُ النَّوَائِبُ ، وَلَا تَنَالُ مِنْ
 صَبْرِهِ الْمَلَمَّاتُ ^(٥) ، وَلَا يَلِينُ جَنْبُهُ لِحَادِثٍ .
 وَيُقَالُ فِي ضِدِّهِ : جَزَعَ الرَّجُلُ ، وَهَلَعَ ، وَهُوَ أَشَدُّ الْجَزَعِ وَأَفْحَشُهُ ، وَبِهِ
 جَزَعٌ وَهَلَعٌ ، وَقَدْ نَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ فَانْحَلَّتْ عَقْدَةُ صَبْرِهِ ، وَلَحِقَهُ مِنَ الْأَمْرِ مَا عَمِلَ بِهِ

(١) يَعْقِلُ وَيَفْهَمُ (٢) ارْجِعْ إِلَى نَجْمَةِ الرَّائِدِ ، وَشُرْعَةُ الْوَارِدِ ، لِلْيَازِجِيِّ ، ج ١ ص ٩٠ - ٩٢

و ص ١٠٤ (٣) الضَّرْسَانُ فِي أَقْصَى الْفَهْمِ (٤) الْمُرَادُ بِهِ الْقَلْبُ (٥) الشَّدَائِدُ

صبره ، وضاق به ذرعه ، ونفد صبره ، وقد خانه الصبر ، وبات رهين البلابل^(١) ،
وبات لا يملك دمه ، ولا يملك قلبه ، وكاد يقضى عليه من الغم .

١٦ — في السمو إلى المعالي والقعود عنها :

يقال : فلان خطير النفس ، بعيد الهمة ، يسمو إلى معالي الأمور ، ويصبو إلى
شريف المطالب ، ويتسوّر شرفات^(٢) العز ، ويمدُّ في وجوه المجد غررا^(٣) ، وقد
بنى له مجدا مؤثّلا^(٤) ، وتسَمَّ ذُرْوَة^(٥) الشرف ، وصعد إلى فروع العلا ، ووثب إلى
قمة الشرف ، وبلغ إلى رفعة لا تسامى ، وعزة لا تغالب ، ورتبة لا يسمو إليها أمل ،
وغاية تتراجع عنها سوابق الهمم .

ويقال في ضد ذلك : فلان قاعد الهمة ، عاجز الرأى ، متخاذل العزم ، ضعيف
النفس ، صغير الهمة ، لا تطمع نفسه إلى مأثرة ، ولا تسمو همته إلى منقبة^(٦) .
وقد رضى بالهون صاحبها ، وأخلد إلى الصغار^(٧) ، ورضى من جهله بالدُّون ،
وقنع من زمانه بالنصيب الأخس ، وقعد عما تسمو إليه النفوس العزيزة ، وترقى
إليه الهمم الشريفة . همّه في قدحين من ابن ، وقصعة من ثريد^(٨) .

١٧ — في الكيس والحق وذكر الجنون والخرف :

يقال : فلان أريب^(٩) لبيب ، كيس ، وكيس^(١٠) ، فطن ، عاقل ، نبيل^(١١) ،
حصيف^(١٢) ، رصين ، وافر اللب ، مستحكم العقل .

(١) الهموم والوساوس (٢) الشرفة: أعلى الشيء (٣) الغرة: البياض في وجه الفرس

(٤) راسخاً (٥) ارتقى أعلى الشرف (٦) مفخرة (٧) اطمأن إلى الدل والامتهان

(٨) مرق يفت فيه الخبز (٩) عاقل (١٠) عاقل ظريف (١١) ذكي

(١٢) مستحكم العقل

عنده كَيْس وفطنة ، ونُبُل ودهاء ، وأُرْبَة ، وحَصَافَة ، ورَصَانَة .
وهو من ذوى العقل ، واللب ، والحِجَا والنُّهَى ^(١) . ومن ذوى الألباب
والأحلام ، وأولى الأبصار ، ومن ذوى العقول الثاقبة ، والأحلام الراجحة ، والعقول
الوافرة ، والأفهام النيرة ، والأذهان الصافية .
وهو من أكمل الرجال عقلاً ، ومن أشدّهم رأياً ، ولم أر أغزر منه عقلاً ، ولا
أنفذ بصيرة ، ولا أصحّ تمييزاً .
ويقال فى ضد ذلك : هو أحمق ، أخرق ، رقيق سخيف ، ناقص العقل ،
خفيف العقل ، ضعيف التمييز .
فيه مُحَقٌّ وحمّاقَة ، وخُرْق ورقّاعة ، وسُخْف وسَخَافَة .
وإنه لرجل سَرِفٌ ^(٢) العقل ، ورجل مأفونٌ ^(٣) ، وهو رجل لاختصاصه ^(٤) له .
ويقال رجل أهوج وأرعن ، وهو الأحمق القحل ، معه هَوْج ورَعْن ورُعُونَة .
ويقال فيما فوق ذلك : قد اختلط الرجل وجنّ ، واختل عقله ، وخُيِلَ ،
واستلب عقله ، وبه اختلاط وجنون وخبل - وقد مسّه الجنون ، وبه مسّ من
جنون ، ومسّ من خبال .
وتقول : عتّه الرجل عتّها وعتّاها ، وعُتّه : إذا نقص عقله من غير جنون ،
وهو عتّه ومعتوه .

ورجل مُوسِسٌ إذا كان يحدث نفسه ، وبه وَسَّاسٌ ، وقد اعترته الوسواس ،
فإذا تناهى جنونه قيل به جنون مُطْبِق ، ورأيته وقد جُنَّ جنونه ، وثار ثائر جنونه .

(١) العقل (٢) فاسده (٣) ناقص العقل (٤) عقل

وتقول : قد خَرِفَ الشيخ ، وأَفَنَدَ إِنْغَادًا : إذا ضعف عقله من الهرم ، وبه خَرَفَ وفَنَدَ - وقد أخرفه الهرم ، وأفَنَدَه الكِبَرُ - ورأيتُه وقد طَفَّتْ شِعْلَةٌ ذَهْنَهُ ، وقد سقطت عنه التكاليف ، وأصبح لا يُسأل عما يفعل ، وعادَ لا يعلم من بعد علم شيئًا .

١٨ — في الشجاعة والجهن :

يقال فلان شجاع باسل ، بئس ، مقدام جرىء ، فاتك ، صارم . وهو ثَبَّتَ الجَنانَ^(١) ، رابط الجأش^(٢) ، صادق البأس ، جرىء الصدر . وهو من ذوى الشجاعة والبسالة ، والشدة والبأس ، والإقدام والحماسة ، والجرأة ، والصَّرامة والنجدة .

وهو رجل مَغوار^(٣) ، وفَتاك^(٤) ، وخَوَّاضُ غمرات^(٥) ، وهو أشجع من أسامة^(٦) ، وأجراً من السيل .

وتقول في خلاف ذلك : هو جبان ، فِشَل ، هَيَّاب ، رِعْدِيد^(٦) - فيه جبن وجبانة ، وفِشَل ورِعْشَة .

وورد عليه من الهول ما خلع قلبه ، وهزَمَ فؤاده ، وزلزل أقدامه ، وكسر رأسه ، وفَتَّ في ساعده .

١٩ — في الرِّقَّة والقسوة :

يقال : رَقَّ له ، وَشَفِقَ عليه ، وَأَشْفَقَ عليه ، وَرَفَّ به ، وَعَطَفَ عليه ، وَحَدَّبَ عليه ، وَلَانَ له ، وَلَطَفَ به ، وَرَفَقَ به .

(١) ثابت القلب (٢) المراد به القلب (٣) كثير الغارات (٤) شدايد

(٥) علم جنس للأسد (٦) الذى يرعد عند القتال جبنًا (٦) عسلة (٦) راقا (١)

وقد رقَّ له قلبه ، ولأنَّ له فؤاده ، ورفرف عليه بجناحه ، وخفض عليه جناح رحمته ، وهو رجل رءوف ، عطوف ، رحيم ، شفيق ، رفيق ، رقيق القلب .
وتقول : هذه حالة يرثى لها ، وإنها لحالة تتوجع لها القلوب رقة ، وتنفطر لها القلوب رحمة ، وترقُّ لها الأكباد الغليظة ، وتلين لها القلوب القاسية ، ويتصدَّع لها فؤاد الجلمود ، ويبكى لها الحجر الأصم .

ويقال : رفرف الرجل على ولده إذا تحنَّى عليه ، وحنَّت المرأة على ولدها ، وحَدِبَتْ عليهم ، وأشبَهَتْ عليهم إذا أقامت عليهم بعد زوجها ولم تنزَّج .
ويقال في خلاف ذلك : هو قاسى القلب ، غليظ الكبد ، جاف الطبع ، خشن الجانب ، فظُّ الأخلاق ، فيه قسوة ، وغِلظة ، وجفاء ، وخشونة ، وفظاظة .
وقد قسا قلبه على فلان ، وثنى عنه عطف رحمته .

وتقول : لفلان قلب لا يعرف اللين ، ولا تدخله رحمة ، وإن له قلباً أقسى من الحديد ، وأصلب من الجلمود .

٢٠ — في سهولة الخلق وتوغُّره :

يقال : فلان سهل الأخلاق ، سَلِس الطباع ، لَيِّنُ العريكة ، دَمِثُ^(١) الطبع ، لَيِّنُ الجانب ، رقيق الحاشية ، رضى الأخلاق ، سَلِس القياد^(٢) .
في خلقه لينٌ وسهولة ، وسلاسة ، ودَمَثة . وإن أخلاقه أساس من الماء ، وألَيِّن من أعطاف النسيم .

(١) لين سهل (٢) سهل الانقياد (٣) رقيق (٤) رقيق (٥) رقيق

(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢)

وتقول في ضده : هو شرّس شكس ، سيئ الخلق ، فجّ الطبع ، فظ الأخلاق ، جافى الطبع ، غليظ الطبع ، شديد الشكيمة^(١) ، شديد التصلب ، لا تلين صفاته ، ولا تفحل عقده ، كأنه قد من صخر ، وكأنما طبع^(٢) من جلود . وهو في منتهى الشراسة والشكاسة ، والفظاظة والجفاء ، والخشونة والغلظة .

٢١ — في الحلم والسفه :

يقال : فلان حلم الطبع ، واسع الخلق ، رَحْب الصدر ، واسع الأناة ، وقور النفس ، راجح الحلم ، خافض الجناح ، رصين رزين ، وادع^(٣) ، وقور ، حصيف ، مُتَمِّد ، متأنّ ، متشبّت .

وفيه حلم ووقار ، وسكينة ، ورجاحة ، ورزانة ، ورسانة ، ورفق ، ودعة أو حصافة ، وتؤدة ، وأناة .

ويقال في خلاف ذلك : هو سفیه نَزِقٌ خفيف طائش - وإنه لحاد الطبع ، طائش الحلم ، قصير الأناة . وإن فيه لسفهاً ، وسفاهة ، ونزقاً ، وخفة ، وطيشاً وحدّة^(٤) .

٢٢ — في الغضب وإطفائه :

يقال : قد غاظني هذا الأمر ، وأسخطني ، وأغضبني ، وأثار حنقي ، وأضرَمَ غيظي ، وأوغر^(٥) صدرى .

ورأيتُه مُعْضَباً مُحْنَقاً يغلي من الغيظ ، ويفور من الغضب ، ويتوقّد ويتلظى ، ويتوهج ويتأجج .

(١) صعب الخلق (٢) خلق (٣) من الدعة وهي السكينة (٤) ارجع إلى نجمة الرائد ، ج ١ ، ص ٩٦ . (٥) أحمى

ويقال : امتلاً الرجل غيظاً ، وهاج هائجاً ، وثار ثائرته ، وطار طائرته ، ووغر^(١) صدره . وقد غضب حتى كاد يخرج من ثيابه ، وكاد يتميز^(٢) من الغيظ ، وقد انفطرت مرارته من الغيظ .

وتقول في الاسترضاء : أعتبت الرجل من عتبه أى أزلت عتبه ، وقد سريت من غضبه ، وسكنت غضبه ، وأزلت امتعاضه ، ولنت له حتى لان ، ورضى بعد سُخْطه ، وسكنت ثورته ، وانكسرت حدة غضبه ، وثاب إليه حلمه ، ورجعت أناته .

٢٣ — في الطمع والقناعة :

يقال : فلان طماع حريص ، نهم جشع ، شره ، كثير الأطماع ، واسع المطامع ، شديد الحرص ، وإن فيه لطمعاً وحرصاً ونهماً ونهمة ، وجشعاً وشرهاً .

وتقول في ضده : قنع فلان بما قسم له ، ورضى به ، واكتفى به ، وإنه لرجل قنوع ، عفيف النفس ، انصرفت نفسه عن الشيء ، وإنه ليحف عن المطامع الدنيئة ، وفيه قناعة ورضاً ، وعفة وعفاف ، وإنه ليقنع من الدنيا باليسير ، ويجتزئ منها بالكفاف .

٢٤ — في تقدم الرجل على أقرانه :

يقال : سبق فلان أقرانه في العلم والفضل ، وبذلهم وفاقهم ، وبرز تبرزاً . وإن له في هذا المقام القدم السابقة ، وهو أسبقهم غير مدافع ، وأفضلهم غير معارض .

(١) غلى (٢) يتقطع

وفلان سَبَّاقٌ إلى الغايات ، وسابق لا يُجَارَى ، ولا يُبَارَى ، ولا تُرَامُ غايته ،
ولا يُدْرَكُ شَأُوهُ^(١) ، ولا يُشَقُّ غبارُه ، ولا تُلْحَقُ آثارُه ، وقد بان سَبْقُهُ على خَصْمِه ،
وحاز قصب السَّبْق .

٢٥ — في القدوة والاحتذاء :

يقال : حَدَوْتُ حَدْوَ فلان ، ونَحَوْتُ نَحْوَه ، واقتديتُ بسيرته ، ونَهَجْتُ سَبِيلَه ،
وسلكتُ طريقته ، وقفوتُ أثرَه ، وجريتُ على منهاجه ، وتخلَّقتُ بأخلاقه ،
وتحلَّيتُ بحليته ، واستغنتُ بسنته^(٢) ، وجريت على أسلوبه .

ويقال : إنه يُضَارِعُ فلاناً ويحاكيه ، ويتشبه به ، ويتمثلُ به .

٢٦ — في العزة والذلة :

يقال : فلان عزيز الجانب ، حصين الناحية ، وإنه لفي مَنَعَةٍ من قومه ، وفي حِمَى
لا يُقَرَّبُ ، وفي حِرْزٍ حَرِيزٍ لا يَنَالُه طالب ، ولا يَطْمَعُ فيه طامع . وإن له عِزَّةً
قُصْواء^(٣) ، وقد أقام تحت ظلال العز .

ويقال في خلاف ذلك : فلان ذليل ، عاجز مهين ، مستضعف ، مستذل ،
مقصوص الجناح ، مهيض^(٤) الجناح .

وقد ذلَّ الرجل وخشع ، وخضع واستكان ، وتضاغر ، وتضاءل ، ولانت
شوكتُه ، ولانت قناتُه . وقد أذلَّه فلان ، وأرغمه ، وعَفَّرَ وجهه ، وأذلَّ ناصيته^(٥) .

(١) غايته (٢) اقتديت بطريقته (٣) ثابتة منيعة (٤) مكسور (٥) ارجع إلى نجعة
الرائد ، ج ١ ص ٣٩١ .

الفصل التاسع

جمال اللغة العربية وميراثها العلمي والأدبي

اللغة العربية لغة موسيقية الألفاظ، دقيقة الأوزان، تمتاز بجمال التعبير، وسحر الأداء. ويتجلى سر جمالها في هذا الفن القولي الذي وعته، وذلك المجهود الأدبي الذي خلفته، كما تمتاز بما فيها من طرق الإبانة المختلفة التي تملك القلب والحس والسمع. وإن الذين درسوا هذه اللغة ووقفوا على أسرار بلاغتها يدركون جمالها اللغوي البديع. ولا عجب؛ فقد نزل بها القرآن الكريم، وهو في الذروة العليا من الفصاحة وقوة البيان، وروعة التعبير. والمستشرقون الذين حاولوا دراستها شعروا في أول الأمر بصعوبتها، ولكن كلما تعمقوا في دراستها أحسوا جمالها الطبيعي، وعرفوا قدرها، فانكبوا يغوصون وراء لآلئها، فنالت من نفوسهم الإعجاب والتقدير.

ومن هؤلاء المستشرقين «دي ديو»^(١)، و«سكلتنز»^(٢)، و«سكريد»^(٣)، و«سكيد»^(٤)، و«هوتنجر»^(٥) من الهولنديين، ونولدكه^(٦) و«جزنييس»^(٧) من الألمانين، ورينان^(٨) الفرنسي.

(١) De Dieu (٢) Schultens (٣) Schroeder (٤) Scheid

(٥) Hottinger (٦) Noldeke (٧) Gesenius (٨) Renan

عناصر جمال اللغة العربية :

إن عناصر جمال اللغة العربية كثيرة : منها تراكيبها البليغة التي تفوق بها أى لغة أخرى ، وحروفها المرتبة ترتيباً منطقياً بذت به ترتيب حروف اللغة العبرية ، وقواعدها المنسقة المنطقية . ومن الممكن أن تكون الاستثناءات من قواعدها فى شكل منطقي . ومن السهل أن يرى ذلك العنصر بالرجوع إلى أى موضوع أو قاعدة فيها . ولثروة اللفظية لهذه اللغة أثر فى جمالها . وإذا قورنت اللغة العربية باللغات السامية أو غيرها من اللغات الأخرى وجد أنها لم تتأثر بكثير من الألفاظ الدخيلة كما تأثر غيرها ؛ فهى لغة صافية نقية . ولا يمكن أن يعد ذلك ضرباً من العجز أو التقصير . فهى غنية بمفرداتها الأصلية الكثيرة . وقد نشأ هذا عن المركز الجغرافى لبلاد العرب . فالعرب منذ جاهليتهم لم يختلطوا اختلاطاً شديداً بغيرهم من الأمم المجاورة ، كما نشأ ذلك عن الأدب العربى القديم . فالألفاظ التى جمعها اللغويون كانوا يحرسون فى جمعها على أن تكون مما نطق به الشعر القديم . وللقرآن الكريم أثر آخر فى المحافظة عليها ، والضن بها من أن تصير لغة ممسوخة . فالقرآن هو الوثيقة الخالدة فى أيدي العلماء واللغويين . ولا شك أن هذا التنزيل الحكيم — وهو الحجة السماوية ، والكتاب الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — كان ذا أثر فى أننا نرى أنفسنا اليوم قادرين على قراءة اللغة — التى كان ينشد بها امرؤ القيس شعره — وفهمها ، مع طول العهد بيننا وبينه ، وامتداد الزمن ، وتطاول الحقب . يقول « لنزنج ^(١) » :

« فى الوقت الذى صارت فيه اللغات الأخرى من اللغات السامية ميتة ، وتغيرت واختفت فى كثير من أشكالها ومعانيها نجد اللغة العربية قد بقيت حية صافية كاملة ، لم يمسه تغيير أو موت » . ولا عجب ؛ فقد كانت الأمة العربية تسكن شبه جزيرة

تكاد تكون مغلقة ، فهي لذلك لم تختلط بغيرها من الشعوب إلا قليلا ، ولهذا بعدت هذه اللغة كل البعد عن الأسباب التي تؤدي إلى فساد اللغة وانحطاطها . وقد كانت المحافظة على الأدب القديم من دواعي بقاء هذه اللغة بدوية صافية ، لا تشوبها شائبة . فلولا القرآن الكريم ، وكتب الأدب القديم لصعب على سكان مصر وسورية ومراكش وعمان أن يفهم أحدهم الآخر ، ولتغيرت لغة الكتابة تغيرا عظيما . ولكن وجود أدب اللغة قد حفظ لغة الكتابة وأبقاها واحدة ؛ لتكون صلة بين الناطقين بالضاد ، وكان رادعا دائما للألفاظ الدخيلة التي تتسرب إلى اللغة الأدبية ، ولغة المحادثة .

وأهم عنصر من عناصر جمال اللغة العربية هو من غير شك أدب لغتها العظيم ؛ ففي الشعر العربي وحده يستطيع العرب أن يتحدوا بلاغات العالم كله . فالشعر العربي في العصر الجاهلي وفيما تلاه من عصور - غني بفته الذي ظهر فيه . وما من شك في أن العرب لم يقولوا الشعر إلا في فن واحد ، هو فن الغناء . أما الفرنجة - ومنهم اليونان والرومان - فقد قالوا الشعر في فنونه الثلاثة : في الغناء ، وفي القصص ، وفي التمثيل . ولكن ما أثر عن العرب في الشعر الغنائي يفوق بكثرته وجماله كل ما قيل في أدب أي أمة قديمة أو حديثة .

ومن أسرار جمال اللغة العربية هذا النحو الذي هو قطعة دقيقة من التفكير العربي ، ثم ما وعته هذه اللغة من مجهود أدبي لا يمكن أن تدعيه لغة من اللغات ؛ ففي بغداد وقرطبة ملأ المؤرخون والعلماء والأدباء مكتبات ضخمة بعلومهم وآدابهم . وقد ضرب العرب بسهم وافر في كل ضرب من ضروب المعرفة الإنسانية ، وأحاطوا بفلسفات العالم كله ، وثقافات اليونان والفرس والهند والصين . وفي المكتبة العربية بقرطبة

أكثر من أربع مائة ألف مجلد في شتى المعارف والفنون . ولولا طغيان البرابرة شرقاً وغرباً لجاءنا تراث ضخم يدعو إلى العجب ؛ ففي الشرق أطاح التتار بخلافة العباسيين ، وأنشئوا جسوراً من المجلدات الخافلة بالعلوم والفنون في نهر دجلة . وفي الغرب أعمى التعصب بعض الطوائف الأوروبية ، فقصوا على البقية الباقية من عرب الأندلس . وفي أثناء تلك الفتن المميدة أتلقت وفقدت مئات الألوف من المجلدات الضخمة .

مآثر العرب في العلم والفلسفة :

ومما لا مجال للشك فيه أن للعرب مآثر عظيمة في العلم والفلسفة لا يحوها الزمن ، ولا يطمس نورها الأبلج التعصب الأعمى ؛ فعلم الجبر وعلم الهيئة مدينان بوجودهما للعرب خاصة . ولقد عني العرب بجميع العلوم ، وأضافوا إليها كثيراً من أفكارهم ، كما نقلوا فلسفة أفلاطون وأرسطو ، فأوضحوا غامضها ، وكانوا أمناء على المعرفة . ولولا مجهود العرب في هذه الناحية ما أشرق عصر الإحياء والنهضة في أوروبا ، أو لتأخر قروننا . وما من شك أيضاً أن اللغة التي تحمل كل هذا لغة مرنة طيعة ، فيها سعة ، وفيها جمال أدبي ، وقدرة فائقة على التعبير . بل لا نكون مغالين إذا قلنا : إن الأدب العربي في القرون الوسطى كان أدباً علمياً بمعنى الكلمة ، وهذا ما لا تستطيع أن تدعيه أمة لأدبها في هذا العصر . ولا يغض من جمال اللغة العربية وقدرتها التعبيرية أنها لغة صعبة على كل من يريد السيطرة عليها ، بفهم أسرارها ، والإحاطة بدقائقها ؛ فقد كتب أحد المبشرين بمصر سنة ١٨٦٤ م . يقول :

« إنني أفضل أن أسير على قدمي من الإسكندرية إلى رأس الرجاء الصالح ، وأجوب إفریقیة ماشياً على قدمي ، من أن أتعهد مرة واحدة بالسيطرة على اللغة العربية . »

قد يكون هذا القس مبالغاً فيما ادعاه ، ولكن الحق الذي لا شائبة فيه أن الصعوبة

الأولى في اللغة العربية على الأجانب هي في نطقها نطقاً صحيحاً^(١) ، وفي وجود حروف عربية لا مقابل لها في الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية . ويشكو الأجانب صعوبة النحو العربي ؛ وذلك لأن قواعد الإنجليزية مثلاً سهلة مبسطة . وقد يكون لعلماء النحو العربي مندوحة فيما ذهبوا إليه حين أكثروا قواعده ، وفرعوا مسائله ؛ فقد كان ذلك حرصاً منهم على اللغة ، بعثه الخوف على القرآن الكريم ، كما يشعر الأجانب حين يتعلم العربية بأنها تختلف في أسلوبها عن اللغات الأوروبية اختلاف الشرق عن الغرب . والذين يرمون اللغة العربية بأنها صعبة على الناشئين والمتعلمين عامة ربما لا يكونون منصفين في دعواهم ؛ فكل لغة من اللغات لا تخلو من صعوبة على المبتدئين ، غير أن هذه الصعوبة تختلف باختلاف الأحوال المحيطة بكل لغة .

وأصول الكلمات في اللغة العربية ثلاثة : فاء الكلمة وعينها ولاها . وهذا أصل الموازين الصرفية فيها . وفي هذه الموازين وكثرتها وتنوعها ما يدل على غنى هذه اللغة ، وراثتها اللفظي . وفي اللغة العربية ألوف من الألفاظ صارت مهجورة ، وهي مبثوثة في بطون المعاجم ، وأسفار الأدب القديم . ومن أجل ذلك كان الدارسون لنصوص الأدب العربي في عصوره القديمة في حاجة شديدة إلى شرح كثير من الألفاظ ، حتى يستطيعوا أن يفهموا النص الأدبي ، ويتذوقوا ما فيه من جمال التعبير .

وقد ذهب المستشرقون إلى أن اللغة العربية أكبر من أن تعرف معرفة تامة ، يحاط فيها بكل أسرارها ؛ فهي بحر زاخر لا ترى سواحله ، وأن إجادة أي علم من علومها لا تمكن الطالب من فهم أسرارها ؛ فربما يستطيع القارئ أن يقرأ القرآن الكريم ،

(١) وقد يشترك معهم في صعوبة النطق الصحيح إلى حد ما المتعلمون من أبنائها في أول تعلمهم لها ؛ لطغيان اللغة العامية المتأثرة بالألفاظ الدخيلة التي لا حصر لها .

وأن يفهم أسلوبه الحكيم . فإذا ولي وجهه شطر كتب الأدب القديم ، وحاول فهمها ، وجد نفسه في بحر خضم ، ومحيط عميق ، عاجزاً عن فهم بعض ما يقرأ ، ولعل السر في ذلك يرجع إلى طول عمر هذه اللغة وتغلّبها على حوادث الزمن ، بخلاف غيرها من اللغات ، انظر إلى ما كتبه (إيون كيث فالكونر ^(١)) تلميذ الدكتور (رايت ^(٢)) المستشرق الإنجليزي بعد أن نال درجة الشرف من جامعة كمبردج في اللغات السامية ، وبعد أن درس اللغة العربية دراسة خاصة في جامعة « ليبزج » ثم حضر إلى أسيوط ، والتقى بأساتذة هذه اللغة بمصر يقول :

« إنني سائر بنجاح في اللغة العربية ، ولكنها صعبة جداً . لقد عرفت مقداراً كبيراً ، وأستطيع التفاهم مع الخدم ، ولدىّ مدرس يقوم بتعليمي هذه اللغة ساعتين كل يوم » . وبعد أن قضى خمس سنوات في دراسة مستمرة كتب مرة أخرى وهو في عدن في ١٧ من يناير سنة ١٨٦٦ م . يقول :

« إنني أحسن التكلم باللغة العربية ، ولكنني سأحتاج إلى وقت طويل ، حتى أستطيع أن أخطب بها » .

وفي نصوص هذه اللغة القديمة والحديثة أمثلة رائعة ، ونماذج بارعة ، توقف القارئ على شيء كثير من جمالها في التعبير ، ودقتها في الإفصاح عن خبايا النفوس ، وتصوير العواطف الإنسانية .

يقول بعض بني قيس بن ثعلبة ، وقيل هو بشامة ^(٣) بن حسن النهشلي :

إنا محيولك يا سلمي فحييناً وإن سقيت كرام الناس فاستقيناً

(١) Ion Keith Falconer (٢) Dr. Wright

(٣) ليس له ترجمة في كتب الأنساب ، والظاهر أنه إسلامي .

وإن دعوتِ إلى جُلِّي^(١) ومكرُمةٍ يومًا سرّاة^(٢) كرامِ الناسِ فادُعِينَا

إن تبتدر^(٣) غايةً يومًا لمكرُمةٍ تلقِ السوابقَ منا والمصلينَا^(٤)

وليس يهلكُ منا سيدٌ أبدًا إلا افتلينَا^(٥) غلامًا سيّدًا فينا

إنّا لنُرْخِصُ يومَ الرّوعِ^(٦) أنفُسَنَا ولو نسام^(٧) بها في الأمنِ أغلِينَا

بيضُ مفارقُنَا ، سوّدُ مراحِلُنَا نأسو^(٨) بأموالنا آثارَ أيدينا

إني لَمِنَ مَعْشَرٍ أَفْنَى أوائِلِهِمْ قيلُ الكُماةِ^(٩) : ألا أينَ المحامُونَا ؟

وفي هذه الأبيات رقة وجزالة ؛ فالكلمات والجمال مطردة ، والحروف متناسقة ،

صافية النغم ، فضلا عما فيها من شعور صادق ، وخيال يقظ ، ومعان إنسانية كريمة ،

وصفات يعدها العرب جل مفاخرهم .

ثم انظر إلى قول معن بن أوس ، وما فيه من عظمة الفضل والوقار ، ودقة التصوير ،

وجمال العبارة :

لعمرك ما أهويت^(١٠) كفىً لريبةٍ ولا حملتني نحوَ فاحشةٍ رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دأني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلمُ أني لم تُصِبنِي مصيبةٌ من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

ولستُ بمأشٍ ما حيتُ لمنكرٍ من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي

(١) الجلي : الأمر العظيم (٢) السراة : أشراف الناس وعظماؤهم (٣) تبتدر : يسرع الناس إليها

(٤) المصاين : الذين يلون السابقين . والأصل في هذا التعبير أن الجواد الذي يسبق غيره إلى نهاية

حلبة السباق يسمى المجلي ، والذي يليه المصلي (٥) افتلينا غلاما : فطمناه عن الرضاع

(٦) الروع : الفزع والمراد الحرب (٧) نسام بها : تطلب منا (٨) نأسو : نداوى

(٩) الكُماة : المحاربون الشجعان (١٠) أهويت كفى : مددتها

وسترى أن للفراق لوعة يتدفق منها الحنين والذكرى حين يقول ابن الجهم

في الفراق :

يا رَحْمَةً للغريب بالبلد الناء (١) زح (١) ، ماذا بنفسه صَنَعَا
فارقَ أَحْبَابَهُ فما انتفعُوا ، بالعيش من بعده ولا انتفعَا

ويقول في الفراق والشوق :

اعلمي يا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ أن شوقِي إِلَيْكَ قَاضٍ (٢) عَلِيًّا
إن قَضَى اللَّهُ لِي رجوعًا إِلَيْكُمْ لا ذَكَرْتُ الفراقَ ما دُمْتُ حَيًّا
إن حَرَّ الفراقِ أَنْحَلَ جِسْمِي وكوى القلبَ مِنِّي الشوقُ كَيًّا

وقال الباحثرى يمدح محمد بن علي بن عيسى القُمِّي :

ذاك وادي الأراك فاحبس قليلا مُقْصِرًا من صَبَابَةٍ (٣) أو مُطِيلًا
قف مشوقًا أو مُسْعِدًا أو حزينًا أو معينًا أو عاذرًا أو عذولًا
إن بين الكُثيبِ فالجزعِ فالآرامِ رامِ ربعًا لآلِ هِنْدٍ مُجِيلًا (٤)
لم يكن يومنا طويلا بنعمنا (٥) ولكن كان البكاء طويلا
قد وجدنا محمد بن علي غَايَةً (٦) المجدِ قائلًا وفَعُولًا
ولقينا شمائلًا تنثرُ المسَّ لكَ سَحيقًا كما لقينا الشَمُولَا (٧)
ورأينا سِيَمًا نَدَى (٨) وَسَمَاحٍ لم نَرُدْ بعدها عليه دَلِيلًا

(١) النازح : البعيد (٢) قاض علي : مهلكي (٣) الصبابة : الشوق
(٤) الكُثيب والجزع والآرام : أسماء أماكن في بلاد العرب . وربعًا مُجِيلًا : منزلًا مضت عليه
أحوال أي سنون طويلة (٥) نعمان : اسم مكان (٦) غاية : نهاية (٧) الشمائل : الطباع
والأخلاق . والشمول : الخمر ، والمراد أن طباعه تملك الأبواب لحسنها (٨) سِيَمًا نَدَى : علامة
كرم وجود .

أَشْعَرِيَّ كَفَاهُ عَيْسَى بْنُ مُوسَى شَرْفًا بَاتَ لِلسَّمَاءِ رَسِيلًا^(١)
فَالْفَافُ الْبَحْتَرَى كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْمَثَلِ السَّائِرُ : إِنَّمَا كُنْصَاءُ حَسَانٍ ، عَلَيْهِنَ
غُلَاطِلُ مَصْبِغَاتٍ ، قَدْ تَحَايَيْنَ بِأَصْنَافِ الْحَلَى . وَلَا شَكَّ ؛ فَالْبَحْتَرَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ
سَلْسُ الْعِبَارَةِ ، عَذْبُ الْمَوْسِقَا ، لَهُ دِيَابِجَةُ الْحَرِيرِ ، وَاطْرَادُ الْمَاءِ الْجَارِي .

وَهَلْ رَأَيْتَ شَعْرًا أَرْقَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

رُبَّ وَرْقَاءٍ هَتُوفٍ^(٢) فِي الضَّحَا ذَاتِ شَجْوٍ^(٣) صَدَحَتْ فِي فَنَنِ^(٤)
ذَكَرْتُ إِلْفًا وَدَهْرًا سَالَفًا^(٥) فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبَكَتْنِي رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبَكَهَا رُبَّمَا أَرْقَانِي^(٦)
وَلَقَدْ تَشَكُّو فَمَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي^(٧)

وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ فِي الْمَدْحِ :

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ وَجَدَتْهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنِيكَ نَوْرًا ثَاقِبًا^(٨)
كَالْبَحْرِ يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيُبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
كَالشَّمْسِ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْءُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مُشَارِقًا وَمَغَارِبًا

وَيَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي الْكَرَمِ وَقَدْ أَجَادَ وَأَبْدَعَ :

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطَى عَطِيَّتُهُ عَنْ الثَّنَاءِ وَإِنْ أُغْلِيَ بِهِ الثَّمَنُ

(١) السَّمَاءُ : نَجْمٌ عَظِيمُ الارتفاع . وَالرَّسِيلُ هُوَ الرِّسُولُ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ شَرْفَهُ بَلَغَ السَّمَاءَ فِي الْعُلُوِّ
وَالرَّفْعَةِ (٢) وَرْقَاءٌ هَتُوفٌ : حَمَامَةٌ صَائِحَةٌ (٣) ذَاتُ شَجْوٍ : حَزِينَةٌ (٤) صَدَحَتْ فِي
فَنَنِ : صَاحَتْ عَلَى غَضَنِ (٥) سَالَفًا : سَابِقًا (٦) أَرْقَاهَا : مَنَعَ نَوْمَهَا
(٧) الْجَوَى : الْحُزْنَ وَحُرْقَةَ الْوَجْدِ (٨) ثَاقِبًا : سَاطِعًا

بل الكريم الذي يعطي عطيته لغير شيء سوى استحقاقه الحسن
لا يستثيب^(١) يبذل العرف محمداً ولا يمن إذا ما قلد المننا
ثم تأمل أبا الطيب حين يقول ، فترى في قوله حكمة رائعة ، وفلسفة عالية :
نحن بنو الموتى فما بالنأ نعا^(٢) ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هي من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تر به
لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبه^(٣) لم يسبه
وهذا أعرابي يغنى فيروك غناؤه ، وتطرب لنعيمته المرقصة ، وموسيقاه الجميلة :
أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار^(٤)
تمتع من شميم عرار^(٥) نجد فما بعد العشيّة من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد ورياً روضه غب القطار^(٦)
وعيشك إذ يحل القوم نجداً وأنت على زمانك غير زار^(٧)
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار^(٨)
ولرسول الله صلوات الله عليه ، وهو أفصح من نطق ، وأبلغ من تكلم ، قوله :
يا خيل الله اركبي . ما عال^(٩) من اقتصد . من بدا جفا^(١٠) . حدث عن البحر

(١) يستثيب : يطلب الجزاء . (٢) نعا : نكره . (٣) يسبه : يملك عقله

(٤) العيس : الإبل . تهوى : تجد في سيرها . المنيفة والضمار : اسماء مكانين

(٥) العرار : نبت طيب الرائحة من نبات البادية . (٦) حبذا : حسنت وطابت . نفحات : رائحة . ريا : رائحة . غب القطار : بعد المطر . (٧) غير زار : غير عاب . والمراد أن زمانه ذاك قد صفا من المنقصات فلم يجد فيه ما يسوءه ويعاتب الدهر عليه . (٨) السرار : الليالي المعتمة في أواخر الشهر . (٩) عال : افتقر . (١٠) بدا : استوطن البادية . جفا : خشنت طباعه .

ولا حرج . كلُّ ميسر لما خلق له . المجالسُ بالأمانات . كرم العهد من الإيمان .
كل الصيد في جوف الفرا^(١) . هدنة على دخن^(٢) ، وجماعة على أقذاء^(٣) . التوبة
تهديم الحوبة^(٤) . اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . احذروا من لا يرجى
خيرُهُ ، ولا يؤمن شره . الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلةً . أصحابي كالنجوم ،
بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وفي هذه الحكم النبوية ترى فناً جميلاً من القول ، قلت فيه حروف الكلمات ،
وكثر المعاني ، وجلَّ عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك
وتعالى قل يا محمد « وما أنا من المتكلفين » .

وفيا تقدم من النصوص يشعر القارئ الذي يتذوق الأدب ، ويكون على حظ
من معرفة جيده من رديئه بأن أساليب اللغة العربية تمتاز بما فيها من جمال وعذوبة ،
وأن الصنعة البيانية فيها قد بلغت الذروة الرفيعة .

(١) الفرا : الحمار الوحشى ، والمراد أنه أكبر ما يُصاد . (٢) دخن : حقد ، والمراد أن
الكف عن الحرب كان لعل لا لصفاء النفوس . (٣) الأقذاء : جمع قذى وهو ما يقع في العين
فيؤلمها ، أو في الشراب فيوسخه . (٤) الحوبة : الجريرة والذنب .

مركز اللغة العربية

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، والقرآن الكريم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » . ولا يمكن أن يترجم القرآن إلى لغة أخرى ترجمة كاملة تتجلى فيها بدائع الصيغ التي أعجزت أبلغ الفصحاء ؛ لأن المترجم قد يضطر إلى الشرح فيقع في التحريف . وقد قامت بترجمته بعض الجماعات المسيحية التبشيرية ؛ فجاءت ترجمته مشوهة ، ضاع فيها الغرض البلاغي ، وفقد منها الإعجاز اللفظي والمعنوي . وترجم معناه محمد علي الهندي . وعلى كل مسلم - سواء أكان فارسيا أم تركيا ، صينيا أم حبشيا ، هنديا أم أفغانيا - أن يحفظ من القرآن الكريم القدر الضروري للصلوات الخمس ، ويعرف قليلا من اللغة العربية .

وقد كسبت اللغة العربية بحكم وضعها الديني مكانة سامية بين اللغات الحية قديما وحديثا . والفضل في ذلك للقرآن الكريم الذي صانها من كيد كل عاث . وبهذه الخاصة صرنا الآن نقرأ شعر امرئ القيس ، ونفهمه بعد مراجعة يسيرة ، وأنت تعرف كم قرنا مر على هذا الشاعر الجاهلي ، ولن تجد ذلك في سائر اللغات .

وكل أمة استظلت براية الإسلام ، غمر طوفان العربية لغتها ، فكتبت بالكلمات العربية ، والعبارات الاصطلاحية في المؤلفات الدينية والعلمية . يقول المرحوم الأستاذ (بروني^(١)) المستشرق الإنجليزي الكبير : « إن من الصعب أن تكتب لغة

فارسية خالية من اللغة العربية ، كما أن من الصعب أن تكتب لغة إنكليزية خالية من اللغة الإغريقية أو اللاتينية . ومن الممكن فعل ذلك في حدود معينة ، لكن النتيجة هي أن من الصعب فهم ما يكتب من غير التجاء إلى المعجم . وحينما أكتب هذا ، أمارى صحيفة فارسية ، مادتها سهلة ، وأفكارها واضحة ، ومع ذلك فإن الكتاب أنفسهم شعروا بأنهم مضطرون لكتابة هامش لما يكتبون ، شارحين معاني اثني عشرة كلمة على الأقل من مائة كلمة ، بما يرادفها من الكلمات العربية ؛ حتى يستطيع القارئ الفارسي العادي أن يفهمها ، مثل : دَارَاد : صِراط . خُهر : وَطَن . فارِهَنْت : أدب . وهكذا . والكلمات : صراط ، وطن ، أدب : ألفاظ عربية استعارتها الفارسية . والكتب الفارسية حتى القديمة منها لا تخلو من الكلمات العربية كما يظن » .

وقد قال أحد الحكماء : « وضعت الحكمة في ثلاثة أشياء : مخ الإفرنج ، وأيدي الصينيين ، ولسان العرب » .

الأدب العربي أدب عالمي :

انتشرت اللغة العربية على وجه الأرض انتشاراً عظيماً ، ولها صلة كبيرة بالتنوع الإنساني أكثر من أي لغة أخرى . ولا عجب ؛ فقد كان الأدب العربي في العصور الوسطى يعد أدباً عالمياً ، واللغة العربية حاملة لواء التراث الثقافي العالمي . وفي العالم اليوم نحو سبعين ألفاً من الناس يتكلمون اللغة العربية ، كأنها لغة لهم . وكثير منهم يعرفون شيئاً من أدبها في القرآن الكريم ، وفي جزائر فلبين تكرر سورة الفاتحة قبل طلوع الفجر ، ويسمع القرآن الكريم في وادي هملايا ، وفي كثير من جهات العالم . وبعد الفجر يقرأ الإيرانيون شيئاً من القرآن في صلاتهم . وفي شبه جزيرة العرب يقرأ القرآن ،

وينادى المؤذنون للصلاة . وفي بلاد الصين تكرر الأدعية والصلاة . وفي وادي النيل تنهض اللغة العربية ، وكثيرا ما تسمع الله أكبر ، الله أكبر . وفي الصحراء وبلاد البربر تسمع الأدعية والصلوات . وفي تونس والجزائر ومراكش يسمع القرآن والدعاء . وفي تركيا القديمة ، وأفغانستان ، وسومطرة ، وروسيا الجنوبية يعلم القرآن في المدارس .

واللغة العربية منتشرة لافي بلاد العرب فحسب ، بل في مصر وبغداد ، وديار بكر ، وسورية وفلسطين ، وفي شمال إفريقيا ، حتى في مستعمرة الكاب . وفي سنة ١٣١٥ م ابتدأت اللغة العربية تعلم في الجامعات الأوروبية لغرض التبشير . واليوم نجد اللغة العربية وآدابها تدرس وتفحص بدقة في « ليدن وكبردج » ، ومعهد اللغات الشرقية بلندن وبرلين ، كما تدرس في مصر ودمشق وبغداد .

ومن الآثار الأدبية الخالدة في الأدب العربي قبل الإسلام المعلقة العشر ، وتسمى « المذهبات » ، ولا تزال بين أيدينا . ويسلم أدباء اللغة العربية بأن عصر المعلقة كان العصر الذهبي حقا للأدب العربي الجاهلي . وقد أنشد هذه المعلقة زهير بن أبي سلمى ، وامروء القيس ، وطرفة بن العبد ، ولبيد بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة بن شداد ، والحرث بن حنظلة الشكري ، والأعشى ، والناطقة الذبياني ، وعبيد بن الأبرص . وكانوا جميعا - ما عدا لبيدا - وثنيتين من عباد الأوثان . وينسبون إلى ما يسميه الإسلام العصر الجاهلي . وقد كانت هذه القصائد نموذجا حسنا لمن أتى بعد ذلك العصر من الشعراء .

ويرى « البارون دي شيلين » أن المعلقة مشهورة بسلاقتها في اللفظ ، وعلوها في اللغة ، وكملها في الأسلوب الشعري .

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية :

كان للقرآن الكريم أثر كبير في الأدب العربي ؛ فمنه استمد وحيه ، وقد تجلى هذا الأثر في عذوبة أسلوبه ، وقوة وقعته في النفوس ، وروعته في القلوب ، وجماله في المعنى والموسيقا . ولم يستطع أحد من المترجمين أن يحاكي القرآن الكريم في أسلوبه . وحاول كثير من المستشرقين محاكاة في السجع فعجزوا . وقد يبدو هذا الأمر عجيبياً من أولئك المحاكين أو طالبي المحاكاة ؛ فإن من كانوا يعدون أساطين هذه اللغة ، وفرسان البلاغة العربية من العرب أنفسهم قد عجزوا عجزاً فاضحاً في كل محاولة أرادوها . فكيف بأولئك الأعاجم من مستعربي هذا العصر ؟

ولا يستطيع أحد من المبشرين أن ينكر جمال القرآن الكريم وروعته . يقول (بنيس^(١)) في مقدمته لكتابه (معجم القرآن) : هناك كثير من الجمال الباهر ، أفسكار شعرية عالية ، تكسى بلغة غنية ترتفع إلى درجة دونها أي ترجمة . وإن كثيراً من محاسن القرآن التي يعجب بها المستشرق لا يستطيع أن يفهمها المبتدئ من المستشرقين . وإن الإيجاز الجميل الذي يزيد كثيراً في قوة التعبير والتأثير يُحير هؤلاء المترجمين . وإنا لنفخر باللغة العربية كل الفخر ؛ فإنك تجد من العسير جداً على طلاب دراسة لغات الفرس والترك والهنود المسلمين ، ولغات البلاد الإسلامية الأخرى أو آدابها أو طرق التفكير فيها من غير إجادة اللغة العربية إجادة تامة . ولا يقدر العربية ويحبها إلا من يجيدها ، ويتعمق في دراستها .

أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى :

وقد كان للغة العربية تأثير كبير في اللغات والشعوب الأخرى بعد ظهور الإسلام ؛ فقد اتخذت اللغة الفارسية الحروف الأبجدية العربية حروفاً لها ، واستعارت كثيراً من

(١) ارجع إلى : Dictionary of the Koran, by Penrice.

كلماتها وعباراتها وجملها . والأثر العربي واضح كل الوضوح في اللغة الفارسية وآدابها . وقد لاحظ « رينان »^(١) أن كل الكلمات عربية في بعض الكتب الفارسية ، ولو أن القواعد غير عربية . وثلاثة أرباع الكلمات في اللغة الهندوستانية مأخوذة من العربية . واللغة التركية مدينة في كثير من كلماتها للعربية . وكانت تستعمل الحروف الأبجدية العربية قبل عهد المرحوم مصطفى كمال باشا . وقد تأثرت لغة شبه جزيرة الملايو باللغة العربية أيضا عندما فتحها المسلمون ، واتخذت حروفها الأبجدية . وكان تأثيرها ملموسا جدا في إفريقية ، وقد انتشرت فوق كل النصف الشمالي لإفريقية ، وقد سبق العرب الرحالين « ليفنجستون »^(٢) ، وستانلي ، وسبيك » في رحلاتهم . وقد استعارت لغات السودان الجنوبي كثيرا من اللغة العربية ، ولم تنج أوروبا نفسها من تأثير تلك اللغة السامية الغالبة الظافرة الفاتحة . وفي اللغتين : الأسبانية والبرتغالية عدد كبير من الألفاظ والاصطلاحات العربية . وإن اللغتين : الفرنسية والإنجليزية مدينتان للغة العربية لدرجة كبيرة في كثير من الكلمات العلمية التي دخلتهما وقت الحروب الصليبية وقبلها .

ولنذكر هنا مجموعة صغيرة من الكلمات التي أخذتها الإنجليزية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من اللغة العربية كما هو مذكور في معجم الاشتقاق للعالم (سكيت)^(٣) :

(١) المستشرق الفرنسي المتعصب .

(٢) David Livingstone : داود ليفنجستون رحالة إنجليزي . كان - وهو غلام فقير - يعمل بمصنع القطن نهاراً ، ويدرس في مدرسة مسائية ليلاً . عرف بكثرة حبه للقراءة في أوقات فراغه ، ثم وجدت لديه الرغبة في دراسة الطب ، فدرسه حتى نال الدكتوراة ، ثم سافر إلى إفريقية وخصص حياته بمحاربة الرق ، ومحاربة بيع العبيد ، والعمل على تحريرهم .

(٣) Skeat's Etymological Dictionary

العربي	الإنجليزي	العربي	الإنجليزي
مجدى	Mohammedan	الكحول	Alcohol
مجلة ، مخزن	Magazine	قاض ، حاكم	Hakim
هجرة	Hegira	درزى	Druze
خليفة	Caliph	شراب	Syrup
مملوك	Mameluke	قطن	Cotton
سلطان	Sultan	بدوى	Bedouin
مسلم	Mussulman	عربى	Arabesque
أمير	Emir	مسجد	Mosque
أمراء	Emirs	مص	Myrrh
وزير	Vizier	مترجم	Dragoman
مسلم	Moslem	تعريف ، جدول	Tariff
مفتى	Mufti	خروب	Carob
قرآن	Koran	أريكة	Sofas
الجبر	Algebra	مُسماق (شجرة)	Summach
الكيمياء	Alchemy	طرطير ، تترى	Tartar
شيخ	Sheikh	صفر	Zero
حريم	Hareem	تمر الهند	Tamarind
غزال	Gazelle	أمير البحر	Admiral
قهوة	Coffee	صفر	Cipher
زعفران	Saffron	يربوع (حيوان)	Jerboa
		شراب	Sherbet
		مجلس	Mejlis

وقد نقل معظم تلك الكلمات من العربية إلى الإنجليزية عن طريق لغات أخرى كالفرنسية والأسبانية . وهناك كلمات أخرى نقلت مباشرة من العربية إلى الإنجليزية ، ومع هذا قد مرت بعض الكلمات برحلة طويلة من اللغة العربية إلى الإغريقية ، ثم إلى اللاتينية ، ثم إلى الإيطالية ، ثم إلى الفرنسية ، ومن هذه نقلت إلى الإنجليزية . وربما تكون كلمة Magazine بمعنى مخزن - أحسن مثل لشرح الطريقة التى وجدت بها كلمة عربية الأصل مأوى فى تربة كل اللغات الأوروبية ، واستعملت فى معان كثيرة مأخوذة من معناها الأصلي ، فهى من الفعل العربى : خَزَنَ بمعنى : جمع .

أثر الأدب العربي في الآداب الغربية

لقد ترك العرب ثروة لغوية وفنية ، وروحية وإنسانية ، فيما تركوه من الكتب العربية . وقد استفاد الغرب والأدب الغربي من الشرق والأدب العربي كثيراً في القرون الوسطى . وكان للحضارة الشرقية والمدنية العربية أثر كبير في النهضة الأدبية في عصر النهضة الأوروبية .

قال الأستاذ (مَأكِيل ^(١)) : « كما أن أوروبا مدينة بدياناتها لليهود فكذلك هي مدينة بقصصها للعرب » . وقال (وَارْتُون ^(٢)) في كتابه « تاريخ الشعر الإنجليزى » « حوالى سنة ١٧٧٠ م . - « إن الحركة (الرومانتيكية) في العصور الوسطى هي بلا ريب نتاج عربي خالص » .

ولولا ألف ليلة وليلة ما كان هناك (روبرنسون كروزو) . وقد عرف الغرب كثيراً عن الشرق وأبهته وعظمته من ألف ليلة وليلة ، المملوءة بالألوان الفنية ، والغامرات القوية ، والخيال البديع ، والغرض النبيل .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن القصص الشرقية من عربية وفارسية وهندية كان لها أكبر الأثر في القصص الغربية . وقد قال (فُكْتور هوجو) في مقدمة قصائده الشرقية : « كان العالم كله في عصر لويس الرابع عشر مقبلاً على الدراسات الإغريقية ، أما الآن فقد أقبل على الدراسات الشرقية ^(٣) » ؛ لما فيها من فن وجمال وخيال ، وآراء وأفكار .

(١) Prof. Mackail

(٢) ارجع إلى كتاب : History of English Poetry, by Warton

(٣) ارجع إلى كتاب : « تراث الإسلام » ج ١ ، ص ١٧٤ من مطبوعات لجنة النشر للجامعيين .

مقامات الهمذاني والحريري

ومما يشهد للعربية بالقدر في التعبير والجمال في الوصف تلك المقامات التي هي نوع من أنواع النثر الأدبي . ويقال إن الفضل في ابتكار هذه القصص القصيرة يرجع إلى ابن دريد . وقد نسج على غرار بديع الزمان الهمذاني ، ثم الحريري ، وقد أولع المستشرقون بمقامات الهمذاني والحريري ولعاً شديداً . والمقامة - كما قلنا - نوع من القصص الأدبي ، تعتمد على الخيال فيما تؤلف من حوادث ، وترمي إلى تعليم اللغة ، ووصف الأشياء ، ونقد الأدب ، وتعني بالعبارات البديعية . ولنذكر كلمة موجزة عن مقامات كل منهما فنقول :

بديع الزمان الهمذاني

(٣٥٨ - ٥٣٩٨ هـ)

ترجمته :

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان الهمذاني ، وقد كان قدوة للحريري في إنشاء المقامات ، وقرناً للخوارزمي في المباديات والمناظرات .

نسبه ونشأته :

ولد بديع الزمان (بهمذان) وهي مدينة (شمالي فارس) ، ونشأ بها ، وقد كانت هذه النشأة سبباً في توهم بعض المؤرخين أنه فارسي الأصل . وليس ذلك من الحق

في شيء . والصحيح أنه فارسي النشأة والمولد ، عربي الأصل والمحتد ؛ فهو يقول في رسالة له كتبها للشيخ أبي العباس الفضل بن أحمد الأسفرائيني : « إني عبد الشيخ واسمي أحمد ، وهذان المولد ، وتغلب المولد ، ومضر المحتد » . ومن هذا يتضح أنه - وإن نشأ في همدان وتربى فيها - تغلبي مضرى . وتغلب ومضر من القبائل العربية ؛ فهو عربي صميم .

وقد تعلم العلم والأدب وبرع فيهما ، وحقق اللغتين: العربية والفارسية . ولم يدع عالماً ولا أديباً إلا اقتبس منه ، وأخذ عنه ، حتى استنفد ما عنده . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، فتلقى عنه كل ما لديه من علم ، ثم ارتحل إلى صاحب ابن عباد ، فكان له من معارفه وعوارفه أوفر نصيب ، ورحل إلى جرجان ، فأقام في أكناف الإسماعيلية ، واتصل بأبي سعيد محمد بن منصور ، فقر به إليه ، وجعله من خاصته ، وأفاض عليه من خيراته ، ثم يم نيسابور في سنة ٣٨٢ هـ . فتجلت فيها عبقريته ، وعلا شأنه ، وزادت شهرته ، وأنشأ بها أربعاً مائة مقامة^(١) ، رشيقة اللفظ ، رقيقة السجع ، كانت مثالا احتذاه الحريري في إنشاء مقاماته المشهورة . وقد اعترف الحريري بذلك في مقدمتها فقال : « وقد أشار من إشارته حكم ، وطاعته غنم ، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع ، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع » .

مساجلته للخوارزمي :

ثم تصدى البديع لمناظرة الخوارزمي ، وكان هذا أكبر سناً ، وأنبه ذكراً ، وأعلى عند الرؤساء قدراً ، ولكن البديع أعانته فورة شبابه ، وحدة لسانه ، وحاجته

(١) أطلقت المقامة على كل قصة خيالية مسجوعة العبارة ، محلاة بأنواع البديع ، مشتملة على كثير من الغريب .

الملحة إلى الظهور والشهرة . فظهر على الخوارزمي وأخوه . ولم يكن يدور في خلد أحد أن يجرؤ إنسان على التصدي للخوارزمي ، وهو من هو في سعة العلم ، ورسوخ القدم في فنون الأدب ، فكانت جرأة البديع على مناظرته أولاً ، وانتصاره عليه ثانياً - سبباً في ذبوع شهرته في الآفاق ، وارتفاع قدره عند الملوك والرؤساء . ثم توفي الخوارزمي ، فخلا الجو للبديع ، وصفا له الدهر ، وحالنه الحظ ، وتنقل في الحواضر ينتجع الأُمراء ، ويتكسب بأدبه ، إلى أن ألقى عصا التسيار بهراة^(١) ، وأتم الله عليه نعمته ، فوفقه إلى مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي أحد وجهائها ، واقتنى بها ضياعاً واسعة ، وعاش رخي البال ، قرير العين ، إلى أن وافته منيته في سنة ٣٩٨ هـ .

وقد اختلف الرواة في موته ؛ فقال بعضهم إنه مات مسموماً ، وقال آخرون بل مات بالسكتة القلبية . وقد عجل بدفنه قبل أن تتحقق وفاته ، فأفاق في رمسه ، وسمع صياحه بالليل ، فنبش عليه القبر ، فوجد ميتاً وقد قبض على لحيته من الفرع .

أخلاقه ومواهبه :

كان البديع ظريفاً خفيف الروح ، جميل الصورة ، ذكي القريحة ، شريف الطبع ، حسن العشرة ، طاهر النفس ، خالص الود ، صداقته حلوة ، وعداوته مرة . وكان نسيج وحده ، وأعجوبة دهره في سرعة الخاطر ، وقوة الحافظة ، وصفاء الذهن ، وتوقد الذكاء ، وحضور البديهة . قيل إنه كان يسمع القصيدة تلقى لأول مرة ، أو ينظر في أوراق من كتاب لم يره من قبل ، فيحفظها عن ظهر قلب ، ثم يعيدها لا يترك منها حرفاً واحداً ، من غير

(١) مدينة كبيرة بأفغانستان .

تردد أو تلغثم . وكانت تلقى عليه القصيدة بالفارسية فيترجمها في الحال إلى العربية ،
ويأتي بها أحسن ما تكون انسجام لفظ ، ودقة معنى . وقد تقترح عليه الرسالة
في أى باب مهما يكن غريباً أو عسيراً ، فيأتي بها عفو الساعة دون تعمل ، ولا كد ذهن .
وقد يبدأ بأخر سطر فيها ثم يسير فيها عكساً إلى أن ينتهي بأولها ، في ألفاظ وعبارات
متسقة ، ومعان دقيقة متفقة ، مع الإسراع والإبداع . وأعظم نبوغه ، وسرعة بديهته ،
كان أكثر كتابته وشعره مرتجلاً . وكانت عباراته لينتة سهلة ، قصيرة السجع ،
تشهد بأنه لم يتكلف في صناعتها ، ولم يكدر خاطره .
ولا عجب ؛ فقد كان أعجوبة عصره ، وصاحب العجائب والغرائب كما قال الثعالبي
في يتيمة الدهر ^(١) .

نثره :

نثر البديع سهل رشيق ، لا تعمل فيه ولا تكلف ، ولم يشبه تعقيد ولا تعمق .
وهو لهذا يملك الشعور ، يأخذ بمجامع القلوب . وأكثره من قبيل الشعر المنشور ،
ويجمع بين متانة اللفظ ، ورشاقة المعنى ، ودقة الخيال ، وجمال الأسلوب . وهو مملوء
بالسجع القصير الفواصل ، والمحسنات البديعية .

شعره :

وله شعر قليل لم يبلغ مبلغ نثره من الجودة والإبداع ؛ لأن إجادته النظم والنثر
معاً قلما تتفق لأديب . فشعره يبدو عليه التكلف ، وهو إلى النظم أقرب منه إلى
الشعر . فالبديع لا يعد من الشعراء الذين يصل شعرهم إلى القلوب . وليس في نظمه

روح الشعر ، ولغة العاطفة والوجدان . وكثيراً ما تجدد في أبياته الركة ونبو الألفاظ وقلتها ، كقوله في مدح رجل أعطاه رداءه^(١) :

أعد نظراً يآمن حبانى ثيابه ولا تدع الأيام تهدمنى هذا
فكامة هذا في هذا البيت أتى بها محافظة على روى الشعر ، وهى قلقة فى
مكانها ، تمنجها الأذن ، وينبو عنها الذوق السليم . ولولا الضرورة لقال تهدمنى هدماً .

مقامات البديع :

للبديع أربع مائة مقامة ، نحلها أبا الفتح الإسكندري على لسان عيسى بن هشام
وقد جعلها تدور على الكدية^(٢) وفنون الحيلة ، وضمنها ما تشبهه الأنفس ، وتلد
الأعين ؛ من لفظ رشيق ، سهل المأخذ ، جيد المعنى ، وسجع جميل كسجع الحمام ،
وقد ذهب أكثر هذه المقامات ، ولم يصل إلينا منها غير بضع وخمسين مقامة .

موازنة بين مقامات البديع ومقامات الحريرى :

كانت مقامات البديع هى المثال الذى احتذاه الحريرى فى إنشاء مقاماته ،
ولكن مقامات البديع قصيرة فى الغالب . وعلى الرغم من سبقها لم تشتهر اشتهار
مقامات الحريرى ، ولم تنل مثل منزلتها فى تقدير الأدب والأدباء ، وإن كانت
تفضلها فى عدم التكلف . أما الأفكار فى مقامات البديع فضيقة محدودة ، ليس فيها

(١) ارجع إلى المقامة الجاحظية من مقامات بدیع الزمان .

(٢) الكدية : شدة الدهر ، وما يجتمع من طعام أو شراب : يقال : أ كدى :

بخيل ، أو قل خيرُهُ ، أو قلل عطاءه .

أثر كبير لخيال الروائيين الذي يظهر واضحاً في مقامات الحريري ؛ فقد كانت عناية البديع باللفظ فوق عنايته بالمعنى . ولكنها على كل حال لا تخلو من فسكاهة أو عبرة . ويستطيع الطالب أن يقرأها ويدرك مراميها بسهولة ، ولا يجد فيها من الغريب ما يجد في مقامات الحريري ، التي قصد بها إلى تعليم اللغة ، وجمع شواردها ، وإحياء غريبها . ولذلك كثر فيها التعمق اللغوي ، واحتاجت إلى كثير من الشرح والإيضاح .

وإن مقامات البديع والحريري والزنجشري خير رد على من يزعمون خلو الأدب العربي من القصص ؛ فما هي إلا حكايات خيالية قصيرة ، كتبت بأسلوب سجعى كالشعر المنشور ، وملئت بالألفاظ اللغوية ، والمحسنات البديعية ؛ من جناس ، وطباق ، وتورية وغيرها ؛ لتحقيق الأغراض التعليمية التي قصدت منها .

مقامات الحريري

يرى بعض المستشرقين أن مقامات الحريري تستحق أن تكتب بالذهب . ويرى آخرون : أنها أعظم ثروة أدبية للعرب ، ولا يجسر أحد من المستشرقين أن يتجاهل هذا الكتاب الثمين ؛ فالقارئ للمقامات يدرس كل فرع من العلوم الإسلامية من الشريعة والقانون والشعر والتاريخ والآثار القديمة . وقد ترجمها إلى الفرنسية دي ساس^(١) (باريس سنة ١٨٢٢ م) ، وترجمها إلى الإنجليزية « برستون^(٢) ثم كنزى^(٣) » وكتب الأخير عنها مقدمة للجزء الأول من الترجمة تبلغ مائة صفحة سنة ١٨٦٧ م ، وترجمها إلى الألمانية بمصرف «فون كريمر^(٤)» ، وترجمها إلى الفارسية

(١) de Sace. (٢) Preston (٣) Chenery (٤) Von Kremer

حميد الدين البلخي، ويصفه (ستأنلي لين بُول) بأنه «شكسبير العالم العربي». وقد قال بعد اطلاعه على الترجمة : « لا شك أن من الصعب على معظم الغربيين أن يقدرُوا جمال هذا الكتاب الثمين ». والمادة التي تستحق الدراسة من مقامات الحريري غزيرة ووافرة جداً .

وقد ولد الحريري بالبصرة سنة ١٠٥٤ م، وتوفي سنة ١١٢١ م بها، وكان قبيح المنظر، يقتلع شعر ذقنه حينما يشغل بالتفكير . وقد تمتع بصداقة الوزير أنوشروان^(١) بن خالد صاحب المواهب الكبيرة . وقد قرَّب الحريري، ودافع عنه، وحمله على كتابة المقامات، فكتبها وأهداها إليه . وكان من أحسن الوزراء علماً وأدباً، معروفًا بالكرم والنبيل، صديقاً للعلماء والأدباء، وقد لمح إليه الحريري في ابتداء مقاماته حيث يقول : « وبعد؛ فإنه قد جرى ببعض أندية الأدب، الذي ركدت في هذا العصر ريجه^(٢)، وخبت^(٣) مصابيحها، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان^(٤)، وعلامة همدان، رحمه الله تعالى... فأشار عليّ من إشارته حكم، وطاعته غم، أن أنشئ مقامات أتلو^(٥) فيها تلو البديع » .

كتب خمسين مقامة، لا ارتباط بينها إلا ظهور أبي زيد البوهيمي أو أبي زيد السروجي من وقت لآخر، وهو بطل هذه الأقاصيص . قيل إن أبا زيد هذا ورد بالبصرة، واجتمع بالحريري في مسجد بني حرام . وكان هذا الرجل أفقافصيح اللسان، صاحب حيلة وأدب، ذكياً لا ضمير له، يجمع الصدقات من مدن مختلفة، وجماعات

(١) أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني (ولد سنة ٤٥٩ هـ - ١٠٦٦ م. وتوفي سنة ٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م). كان وزيراً للسلطان محمود بن محمد بن مالکشاہ، وذهب معه إلى بغداد، وعاش في منزل على شاطئ نهر دجلة . وله رسالة عن السلاجقة طبعت في لندن سنة ١٨٨٩ م .
(٢) ريجه : دولته (٣) خبت : خمدت (٤) الحق أن مبتدع المقامات هو أبو بكر بن دريد (٥) أتلو : أتبع .

متعددة، بعد أن يعظ الناس ويحدثهم عن التقوى والفضيلة ، ثم يذهب بغناؤه ليمتع نفسه سرًّا بالانهماك في المحرم من اللذات .

وجمال هذه المقامات في ألفاظها ، وإيجازها ، أما الأفكار فليست بكثيرة .
والحريري يكثر من استخدام السجع ويسرف في ذلك ، حتى فاق فيه أستاذه بديع الزمان الهمذاني . والغريبيون لا يعجبون بالسجع ، بل يملونه ، ولكنه كان محبوبا لدى أدباء عصر الحريري .

وقد كان السجع قديما الأسلوب الطبيعي للخطابة البليغة المؤثرة ، وقد أولع به بعض المؤرخين ؛ فنرى ابن الأثير حينما يذكر نصرا عظيما ، أو عملا عجيبا ، يترجم عنه بلغة السجع . وفي المقامات نجد كثيرا من الأشياء التي تصلح لأذواق مختلفة ، نجد علم البلاغة والوعظ الإسلامي ، والشعر السهل ، والقصائد المتقنة ، نجد كل شيء يستطيع الكاتب الماهر أن يصوغه في لغة مرنة كاللغة العربية . وإن ما يقوله المستشرقون في نقد مقامات الحريري ، يمكن أن يقال في كثير من جمهرة الشعر العربي ؛ لفقد الارتباط بين الأفكار ، وعدم التعفف في التعبير ، والمبالغة المفقودة ، فكل عين جميلة زهرة ، والدموع لآلى ، والأسنان كذلك ، والشفة ياقوتة ، واللثة زهرة رمان ، والعيون الناظرات سيوف ، والأجفان أغصان ، والخال نخلة ترحف لتمتص الشهد من الشفتين ، والوجه الجميل بدر ، والقوام المعتدل كالألف ، والشعر الأسود ليل ، والحب هوى دائم . وتكثر الإشارات والتلميحات . ويرى (بارون دى سالين) أن المتنبي وابن الفارض مستثنيان من هذا الحكم ؛ فإنهما أظهرتا مقدرة كبيرة فيما أبدعاه من الشعر والأفكار ، والتأملات الخفية ، والجمال المعنوي ، غير أن من الإنصاف أن نقول الحق في منزلة مقامات الحريري الأدبية ، فهي تمتاز بإشراق

الأسلوب، ونصاعة العبارة . والمتأمل يرى أن سجع الحريري لا كلفة فيه ، على أن
القارئ إذا مل هذا النوع من جرس الألفاظ ، وتشقيق الجفاس ، فإنه واجد ما يعوضه
عن الملل بالفوائد التي يصيها - وهي لا ريب كثيرة - فمن ملح أدبية ، إلى أنواع
بديعية، ونكات تاريخية ، وحيل شرعية، وكنى صوفية، وأحاجى نحوية. وقد أشاد
العلامة « إرنست رينان » بما فيها من حياة وإبداع ، وأن المؤلف دل على براعة في
كتابتها ، ومعرفته بدقائق المسائل اللغوية .

اللهجات العربية الصغيرة

للغة العربية لهجات مختلفة متنوعة ، شأن كل لغة أخرى كثيرة الانتشار في الأقطار والبلدان . وقد أخطأ علماء اللغة في نسبة اختلاف لهجات اللغة العربية إلى تأثير اللغات الأجنبية التي اتصلت بها . وإننا لا ننكر أنه كان للغات الأجنبية بعض التأثير في اختلاف اللهجات لأكله . ولو كان لها كل التأثير لاستطاع سكان بلاد العرب الداخلية أن يتكلموا اللغة العربية كما كان يتكلمها العرب في تلك الجهات نفسها منذ ألف سنة . ولكن الواقع أن لهجتهم تغيرت ، وأنهم لا يتكلمون كما كان يتكلم آباؤهم القدماء . وكل مسلم يتمسك بالإسلام يكرر سوراً قصيرة من القرآن الكريم عدة مرات في صلواته الخمس كل يوم . ومعظم المسلمين من العرب يفهمون قليلاً أو كثيراً مما يقرءونه أو يسمعون من القرآن الكريم . فلا عجب إذا قلنا إنه قد كان للقرآن الكريم أثر كبير في اللغة العربية ، تلك اللغة الواسعة الانتشار ، أثر لم يؤثره أى كتاب آخر في العالم ، في أى لغة من اللغات ، وفي أى عصر من العصور .

وبالرغم من أن القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية ، وأن فريقاً من الولاة دفعهم حب تأييد ملكهم أو ميلهم إلى اللغة العربية إلى تقريب العلماء والشعراء والأدباء - ومن هؤلاء آل حمدان ، و بنو بويه - فإن اللهجات قد انتشرت وتشعبت ، واختلفت كل منها عن الأخرى اختلافاً كبيراً ، مع أنها قد كانت لغة الدين والعلم والحكومة .

وقد نجح المستشرقون أخيرا في معرفة هذه اللهجات ، وألفوا كثيرا من الكتب عنها وعن قواعدها ، وصاروا يعرفون اللغة العامية المصرية ، والعامية في تونس والجزائر ومراكش وطرابلس ، وتسمى لهجات بلاد المغرب . وتدخل فيها لهجة كانت لغة محادثة في يوم ما في جزيرة صقلية ، ولا يعرف عنها الآن إلا قليل . وتتصل بلهجات بلاد المغرب أيضا لهجة مالطة ؛ تلك اللهجة التي تزد العالم اللغوي ؛ لأنها قد انقطعت عن اللغة العربية العلمية منذ أكثر من تسعمائة سنة ، وصارت متأثرة باللغة الإيطالية ، ومع هذا لا تزال تحفظ كثيرا من الميزات الخاصة بلهجات الشاطئ الإفريقي القريب منها . وقد كون أهل مالطة لهم لغة كتابة حديثة تختلف عن اللغة العربية القديمة ، وطبع بها كثير من الكتب بحروف لاتينية .

وقد درس علماء اللغة أيضا لهجة بلاد الأندلس ، وانتفعوا بكثير من الآثار الأدبية الأندلسية ، كما انتفعوا بكتاب الأجرومية ومعجم (بدرودي الكالا) الذي ألفه سنة ١٥٠٥ م .

وقد عرف عن لهجات سورية وبلاد العرب الجنوبية والداخلية والأقطار الشرقية الأخرى أكثر مما كان معروفا من قبل . ولا يزال لدى العلماء واللغويين مجال عظيم للبحث ، حتى يمكن ترتيب تلك اللهجات ووضعها في أقسام معينة .

وعلى العموم يمكننا أن نقول إن اللهجة العامية للبدو تختلف بعض الاختلاف عن لهجة غيرهم من أهل الحضر . ولا شك أن اختلاف اللهجات ليس بمستحدث ، بل كان معروفا في العصر الجاهلي . ولا تزال اللهجات العربية في الأقطار المختلفة تشبه كل منها الأخرى ، مع بعد كل قطر عن الآخر ، واتساع الشقة بين البلاد التي تتكلم العربية ، وكثرة العوائق الطبيعية التي تحول بين بعضها وبعضها الآخر ، لكن يجب ألا ننظر أن

من السهل أن يفهم أهل الموصل أهل مراکش ، أو يفهم هؤلاء وأولئك سكان
سيناء وبلاد العرب . وهناك فرق كبير بين اللهجات العربية الحالية واللغة العربية
القديمة . وليس هناك لهجة عربية حية تشبه اللغة العربية القديمة كل الشبه .

وقد كان لتلك اللهجات العربية الصغيرة أثر في اللغة الأدبية القديمة ، لغة الشعر
والأدب . وكما تأثر بها الشعر تأثرت بها الأغاني في الجهات المختلفة . وإذا استثنينا
شعر أهل مالطة وجدنا أن الشعر العربي متأثر وخاضع لتأثير اللغة العربية القديمة .
وبالأغاني الشعبية والموااليا (المواويل) وقصص العجائز - يمكننا أن نرى بالضبط
نوع اللهجة العامية وصورتها . وكثيرا ما تتفق مع قواعد العربية القديمة . ومن الصعب
الحصول على كتب ثمينة قديمة باللغة العامية .

وفي السنوات الأخيرة حاول المصلحون رفع شأن اللهجة العامية المصرية وإصلاحها
حتى تصلح للكتابة العلمية والأدبية . ونرجو أن تتوج هذه المحاولة بالنجاح .
ومن الممكن إصلاحها إذا عممنا التعليم ، وصار الشعب مثقفا ، واعتاد الأطفال التحدث
باللغة العربية السهلة منذ الطفولة ، في البيت والمدرسة ، وفي الشارع والأماكن العامة .
على أن إصلاح العامية قد يكون ممكنا إذا علمنا أن العامية ما هي إلا عربية محرفة ،
دخلتها طائفة كبيرة من الألفاظ الأعجمية . وليس من الممكن أن يرفعها الإصلاح
المنشود إلى لغة الأدب الرفيع ، ولكن الذي نرجوه أن تقترب هذه اللغة بقدر الإمكان
من لغة الأدب والشعر ، حتى لا يصدم المتعلمون بلغتين تناهض كل واحدة منهما الأخرى .

الفصل العاشر

الخط العربي وتاريخه

ولنذكر هنا ما ذكره العالم البحاثة ، الخالد الذكرجي زيدان عن الخط العربي مع بعض التصرف فنقول^(١) : بلغت الكتابة مبلغاً كبيراً من الإتقان والجودة في دولة التبابعة حين رقيت في الحضارة والشرف ، حتى صارت الكتابة تنسب إليهم ، كما قال الشاعر :

عرفنا الديار كرقم الدواة يذبرها^(٢) الكاتب الحميري

ثم انتقلت إلى الحيرة وبها المناذرة نسباء التبابعة الذين جددوا ملك العرب بالعراق على يد صرامر بن مرة ، وعامر بن جذرة ، وأسلم بن سيرة ، عن كاتب وحي هود عليه السلام ، ثم جزموا^(٣) منها خط الجزم الذي سمي فيما بعد بالكوفي . ولقرب عهد المناذرة بالبداوة لم يبلغ الخط عندهم حد الإجابة كما كان عند التبابعة^(٤) ، فتعلمته مضر من حمير .

وقيل إن أول من خط بالعربي إسماعيل عليه السلام ، ثم إن قريشاً وأهل الطائف تعلموا الكتابة من الحيرة عن أهل الأنبار كما قال السيوطي^(٥) . وذكر ابن خلدون ما يؤيد هذا .

(١) ارجع إلى كتاب تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان (٢) يخطها (٣) اقتطعوا

(٤) التبابعة : ملوك اليم ، والمفرد تبع كسكر . وقد ولد النبي صلى الله عليه وسلم بدار التبابعة بمكة .

(٥) ارجع إلى المزهري للسيوطي

فليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة إلا قبيل الإسلام ؛ لغلبة البداوة عليهم ، ولأن الكتابة من الصناعات الحضرية ، مع أنهم كانوا محاطين شمالاً وجنوباً بأمم من العرب خلفوا نقوشاً كتابية كثيرة ، وأشهر تلك الأمم حمير في اليمن كتبوا بالحرف المسند ، والأنباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي ، تشهد بذلك آثارهم الباقية إلى الآن في ضواحي البلقاء وحوران .

على أن الذين رحلوا منهم إلى العراق والشام قبيل الإسلام للتجارة ونحوها تخلقوا بأخلاق الحضرة ، واقتبسوا الكتابة منهم ، فرجعوا وبعضهم يكتب بالحرف النبطي أو السرياني أو العبراني . والأولان ظلا عندهم إلى ما بعد الفتوح الإسلامية ، فتفرع عن الأول الخط النسخي (الدارج) ، وعن الثاني الكوفي نسبة إلى الكوفة ، وكان يسمى قبل الإسلام الحيري نسبة إلى الحيرة التي بنى المسلمون الكوفة بجوارها ، وهي مدينة عرب العراق قبل الإسلام .

فكان السريان في العراق يكتبون ببضعة أقلام من الخط السرياني ، ومنه خط يسمونه « الإسترنجيلي » كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس ^(١) . وقد اقتبسوه العرب في القرن الأول قبل الإسلام ، وكان من أسباب النهضة عندهم ، وعنه تفرع الخط الكوفي ، وهما متشابهان إلى الآن .

والأشهر أن أهل الأنبار هم الذين نقلوه إلى بلاد العرب ؛ فإن رجلاً منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندي أخو أكيدر صاحب دومة الجندل تعلم هذا الخط من الأنبار ، وخرج إلى مكة ، فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان والد معاوية ، فتعلمه جماعة من أهل مكة ، فكثرت يكتب بمكة من قریش ^(٢)

(١) ارجع إلى اللمعة الشبيهة

(٢) ارجع إلى المزهري ص ١٧٧ ج ٢

عند ظهور الإسلام . من أجل ذلك وهم بعضهم أن أول من نقل الخط إلى العرب
سفيان بن أمية .

والخلاصة أن العرب تعلموا الخط النبطي من حوران في أثناء تجارتهم إلى الشام ،
وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبل الهجرة بقليل . وظل الخطان معروفين عندهم
بعد الإسلام . والأرجح أنهم كانوا يستخدمون القلمين معا : الكوفي لكتابة
القرآن الكريم ونحوه من النصوص الدينية ، كما كان سلفه الإسترنجيلي يستخدم عند
السريان لكتابة الأسفار المقدسة النصرانية . والنبطي لكتابة الرسائل والمكاتبات
العادية .

ومما يدل على تفرع الكوفي عن الإسترنجيلي في شكله وغيره أن الألف إذا
جاءت حرف مد وسط الكلمة تحذف ، وهذه عادة معروفة في الكتابة السريانية .
وكان ذلك شائعا في صدر الإسلام ، وخاصة في القرآن الكريم ، فيكتبون « الكتب »
بدل الكتاب ، و « الظالمين » بدل الظالمين .

جاء الإسلام والكتابة غير شائعة ، فلم يكن يعرفها إلا بضعة عشر رجلا أكثرهم
من كبار الصحابة ، وهم : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وطاحه بن عبد الله ،
وعثمان وإبان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن
عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ، وأبوسامة بن عبد الأشهل ، وعبد الله بن
سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبوسفيان بن حرب ، وولده معاوية ،
وجهم بن الصلت .

و بتشجيع الإسلام تعلم كثير من الصحابة وغيرهم ، ومنهم خرج كتّاب الدواوين
للخلفاء الراشدين ، وكتاب الرسائل ، وكتاب القرآن الذي كتب بالكوفي أيام

الخلفاء الراشدين وبنى أمية ، وتفرع الخط المذكور في هذا العهد إلى أربعة خطوط ، اشتقها قطبة خطاط أهل زمانه ، وكان المصاحف لبنى أمية ، ثم اشتهر بعده الضحاك ابن عجلان في أوائل الدولة العباسية ، فزاد على قطبة . وأربى عليهما إسحق بن حماد وغيره ، فبلغ عدد الأقلام العربية إلى أوائل الدولة العباسية اثني عشر قلما وهي :

- | | |
|---------------------|---------------------------|
| ١ — قلم الجليل . | ٢ — قلم السجلات . |
| ٣ — قلم الديباج . | ٤ — قلم أسطورمار الكبير . |
| ٥ — قلم الثلاثين . | ٦ — قلم الزنبور . |
| ٧ — قلم المفتاح . | ٨ — قلم الحرم . |
| ٩ — قلم المداصرات . | ١٠ — قلم العهد . |
| ١١ — قلم القصص . | ١٢ — قلم الحرفاج . |

وفي أيام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط ، فحدث القلم المرصع ، وقلم النساخ ، وقلم الرياسى نسبة إلى مخترعه ذى الرياستين الفضل بن سهل ، وقلم الرقاع ، وقلم غبار الحلمية^(١) ، فزادت الخطوط على عشرين شكلا ، وكلها تعد من الكوفى . وأما الخط الذسخى أو النبطى فقد كان شائعا بين الناس لغير الخطوط الرسمية ، حتى إذا جاء ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ — وهو وزير المقتدر الخليفة العباسى — أدخل فيه تحسينا جعله على نحو ما هو عليه الآن ، وأدخله في كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين أن ابن مقلة نقل صورة القلم الكوفى إلى صورة القلم الذسخى . والغالب فى اعتقادنا أن الخطين كانا شائعين معا فى صدر الإسلام : الكوفى للمصاحف

(١) ارجع إلى كشف الظنون ص ٤٦٦ ج ١ .

ونحوها، والنسخى للرسائل ونحوها، وأن ابن مقلة جعل الخط النسخى على قاعدة جميلة؛ حتى يصلح لكتابة المصاحف .

وقد شاهدنا في معرض الخطوط العربية القديمة في دار الكتب الملكية عقد نكاح مكتوبا في أواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ هـ . على ورق مستطيل، في أعلاه صورة العقد بالقلم الكوفي المنتظم ، وتحتها خطوط الشهود بالقلم النسخى بغاية الاختلال . فابن مقلة حسن هذا الخط تحسينا كبيرا ، وأدخله في كتابة المصاحف . ثم تفرع الخط النسخى المذكور بتوالي الأيام إلى فروع كثيرة ، وصارت الأقلام الرئيسة في اللغة العربية الكوفي والنسخى ، ولكل منهما عدة فروع ، بقي منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام ، وهى : الثلث ، والنسخى ، والتعليق ، والريحاني ، والمحقق ، والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة ألفوا فيه الكتب والرسائل ، بعضها في أدوات الخط كالأقلام وطرق بريها ، وأحوال الشق والقط ، والدواة والمداد ، والكاغد ، وغير ذلك ^(١) . وما زال الخط يتفرع إلى اليوم ، ولا يزال إلى ما شاء الله عملا بسنة الارتقاء .

وكان القرآن الكريم في صدر الإسلام محفوظا في صدور القراء ، لا خوف عليه من الخطأ والاختلاف في قراءته ؛ لكثرة عنايتهم بحفظه ، وحسن أدائه ، حتى دونوه ، وكثر المسلمون ، فمضى نصف القرن الأول للهجرة والناس يقرءون القرآن بلا حركات ولا إجماع .

وأول ما احتاجوا إليه الحركات ، وأول من رسمها أبو الأسود ^(٢) الدؤلى واضع النحو العربى المتوفى سنة ٦٩ هـ ؛ فإنه وضع نقاطا تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها

(١) ارجع إلى كشف الظنون ص ٤٦٧ ج ١

(٢) ويقال إن أبا الأسود وضع النحو بإشارة على بن أبى طالب . وكان هذا الإمام متصلا ببعض علماء اليهود فى الكوفة ، الذين كانوا على علم بنحو اللغة السريانية . وهنا تعرض لنا شبهة تأثر النحو العربى بالنحو السريانى .

الحركات ؛ لتمييز الاسم من الفعل والحرف ، ولتمييز الباء من التاء ، أو الجيم من الحاء .
ولذلك توهم بعضهم أنه وضع نقط الإعجام .

والأرجح أنه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه في العراق ؛ إذ كان عندهم نقط توضع فوق الحرف أو تحته ، لتبين نطقه ، أو تعين الكلمة التي هو فيها ؛ اسم هي أو فعل أو حرف ، مثل « كتب » ، فيمكن أن تكون اسما جمع كتاب ، أو فعلا ماضيا معلوما أو مجهولا . وكان عندهم أيضا نقط هي حركات وضعها يعقوب الرهاوي قبيل ذلك الزمن كانت ترسم مع الحروف ، ثم تحولت إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث . وما زالت عندهم إلى اليوم . والظاهر أن أبا الأسود اقتبس هذه الحركات ، ويؤيد ذلك أنه لما أراد النقط ، أتوه بكتاب فقال له أبو الأسود : « إذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلى ، وإذا ضمنت فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » .
فكان العرب يستعملون هذه النقط ، والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط .
وقد شاهدنا في دار الكتب الملكية مصحفا كوفيا منقطا على هذه الطريقة وجد بجامع عمرو بجوار القاهرة ، وهو من أقدم مصاحف العالم ، كُتِبَ على رقوق صغيرة بعداد أسود ، وفيه نقط حمراء اللون ، فالنقطة فوق الحرف فتحة ، وتحت كسرة ، وبين يدي الحرف ضمة ، كما وصفها أبو الأسود .

الاعجام

لما انتشر الإسلام واتسعت رقعته ، وتسابق كثير من الأعاجم إليه ، واشتد اختلاطهم بأهله ، فشا اللحن والتصحيف ، والتبس الأمر على الناس ، وصعب عليهم تمييز الأحرف المتشابهة ، كالجيم والحاء ، والسين والشين . ولم تفقههم كثيرا العلامات التي وضعها أبو الأسود ، فانتبه لذلك الحجاج أمير العراق في أيام عبد الملك بن مروان . قال ابن خلدان : « ففرع الحجاج إلى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المتشابهة علامات تميزها بعضها من بعض . فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك ، فوضع النقط أفرادا وأزواجا ، وخالف بين أماكنها ، فكث الناس زمنا لا يكتبون إلا منقوطة ، فكان التصحيف يقع مع استعمال النقط ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يتبعون النقط بالإعجام ^(١) .

وفي عبارة ابن خلدان هذه غموض لا يفهم المراد منها ، ولا الفرق بين النقط والإعجام ، وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المراد بالنقط الحركات ؛ لأنهم إنما عمدوا إليها لكثرة التصحيف ؛ أي اختلاف القراءة باختلاف النقط . فالظاهر أن النقط المذكورة من قبيل الإعجام ؛ لتمييز الحروف المتشابهة . ولكن نصرا هذا لم ينقط إلا بضعة حروف مما يكثر وروده ، ويخشى الالتباس فيه ، ثم رأوا أن القراءة لاتضبط إلا بتنقيط كل الحروف كما هي الآن ، وهذا ما عبروا عنه بالإعجام .

(١) ارجع إلى كشف الظنون ص ٤٦٧ ج ١

وقد شاهدنا في معرض الخطوط في دار الكتب الملكية كتابة على صفحة من ورق البردي مؤرخة سنة ٩١ هـ ، وفيها الإعجام ، ولكنه مقصور على الصور المشابهة للباء ؛ للتمييز بين الباء والتاء والياء ، وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط على استواء واحد . وشاهدنا أجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليها نقط حمراء للحركات ، ونقط سوداء للإعجام . وقد نجد خطوطا قديمة منقطة ومحركة ، وخطوطا حديثة بلا نقط ولا تحريك .

فيؤخذ من ذلك أن العرب استخدموا الحركات والإعجام من أواسط القرن الأول ، ولكنهم ظلوا مع ذلك يكرهونها إلا حيث يريدون الدقة كالمصاحف ونحوها . وفيما عدا ذلك يفضلون ترك النقط ، لا سيما إذا كان المكتوب إليه عالما .

وقد حكى أن عرض على عبد الله بن طاهر خط بعض الكتاب ، فقال : « ما أحسنه لولا كثرة نقطه » . ويقال : « كثرة التنقيط في الكتابة سوء ظن بالمكتوب إليه » . وقد يقع بالتنقيط ضرر ، كما حكى عن جعفر المتوكل أنه كتب إلى بعض عماله أن أحص من قبلك من الذميين ، وعرفنا بمبلغ عددهم » . فوقع على الحاء نقطة ، فجمع العامل من كان في عمله منهم ، وخصاهم فأتوا إلا رجلين .

ولذلك ظل الكتاب مخيرين بين الإعجام والإهمال ، وربما فضلوا الأخير . وقد حدث بسبب ذلك لبس في كثير من الأحوال ، وبخاصة أسماء الأماكن الغريبة ، أو الألفاظ الغريبة ، وكان الأدباء يستحسنون الإعجام في كتب العلوم ، ويستهجنونها في المراسلات . ولذلك استحسنوا مشق الخط في المكاتبات ؛ لأنهم لفرط إدلالهم في الصنعة ، وتقدمهم في الكتابة - يكتفون بالإشارة ، ويقتصرون على التلويح ، ويرون الحاجة إلى استيفاء الإبانة تقصيرا^(١) .

(١) ارجع إلى أدب الدنيا والدين ص ٥٣

أدوات الكتابة

أما أدوات الكتابة فقد وفي العالم البحاثة جورجى زيدان الكلام عنها في الجزء الأول من كتابه « تاريخ اللغة العربية » ، فقال : وظلوا يكتبون إلى أواخر دولة الأمويين على الجلود والرقوق دروجا ، فكانت دفاتر الحكومة لفائف من الجلد ؛ فلما أفضى الأمر إلى العباسيين غير خالد البرمكى وزير أبى العباس السفاح الدفاتر من الأدراج إلى الكتب ، فظلت أعمال الحكومة تدون فى كتب من الجلد ، إلى أن تصرف جعفر بن يحيى البرمكى بالوزارة فى خلافة الرشيد ، فاتخذ الكاغد (الورق) ، وتداوله الناس بعده . وظلوا على ذلك أجيالا لا يكتبون على الجلد والقراطيس ، والورق الصينى ، والتهامى ، والخراسانى ^(١) يصنعونه كراسات أو دفاتر . وكان بعضهم يفضل الرقاع كالفارابى ؛ فقد كانت أكثر كتاباته على الرقاع ^(٢) .

(١) الفهرست ص ٤٠ (٢) ابن خلكان ص ٢٧ ج ٢

سلسلة الخط العربي على رأى الإفرنج

المصرى

↓
الفينيقى

السريانى

↓
الاسترنجىلى

النبطى

↓
الحيرى والأنبارى

↓
الحجازى (النسخى)

↓
الكوفى

سلسلة الخط العربي على رأى رواة العرب

المصرى

↓
الفينيقى

الصفوى - الشهودى - اللحيانى - الحيرى

↓
الكندى والنبطى

↓
الحيرى والأنبارى

↓
الحجازى

↓
الكوفى

ولنذكر فيما يلى سلسلة الخط العربى كافى « تاريخ حياة اللغة العربية » للغوى المحقق المرحوم حنفى ناصف بك

عربي ومصري وفيينيقي

عربي نسخ	مصري مقدس	مصري للكتابة	فيينيقي	أسماء فينيقية	مسميات أصلية
أ			𐤀	ألف	نور
ب			𐤁	بيت	بيت
ج			𐤂	جورس	جورس
د			𐤃	دلت	باب
هـ			𐤄	ها	اسم إشارة والكتابة أرفق لا اليد
و			𐤅	داد	سائر بشارية
ز			𐤆	زيبه	حربة أو صليح
ح			𐤇	حط	مائل أو صليح
ط			𐤈	ططا	حبة
ي			𐤉	يود	يد
ك			𐤊	كان	كف
ل			𐤋	لاسه	صبيح
م			𐤌	ميم	ماء
ن			𐤍	نونه	سكة
س			𐤎	سامك	رغانة
ع			𐤏	عبيه	حاجرة البصر
ف			𐤐	فأ	نم
ق			𐤑	صارى	فتح أو منجل
ك			𐤒	توف	أزله
ر			𐤓	ريسه	رأس
ش			𐤔	شبيه	س
ث			𐤕	نادر	صليب يعلوه على أفتان إيد

نسخ و یونانی و حمیری و آرامی

عربی نسخ	یونانی قدیم	مسند حمیری	آرامی قدیم
ا	Α Α	𐤀 𐤁	𐤀
ب	Β Β Β	𐤂 𐤃	𐤂
ج	Γ Γ ʾ	𐤄	𐤄
د	Δ Δ Δ	𐤅 𐤆 𐤇 𐤈	𐤅
هـ	Ε Ε	𐤉	𐤉
و	Ϝ ϝ Ϟ	𐤊	𐤊
ز	Ζ Ζ	𐤋	𐤋
ح	Η Η	𐤌 𐤍	𐤌
ط	Θ Θ	𐤎 𐤏 𐤐	𐤎
ی	Ι Ι	𐤑	𐤑
ك	Κ Κ	𐤒 𐤓	𐤒
ل	Λ Λ	𐤔 𐤕	𐤔
م	Μ Μ	𐤖 𐤗 𐤘	𐤖
ن	Ν	𐤙	𐤙
س	Ξ (?) ϙ	𐤚	𐤚
ع	Ο	𐤛 𐤜 𐤝	𐤛
ف	Ϝ ϝ	𐤞	𐤞
ص	Ϟ ϟ	𐤟 𐤠	𐤟
ق	Ϡ ϡ Ϣ	𐤡	𐤡
ر	ϣ Ϥ	𐤢 𐤣	𐤢
ش	ϥ Ϧ	𐤤 𐤥	𐤤
ت	Τ Τ	𐤦 𐤧	𐤦

حروف ابجدية شرقية متنوعة

عربي	سرياني	آشوري	نبطي	نعمري	فارسي	فارسي	عبري	عبري
عربي	سرياني	آشوري	نبطي	نعمري	فارسي	فارسي	عبري	عبري
ا	ا	כ	𐤀 𐤁 𐤂 𐤃	𐤀	𐬀	𐬀 𐬀	א	א
ب	ب	כ	𐤄	𐤄	𐬁	𐬁 𐬁	ב	ב
ج	ج	כ	𐤅	𐤅	𐬂	𐬂 𐬂	ג	ג
د	ד	ד	𐤆	𐤆	𐬃	𐬃 𐬃	ד	ד
هـ	ה	ה	𐤇	𐤇	𐬄	𐬄 𐬄	ה	ה
و	ו	ו	𐤈	𐤈	𐬅	𐬅 𐬅	ו	ו
ز	ז	ז	𐤉	𐤉	𐬆	𐬆 𐬆	ז	ז
ح	ח	ח	𐤊	𐤊	𐬇	𐬇 𐬇	ח	ח
ط	ט	ט	𐤋	𐤋	𐬈	𐬈 𐬈	ט	ט
ي	י	י	𐤌	𐤌	𐬉	𐬉 𐬉	י	י
ك	כ	כ	𐤍	𐤍	𐬊	𐬊 𐬊	כ	כ
ل	ל	ל	𐤎	𐤎	𐬋	𐬋 𐬋	ל	ל
م	מ	מ	𐤏	𐤏	𐬌	𐬌 𐬌	מ	מ
ن	נ	נ	𐤐	𐤐	𐬍	𐬍 𐬍	נ	נ
س	ס	ס	𐤑	𐤑	𐬎	𐬎 𐬎	ס	ס
ع	ע	ע	𐤒	𐤒	𐬏	𐬏 𐬏	ע	ע
ف	פ	פ	𐤓	𐤓	𐬐	𐬐 𐬐	פ	פ
ق	צ	צ	𐤔	𐤔	𐬑	𐬑 𐬑	צ	צ
ك	ק	ק	𐤕	𐤕	𐬒	𐬒 𐬒	ק	ק
ش	ש	ש	𐤖	𐤖	𐬓	𐬓 𐬓	ש	ש
ت	ת	ת	𐤗	𐤗	𐬔	𐬔 𐬔	ת	ת

نسخ وحمیری ونبطی وانباری

عربی نسخ	منه حمیری	کندی ونبطی	میری وانباری
ا	𐌰 𐌱	𐌲𐌳𐌴𐌵	𐌶𐌷
ب	𐌶 𐌷	𐌶	𐌶
ج	𐌸	𐌶	𐌶
د	𐌹 𐌺 𐌻 𐌼	𐌶	𐌶
ه	𐌽	𐌶	𐌶
و	𐌾	𐌶	𐌶
ز	𐌿	𐌶	𐌶
ح	𐍀 𐍁	𐌶	𐌶
ط	𐍂 𐍃 𐍄	𐌶	𐌶
ی	𐍅	𐌶	𐌶
ک	𐍆 𐍇	𐌶	𐌶
ل	𐍈 𐍉	𐌶	𐌶
م	𐍊 𐍋	𐌶	𐌶
ن	𐍌 𐍍	𐌶	𐌶
س	𐍎	𐌶	𐌶
ع	𐍏 𐍐 𐍑	𐌶	𐌶
ف	𐍒	𐌶	𐌶
ص	𐍔 𐍕	𐌶	𐌶
ق	𐍖	𐌶	𐌶
ر	𐍘 𐍙	𐌶	𐌶
ش	𐍚 𐍛	𐌶	𐌶
ت	𐍜 𐍝	𐌶	𐌶

نسخ و فینیقی و صفوی و نمودی و لیبانی

عربی نسخ	فینیقی	سند صفوی	سند نمودی	سند لیبانی
ا	𐤀	x	𐤀 𐤁 𐤂 𐤃	𐤀 𐤁
ب	𐤁	)	𐤂] [	𐤂 𐤃
ج	𐤂	TT	0 0	𐤄
د	𐤃	4b	4 4 4	𐤅 𐤆 𐤇
هـ	𐤄	3 3 3	𐤈 𐤉 𐤊	𐤈 𐤉
و	𐤅	𐤆	𐤋 𐤌 𐤍 𐤎	𐤋 𐤌 𐤍
ز	𐤆	II	𐤏 𐤐	𐤏 𐤐
ح	𐤇	xx 𐤈 𐤉 𐤊	𐤑 𐤒 𐤓	𐤑 𐤒
ط	𐤈	III	𐤔 𐤕 𐤖	𐤔
ی	𐤉	9 6	9 9	9
ك	𐤊	5 5	𐤗 𐤘 𐤙 𐤚	𐤗 𐤘
ل	𐤋	(1) 1	𐤛 𐤜 𐤝	𐤛
م	𐤌	8 8	𐤞 𐤟 𐤠 𐤡 𐤢	𐤞 𐤟 𐤠
ن	𐤍	(4) 1	𐤣 𐤤	𐤣 𐤤
س	𐤎	(5) 8 8	𐤥	𐤥
ع	𐤏	o	o	o 𐤦
ف	𐤐	(55) 𐤑	𐤧 𐤨 𐤩 𐤪 𐤫	𐤧 𐤨
ص	𐤑	𐤒	𐤬 𐤭	𐤬 𐤭 𐤮
ق	𐤒	⊖ ϕ	ϕ ϕ	ϕ ϕ
ر	𐤓	𐤔	)	)
ش	𐤔	3 4	𐤚 𐤛 𐤜	𐤚 𐤛
ت	𐤕	+ x	+	x

نسخ و حمیری و حبشی (اِثیوپی) و جعزی و بربری

عربی نسخ	مسند حمیری	حبشی، اِثیوپی	جعزی	بربری
ا	ሐ ሐ	ሐ	ሐ	°
ب	በ ለ	Π	በ	○ □
ج	ገ	ገ	ገ	⋈
د	ዘ ዘ ዘ ዘ	Υ Υ	ዘ	□ □ □
هـ	ሂ	Υ	ሀ	≡ ?
و	ዐ	∇ ○	ዐ	= T L
ز	ጸ		ዐ	≡ T L
ح	ሂ ሂ	ሐ ሂ	ሐ	≡ T L
ط	የ የ □	≡ ≡	ሐ	≡ T L
ی	የ	Υ Ρ	የ	≡ T L
ك	ሐ ሐ	ሐ ሐ	ሐ	≡ T L
ل	ل	Λ	ሐ	≡ T L
م	Δ B Δ	W	ዐ	≡ T L
ن	ل	ل	ዐ	≡ T L
س	ሐ	ሐ	ሐ	≡ T L
ع	π ○ ○	∇	ዐ	≡ T L
ف	ቀ	4	ዐ	≡ T L
ص	В ሐ	ሐ X	ዐ	≡ T L
ق	ቀ	∇ H Φ Ψ	ዐ	≡ T L
ر	ل	L	ዐ	≡ T L
ش	ل	W	ዐ	≡ T L
ت	X 8	+	ዐ	≡ T L

عربی و مصری و فینیقی و مسند و آرامی و نبطی و کندی و حیری و اوانباری

عربی	مصری للغة	فینیقی	مسند و آرامی	نبطی و کندی	حیری و اوانباری
ا	آ	𐤀	𐤁 𐤂	𐤃 𐤄 𐤅 𐤆	𐤇
ب	ب	𐤇	𐤈 𐤉	𐤊	𐤋
ج	ج	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏
د	د	𐤐	𐤑 𐤒 𐤓	𐤔	𐤕
هـ	هـ	𐤖	𐤗	𐤘	𐤙
و	و	𐤚	𐤛	𐤜	𐤝
ز	ز	𐤞	𐤟	𐤠	𐤡
ح	ح	𐤢 𐤣	𐤤 𐤥	𐤦 𐤧	𐤨
ط	ط	𐤩	𐤪 𐤫 𐤬	𐤭	𐤮
ي	ي	𐤯	𐤰	𐤱	𐤲
ك	ك	𐤳	𐤴 𐤵	𐤶	𐤷
ل	ل	𐤸	𐤹 𐤺	𐤻	𐤼
م	م	𐤽	𐤾 𐤿	𐥀	𐥁
ن	ن	𐥂	𐥃 𐥄	𐥅	𐥆
س	س	𐥇	𐥈	𐥉	𐥊
ع	ع	𐥋	𐥌 𐥍 𐥎	𐥏	𐥐
ف	ف	𐥑	𐥒	𐥓	𐥔
ص	ص	𐥕	𐥖 𐥗	𐥘	𐥙
ق	ق	𐥚	𐥛	𐥜	𐥝
ر	ر	𐥞	𐥟 𐥠 𐥡	𐥢	𐥣
ش	ش	𐥤	𐥥 𐥦	𐥧	𐥨
ت	ت	𐥩 𐥪	𐥫 𐥬	𐥭 𐥮	𐥯

الفصل الحادي عشر

كيف تهض باللغة العربية ؟

اللغة من مقومات الأمة :

من المسلم به أن اللغة ظل لحياة الأمة ، ومראה تبدو على سطحها حال تلك الأمة وما هي عليه من نباهة وسمو ، أو ركود وخمول . فاللغة هي الوسيلة الواحدة التي تسجل بها الأمة علومها ، وتدوّن آدابها ، وتكتب تاريخها ، وتستوعب نتاج عقول أبنائها ، في مختلف نواحي النشاط البشري . فهي - لذلك - ألزم لوازم الأمة الحية المستقلة التي تشعر بوجود ، وتحس كرامة ، فإن كانت الأمة جسماً فاللغة الروح ، أو شمساً فاللغة الشعاع .

زد على ذلك أن اللغة أهم الروابط التي تربط الجيل الحاضر بالأجيال السابقة ، وتنقل إليه في وضوح وصدق الجهود التي بذلوها في دعم الحضارة الإنسانية ، وما كشفوه من مخبآت هذا الكون ، وما أطلعهم الله عليه من أسرارهِ ؛ فيتسنى للناطقة أن يبنوا على هذا الأساس ، ويسيروا في تلك السبيل . ومن أجل ذلك عنيت الدول الحية بلغاتها الوطنية قراءة وكتابة وأدبا ، وجعلتها في مقدمة المواد الدراسية ؛

إذ هي الأساس الذي ينهض عليه تدريس جميع المواد . فإذا كان الطالب ضعيفاً في لغته صعب عليه أن يتابع أستاذه في فهم دروسه ، كما يتعصى عليه فهم ما يقرأ ساعة المطالعة والاستذكار ؛ فيؤدى ضعفه في اللغة إلى ضعفه في بقية المواد مهما يجتهد المدرسون . وإن من أهم مظاهر عناية الأمم الحية بلغاتها العمل على نشرها بالوسائل المختلفة في الإذاعة ، والبعوث التعليمية ، والكتب والمجلات ، والمعاهد التي تنشئها في البلاد الأخرى ؛ إذ أن سيادة اللغة لون من سيادة أهلها ، وانتشارها إشعار برقي أصحابها .

وإن أنس لا أنس ما ذكره الراحل (ولهم غليوم) إمبراطور ألمانيا السابق ، وقد جمع رجال التعليم من نظار ومدرسين ، وكانت العناية كبيرة بدراسة اللغتين الإغريقية واللاتينية في المدارس الألمانية قائلاً : « إننا لا نريد أن نكون إغريقين ، ولا نود أن نكون لاتينيين ، بل نريد أن نكون ألمانين ، فنعنى باللغة الألمانية ، والأدب الألماني » . وإنني اليوم أحذو حذو الإمبراطور غليوم ، فأنادى بالعناية باللغة العربية ، والأدب العربي ، ورجال اللغة العربية ؛ لأنها اللغة القومية ، ولغة الوطن ، فإحيائها إحياء للوطن ، والنهوض بها نهوض بالوطن .

وقد يحدث أن تتفرق الأمة الواحدة ، وتصير دولاً مختلفة ، وتسير كل دولة منها في واديهما ، ضاربة صفحاً عن أبناء عمومتهما وشقيقاتها ، غير أن اللغة - مع كل هذا - تبقى رباطاً متيناً ، وحصناً حصيناً تلوذ به هذه الدول ، فيجتمع بينها إذا كثرها خطب ، أو نزل بها رزء . ولا أدل على ذلك من حال إنجلترا وأمريكا اليوم ، فساسة إنجلترا يحاولون التوحيد بين الدولتين الآن ما دامت اللغة تجمع بين الأمتين ، وتصل بين الشعبين : الإنجليز والأمريكي .

اللغة العربية في حاضرها وماضيها :

واللغة العربية لها كل ما تقدم من مميزات ، وتزيد أنها لغة الدين ، وبذلك ضمنت لنفسها البقاء والنماء ، مادامت الدنيا ، ومادام في الأرض مسلم يقرأ القرآن الكريم . وقد ورثت - في العصور الوسطى - حضارات الأمم القديمة كلها من يونان ورومان وفرس وساميين ومصريين ، وتمثلت كل ذلك ، وطبعته بطابعها ، وزادته ونمته ؛ فصار أصيلاً بعد أن كان دخيلاً ، وصمياً بعد أن كان ضعيفاً غريباً ، وقامت بأعباء الملك الواسع ، والسلطان العريض ، وما يقتضيه ذلك من آداب وعلوم وفنون ، فأضافت بذلك إلى سلسلة الحضارة الإنسانية حلقة لامعة متميزة ، كما زادت في صرح المدنية العالمية طابقاً شامخاً باذخاً .

غير أنه عدت عليها العوادي ، فوقفت نموها ، وصوحت زاهر مجدها في العصر التركي ، ولا غرابة ؛ فتلك سبيل الكائن الحي ، وسنة الله في خلقه : قوة ثم ضعف ثم بعث ، وهذا ما كان ؛ ففي مستهل القرن التاسع عشر قيض الله للشرق العربي يقظة على يد المصلح الكبير محمد علي باشا ؛ إذ نقل جل ما في أوروبا من علوم وفنون إلى مصر ، وصاح باللغة العربية فأجابته ، وناداه فلبته ، ناهضة من قبرها ، ممزقة أكتافها ، نافضة عن نفسها غبار القرون الطويلة ، والآماد المتلاحقة ؛ لتثبت أنها لغة العلم والحضارة ، والمخترعات والمبتكرات ، ولغة القرآن ، وأنها هي في كل أوان ، غنية ثرية ، عذبة جميلة .

نهضت اللغة العربية بمحاجات هذا المصلح في العلم والصناعة ، والزراعة والتجارة ، حتى جاء إسماعيل ، فأنشأ مدرسة خاصة لتخريج معلمها ، هي دار العلوم ، ومن هنا دخلت اللغة العربية في طور جديد . قال المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : « إن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية ، وأين تحيا ، لوجدتها تموت في كل مكان ، وتحيا في دار العلوم » .

هل اللغة العربية في المدارس ضعيفة ؟

منذ عشر سنوات مضت أو تزيد ونحن نسمع الحملات العنيفة ضد مدرسي اللغة العربية بالمدارس الثانوية والابتدائية ، وجل هذه الحملات تهدف إلى غاية واحدة ، هي ضعف التلاميذ في هذه اللغة ضعفاً هائلاً لا يحسن السكوت عليه ، وليس هناك أسباب لهذا الضعف إلا إهمال بعض مدرسي هذه اللغة من ناحية ، وعجز بعض آخر عن إيصال معلوماته إلى أذهان التلاميذ ، وتحجيرها إليهم من ناحية أخرى . ومن الحجج التي يستند إليها هؤلاء القائلون بالضعف لدعم حملاتهم أنهم كانوا يشتركون في الامتحانات ، وإذا كثير من الطلاب يكتبون عامية فاضحة ، كأنهم لم يجلسوا إلى مدرس ، أو لم يسمعوها عن قواعد . فياللعجب ! متى كان إهمال بعض الطلبة دليلاً على ضعف اللغة العربية بالمدارس وعجز مدرسيها ؟ وكيف يتحمل مدرسو اللغة العربية بالمدارس تبعة هذا الضعف وحدهم إن كان هناك ضعف ؟

وإذا كانت الامتحانات قياساً مضبوطاً في نظر هؤلاء الناقدين فعليهم أن يعودوا إلى امتحان التلاميذ في شهادة الدراسة الثانوية ؛ حتى يتبين لهم أضعافاً كانوا أم أقوياء في اللغة العربية ؟

إن مدرسي اللغة العربية بالمدارس الثانوية والابتدائية يجاهدون ، وكل شيء في مصر يحاربهم حتى المدرسة والبيت ، ومع ذلك نجحوا وفاقوا في أداء رسالتهم ؛ فإذا كان لدى الناقدين شبهة في ذلك فليكن الدليل عليها من عمل هؤلاء المدرسين : من إعدادهم لدروسهم ، وشرحها ، من أعمال تلاميذهم في أثناء السنة ، وفي الامتحانات أيضاً ، وليكن كل ذلك موازناً بأعمال غيرهم من المدرسين ، فذلك أشبه

بالمعقول، وأقرب إلى الصواب. أما أن يكون الدليل الوحيد إهمال بعض الطلبة فذلك ما لا يسلم به إنسان .

غير أن تلك الحملات - من ناحية ثانية - تكشف لنا عن معنى سام ، وحقيقة رائعة ، نقدرهما حق قدرهما . ذلك أن المسؤولين في وزارة المعارف أحسوا القومية المصرية ، وعرفوا أن هذه القومية لا قوام لها إلا باللغة العربية ؛ فإذا ضعفت هذه اللغة ذهبت معها القومية ، وصار المصريون كالأوروبيين في لغتهم ، وذلك أصل الخوف ، وأس البلاء . هذا الإحساس جميل جداً ، وأجمل منه أن نواجه بالتبعية ذويها ، وأن نلقيها على مستحقيها ؛ فتلاميذ المدارس بالوضع الحالي في قلة حصص اللغة العربية ليسوا ضعافاً في اللغة العربية ، بل يمكن أن نعد التلاميذ في اللغة العربية أقوى منهم في سائر العلوم . وإذا أردت الدليل القاطع على ذلك فادخل أى فصل في المدارس الثانوية ، واسأل التلاميذ في أى مادة من المواد الدراسية : الأدبية والعلمية والرياضية - تسمع الإجابات المضحكة المبكية ، فالضعف عام في كل المواد ، وهذا الضعف له أسباب سياسية واجتماعية وتعليمية ، لا تغيب عن العارفين . هذه الأسباب تظاهرت وتعاونت حتى أدت بنا إلى ذلك التدهور في كل النواحي ، فليس من العدالة إذاً في شيء أن نغالى في ضعف التلاميذ في اللغة العربية فقط ، ونلتزم الصمت - وهو عين الرضا - إزاء ضعفهم في بقية المواد .

على أنى أعيد القول موضحاً : إن التلاميذ ليسوا ضعافاً في اللغة العربية مادام المدرس أسير المنهج ، وظلاً للامتحان ؛ فالمدرس يدرس على ضوء المنهج ، مهتدياً بهدى الامتحان العام ، والتلاميذ - في هذا الحيز - ليسوا ضعافاً ، بل يعدون

للامتحان خير إعداد ، ويجتازونه بدرجات فائقة . أما أن تلاميذنا أضعف في لغتنا من نظرائهم في الدول الكبرى ذات اللغات الحية فذلك أمر لا جدال فيه ولا مرأى . وكان الجدير بالحملة أن تنصب عليه ، والجدير بكل منصف أن يسلم به أولاً ، ويسعى إلى علاجه ثانياً ، مسترشداً بما تسير عليه هذه الدول في تدريس لغاتها ، مقتفياً كل خطواتها التي تلاءمنا ، وحينئذ فتشخيص العلة يجب أن يكون هكذا : تلاميذ المدارس المصرية أضعف في لغتهم الوطنية من نظرائهم في البلاد الأجنبية ، فما أسباب هذا الضعف ؟ وما طرق العلاج ؟ ذلك هو القول الحق ، وعلى هديه سنسير في استقصاء الضعف ، وتلمس وسائل العلاج .

اللغة العربية في المدارس المصرية الحديثة :

منذ ستين سنة أو أكثر إلى أن نالت مصر استقلالها الذاتي سنة ١٩٢٣ - كانت العناية باللغة العربية في المدارس مقصورة على القواعد فقط ، أما الأدبيات فكان نصيبها ضئيلاً جداً في المناهج وفي الحصص ، وبالتالي في مجهود المدرسين ، حتى إنهم تحدثوا أن المسابقات بين طلبة المدارس العالية في ذلك الحين كانت تعقد في اللغة العربية ، وكان موضوع المسابقة لا يتجاوز إعراب بيت من الشعر ، أو آية من القرآن الكريم . ولذلك نجد من تخرجوا في ذلك الزمن على إمام يكاد يكون تالماً بقواعد النحو والبلاغة .

ولا شك أن السياسة كانت لها اليد الطولى في هذا التوجيه ، فخارت اللغة العربية ، وحجبت آدابها ؛ حتى لا يتيقظ الشعب ، ويتنبه المصريون ، وعمدت إلى التوسع في القواعد - وهي فلسفات بعيدة عن صميم اللغة - حتى يبغض الشباب لغتهم ،

ويمقتوها كل المقت ، لصعوبة القواعد من جهة ، ونخلو المناهج من الآداب - وهى الغذاء الروحى للشباب ، والمظهر الجميل للغة - من جهة أخرى ، وبذلك ينبذون لغتهم وراءهم ظهرياً ، ويتطلعون إلى اللغة الأجنبية ويعدون لها لغة العلم والأدب والفن . فيشب الشاب مصرى الجسم ، أجنبى العقل والروح ، فتتجح السياسة السامية الخفية أكثر مما نجحت السياسة الحزبية المكشوفة ، كما أنه كان من آثار هذا العهد الماضى الإمعان فى تحقير مدرس اللغة العربية بنقص راتبه ، وحرمانه رزقه ، وعدم إسناد الوظائف الرئيسة إليه ، وعدم الاعتراف بمجهوده ولو أتى بالمعجزات .

على أنه حين نالت مصر استقلالها تنبه المسئولون فى وزارة المعارف إلى أن تلك الخطوة فى دراسة اللغة لا تغنى قليلاً ، وأنها ليست من اللغة فى شيء ، وأن فى الإمعان فيها خطراً يهدد اللغة ذاتها ؛ إذ أنه يصرف النابذة عنها ، فسرعان ما غيروا المناهج وعدلوها ، ومالوا بها إلى الناحية الأدبية ، وكان المدرسون أسرع الناس تلبية لهذه الرغبة المتزنة الحكيمة ، فأخذوا يتوسعون فى الدراسات الأدبية ، ويغذون التلاميذ بالنصوص الرائعة فى سائر الدروس ، حتى درس القواعد نفسه ؛ فكان من بين تلاميذ المدارس الثانوية الكتّاب ، والخطباء ، والشعراء الناشئون ، وحتى سالت أقلام كثير منهم بكتابة الرائع المعجب فى شتى النواحي - فى حدود ثقافتهم - وحتى كانت بعض الموضوعات التى ينشئها التلاميذ فى كراساتهم تكاد تكون نماذج تحمذى ، أو مقالات تنشر فى المجلات الأدبية . ولا يغض من قيمة هذا المجهود المشكور أن بعض التلاميذ تحصى عليه بعض الأخطاء فى النحو ؛ فأمر ذلك سهل هين ، ومتى كان الناس لا يخطئون ؟

إن العرب أنفسهم أيام الدولة الأموية العربية وفي عهد أشهر خلفائها عبد الملك ابن مروان أحصوا من لم يلحنوا منهم ، فلم يزيدوا على أربعة ، منهم عبد الملك ، والشعبي ، والحجاج ، ولم يطعن ذلك اللحن في عربية العرب ، ولم يقل لهم أحد : أيها العرب ، إن لغتكم أصابها ضعف ، فهو من باب أولى لا يطعن في عربية هؤلاء الناشئة . وليس معنى هذا أننا نهون من شأن اللحن أو نرتضيه ، ولكن معناه أن ما كسبناه من جراء السير على الخطّة الأدبية ، من إطلاق الأسنة ، وتحرير الأقلام ، يفوق كثيرا هذا اللحن الذي كان أيضا قبل ذلك ، ويمكن تداركه بالإرشاد إليه مرة أو مرتين على الأكثر ما دام في الكاتب الفطرة والاستعداد .

حياة اللغة العربية :

اللغة العربية تحيا حياة كريمة في بطون الكتب ، وعلى أسنة الأقلام ، فيما يؤلفه العلماء في فروع العلم المختلفة ، وينشئه الأدباء في المناحي الأدبية الواسعة ، وفيما تدبجه يراعات الشعراء . فإذا ما تجاوزنا الكتابة إلى الحديث والمشافهة توارت الفصحى ، واختفت ، وحلت محلها العامية ، ذات السلطان القوى ، والتيار الجارف ؛ إذ تتسلط على ألسنة الناطقين بالضاد جميعهم ، صغارهم وكبارهم ، علماءهم وعامتهم ، في كل ما ينطقون ، وفي كل ما يتحدثون . والخلاف شديد جدا بين العامية والفصحى ؛ إذ أن العامية غير معربة ، والكثير من كلماتها محرف ، أو مختل الاشتقاق ، أو مغير الدلالة عن أصله الفصيح ، كما أن طرق الأداء بها أضحت تخالف إلى حد كبير الأساليب الفصيحة . ولذلك نقول : إن اللغة العربية ناهيتين : الناحية الكتابية وهي حية فيها قوة كما كانت في أزهي عصورها ، والناحية اللسانية وهي عامية تقرب من العربية بين المثقفين ، وعامية عادية بين الأميين .

وطريق تعلم اللغات « اسمع وانطق » ، أى المحاكاة أمر مسلم به ، والطفل المصرى لا يسمع الفصحى ، بل يسمع العامية ، فهو - إذا - يتعلم أول ما يتعلم العامية التى يسمعه من أمه وأبيه وباقي أسرته ، ومن يطيفون به . ولذلك لا نعدو الحقيقة إذا صرحنا أن اللغة العربية لا تقل فى غرابتها علينا عن اللغة الفرنسية والإنجليزية مثلاً . وكما يتعلم الناشئ هاتين اللغتين فى المدارس كذلك يتعلم العربية فى المدارس أيضاً ، وكما يلاقى الطفل عنقا ومشقة فى تعلم هاتين اللغتين ، كذلك هو يلاقى عنقا ومشقة فى تعلم اللغة العربية . فإذا ما قدرنا ذلك حق قدره وعددنا الفصحى غريبة عن البيت والبيئة الاجتماعية ، وأن العامية تحاربها وتطاردها ، أمكننا أن نبحت فى هدوء وطمأنينة عن أسباب ضعف أبنائنا فى اللغة العربية .

اللغة العربية تحمل معها بعض الأدواء :

إن من أسباب ضعف التلاميذ فى اللغة العربية ما يكمن فى هذه اللغة نفسها ، ويتصل بطبيعتها ؛ إذ أنه جزء من ذاتيتها ، وذلك هو الإعراب ، وتعدد صوره ، وتنوع مقتضياته ، وكثرة علاماته ، الأمر الذى يحير التلاميذ كثيراً ، ثم بعض طرق الأداء العربية كالعدد مع تمييزه مثلاً ، وكل ذلك يجسم الحمل على الناشئ ، ويثقل كاهله ، ويجعل عمل المدرس صعباً ، ومجهوده شاقاً ، وعلاج ذلك بين يدي الجمع اللغوى ؛ فله أن يبسط هذه القواعد مشتركا مع فحول العلماء فى الأقطار التى تشاركنا لساننا ، وتقاسمنا لغتنا ، حتى يكون الإصلاح أعم ، والفائدة أشمل .

ثم الإملاء العربى عقبة كداء فى بعض الأحيان أمام الكتّابين ، كبارهم قبل صغارهم ؛ فإن قواعده واهية الأساس ، والخلاف فيها كثير جداً ، حتى صارت

الهجرة - وخاصة المتوسطة - مصدر حيرة لا مخرج لنا منها ، والألف اللينة أعيت
الجهود في ضبط قواعدها ، وما يزال الخلاف يحتمل حول كلمة الموسيقى : أياء
تكتب أم ألفاً ؟ والعلاج هنا سهل جدا وهين ، متى خلصت النيات ، وتظاهرت
الجهود ، ونظرنا إلى المشكلة نظرة جدية . ثم هذا الوضع الغريب للغة العربية الفصحى ؛
فقد مضت عليها قرون طويلة وهى فى المعجبات ، لا يطلع على فرائدها وكنوزها
وثرورها إلا الخواص ، ومن حولها فى كل مكان وزمان العامية والتركية ، ثم الفرنسية
والإنجليزية ، تغزوها وتنافسها - مستعينة بسلطانها أو مخترعاتها - فى كل ميدان ،
وتطاردها على كل لسان ، ولا سيما السنة المثقفين . ولا ترتضى هاتان اللغتان إمداد
الناس بأسماء المخترعات الحديثة فحسب ، بل تزيدان على ذلك المصادر والأفعال
التي تناسب تلك المخترعات ، وما أسهل محاكاة المسموع ، فتكون النتيجة الحتمية
أن تتوارى الفصحى ، ويحل محلها هذا الخليط . وتلك حال تسوء مغبتها إذا استمرت ،
ولا بد من التفكير فى علاجها ، فهل لنا أن نعرب ؟ أم هل لنا أن نولد ؟ جواب
ذلك عند الجمع اللغوى ، وهو الكفيل بحل هذا الإشكال . وهناك عقبات أخرى
تقف فى سبيل اللغة العربية ، نذكر منها :

(١) المنزل :

إذا ما ذهب التلميذ إلى المدرسة ليتعلم العربية اصطاحت عليه عوامل كثيرة
تهدم ما يبنيه المعلم من عقله ، وتفسد ما يقومه من لسانه ، ومن أهم هذه العوامل المنزل .
فأى منزل هذا الذى يلتزم سكانه الفصحى ؛ حتى يحيوها على السنة أبناؤهم ، وحتى
يشدوا أزر المدرس فى جهاده ؟ الله يشهد أن اللغة السائدة هى العامية فى جميع المنازل .
ثم من رب الأسرة الذى يطلب إلى بنيهِ وبناته أن يتحروا الفصحى فى حديثهم ،

ويتعمدوها في خطابهم ، ويرفضوا العامية ، ولا يرضوها لسانا لهم ؟ ومن هذا الذي يحث بنيه وبناته على استذكار دروس الفصحى مثل استذكارهم غيرها من الدروس ؟ ومن الذي إذا لمح ضعف أولاده في اللغة العربية - بناء على تقارير المدرسة - أسرع والتمس لهم أسباب القوة ، كما يبادر في غير اللغة العربية من الدروس ؟ اللهم لا هذا ولا ذاك ؛ فجل الآباء والأمهات يجهلون اللغة العربية الفصحى . وفقد الشيء لا يعطيه ، كما أن بعضهم ممن تلونت ثقافتهم بالفرنسية أو الإنجليزية يحمونها على السنة أولادهم ، ضاربين صفحا عن العربية . وقد يغلو بعضهم في ذلك ، حتى يسخر بمن يتكلم العربية من أولاده . وإذا ما قالت المدرسة لوالد منهم : إن ابنك ضعيف في اللغة العربية بدت منه أمارات التعجب والاستغراب ؛ كأنها ليست مادة تدرس ، ولم يزد على أن يقول : وكيف يكون ابني كذلك ؟ ألا يعرف أن يتكلم ؟

(٢) البيئة العامة :

ونعني بها الشارع ، والسوق ، والنادى ، والمقهى ، والقطار ، والترام ، ودور التمثيل ، والصور المتحركة ، إلى غيرها من الأماكن التي يرتادها التلميذ ، ويتصل بمن فيها ويحاورهم . وهي كلها لاشك معاول تهدم ما بناه المدرس ، وتفسد على التلميذ ما حفظ وما أجاد ، وتعوقه عن التعلق بالفصحى ، بل تغريه بالميل إلى العامية وإيثارها . وإذا كان سبيل اللغة « اسمع وقل » فإن التلميذ يسمع الكلمة الفصيحة مرة أو مرتين على الأكثر من مدرّسه ، على حين يسمع العامية ألفا وألفين . أفبعد هذا نطالبه أن يلتزم العربية ؟ إنا إذا نكلفه شططا ، ونرهقه من أمره عسرا . ونرجو أن يأتي اليوم الذي ينتشر فيه التعليم ، ويحافظ فيه كل عربي على لغته العربية .

(٣) المدرسة :

وأعداء اللغة العربية في المدرسة كثيرون جدا ، وأشدهم عداوة لها أولئك المدرسون الذين لا يلتزمون الفصحى في حديثهم ومحاوراتهم ، ولا يحملون عليها تلاميذهم ، ولا يغرونهم بها ، كما لا يعينهم - أحيانا - أن يصلحوا كتابات هؤلاء التلاميذ إصلاحا دقيقا .

والمدرسون جميعا في هذا سواء ، إلا من عصم الله ، وحفظ لسانه ، فأبان بالفصحى ، وقليل ما هم . وكيف يتعلم التلميذ الفصحى من مدرس لا يتكلمها ؟ ولو فرضنا أن أحد المدرسين يلتزمها فهل يلتزمها جميع إخوانه في الحصص الأخرى ؟ الغالب أنه لا هذا ولا ذلك . ولذلك كانت المسألة مروعة ، ولا بد من علاجها علاجا جماعيا ، ينهض به كل المدرسين على السواء ؛ إذ أنه لا يكفي أن نكلف مدرس اللغة العربية أن يلتزمها على حين يكون سائر المدرسين أحرارا في استعمالهم العامية ، كما أنه ليس من المستساغ أن تفصل اللغة العربية ، وتستقل عن بقية المواد .

والطريقة المثلى أن يفرض على المدرسين جميعا التزام الفصحى ، وأن يتعاونوا على ذلك ؛ حتى لا يسمع التلميذ في الجو المدرسي إلا اللغة الفصحى ، ولا يتحدث إلا الفصحى ، ولا يكتب إلا بالفصحى . وبذلك تثبت المدرسة أمام البيئة العامة تقاومها وتناهضها ، كما أنه لا بد أن يؤخذ كل مدرس يقصر في مراعاة ذلك . ومن الواجب أن نعد معلم غير اللغة العربية إعدادا تاما بحيث يستطيعون التكلم باللغة العربية الصحيحة . وأما معلمو اللغة العربية فلم يشأ آخر في الإعداد والمؤاخذة . وعلى إدارة المدرسة أن تأخذ التلاميذ باللغة الفصحى في كل ما يصلحهم بها ، ولا ترضى بها بدिला .

(٤) الفتنة بكل ما هو أجنبي :

ومن الأدواء الدوية التي منى بها المصريون تعلقهم بكل ما هو أجنبي ، في اللغة وغير اللغة ، ويفضلونه على ما عندهم من نذٍ ونظير . وقد أورثهم ذلك عدم الثقة بالنفس ، وفقدان الكرامة ، وانطفاء نيران الغيرة ، حتى إن بعض المفتونين ممن استهوهم مدينة الغرب وحضارته يسول لهم هذا الداء أن كل ما هو أجنبي عظيم ، وكل مصرى بجانبه حقير ، في اللغة والعلم والصناعة والتجارة . . . فمن السكال عندهم والجلال أن يصطنعوا الفرنسية أو الإنجليزية في حديثهم وبيعهم وشرائهم . ومن السخف والتأخر أن يتكلموا العامية العادية ، وأسخف السخف أن يتكلموا أو يخاطبوا بالفصحى . فهؤلاء وأمثالهم حرب على اللغة ، ولا ينتظر منهم خير لها مهما تعلموها ، بل عقوق وكفران ، واحتقار وازدراء ، وينشأ الناشئة بينهم على غرارهم ، فأولى بنا أن نتجه إلى هؤلاء ، ونرد إليهم عازب صوابهم ؛ حتى يفهموا أن لهم قومية وكرامة ، وخير مقومات هذه القومية والكرامة اللغة ، فإذا أرادوا أن يحتفظوا بكرامتهم فعليهم أن يحبوا لغتهم ، وينهضوا بها ، ولا يتخاطبوا بغيرها إلا عند الضرورة .

(٥) مزاحمة اللغة الأجنبية للعربية في المدارس :

ولعل من أسباب ضعف اللغة العربية مزاحمة اللغة الأجنبية لها في المدارس الابتدائية ، والطفل لما يتمكن من لغته القومية ، ولم يحسن الأداء بها ، فتدغمه لغة أجنبية تخالف لغته في الصوت ، وفي كثير من وجوه الأداء ، وتكوين الجمل ، فيصير الطفل حائرا بينهما ، وهو في سن مبكرة ، فلم ينضج له عقل ، ولم يسدد منه رأى ،

وقد تسول له نفسه أن لغته العربية ما هي إلا اللغة العامية ، فيهملها اختاراً بأن البيئة ستغذيه بها ، ويلتفت إلى اللغة الأجنبية بكل عزمه ، تغريه بجذتها من ناحية ، وسمو أهلها وجلالهم من ناحية أخرى ، ثم بالعناية بكتبها ونظامها وإتقانها من ناحية ثالثة ، وفوق ذلك كله الامتحانات القاسية فيها كل عام ، تلك الامتحانات التي تروع التلاميذ في غدوهم ورواحهم ، وتلزمهم أن يبذلوا في اللغة الأجنبية مجهوداً سخياً حتى يجزوها ، فتكون النتيجة إهمالاً للغة العربية ، يقابله عناية واجتهاد وجد في اللغة الأجنبية . ويزيد الطين بلة إقحام اللغة الأجنبية الثانية في مناهج المدارس الثانوية ، مع ما يصحب ذلك من تقليل في عدد حصص اللغة العربية ، حتى لسكان اللغة الأجنبية الثانية تدرس على حساب اللغة العربية .

وقد أحست وزارة المعارف هذا الخطر ، فشرعت تتأخر باللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية ، وكذلك فعلت باللغة الثانية في المدارس الثانوية ، ونعم ما صنعت .

(٦) قلة عدد الحصص في المدارس الثانوية :

وفوق المزاحمة السابقة من لغتين أجنبيتين تمنى اللغة العربية بنقص عدد حصصها من جهة ، وزيادة عدد فروعها من جهة أخرى ، فيصير للمطالعة حصتان ، وللنصوص حصة ، وللأدب وتاريخه حصة ، وللإنشاء الشفهي والتحريري حصة ، وللقواعد والتطبيق حصتان في مدارس البنين ، وحصة واحدة في مدارس البنات .

وقد كان يمكن أن يكون ذلك التضيق مقبولا لو أننا نسير في تعليم اللغة العربية

على أسس قويمية ، ولكن الأمر على العكس ، فنحن ننظر إلى القواعد نظرتنا إلى الحساب مثلا ، وننظر إلى الأدب وتاريخه كما ننظر إلى التاريخ العام ؛ أى أنها علوم مستقلة ، وهكذا تضعف الصلة جدا بين فروع اللغة ، ويضمحل الإعداد اللغوى الصحيح ، ويحل محله استظهار المعلومات فى فروع اللغة العربية ، وما أبعداها عن صميم اللغة العربية .

ويجمل بنا أن نعد اللغة سلسلة متماسكة الحلقات ، فيجب أن تنسجم تلك الحلقات وتتماسك ؛ حتى تكون السلسلة المؤتلفة منها قوية ومتمينة .

(٧) تاريخ الأدب :

ويعد تاريخ الأدب أجنى الجناة على التلاميذ أولاً ، وعلى الأدب ثانيا ؛ إذ كيف يعرف طالب السنة الأولى الثانوية معنى الأدب ، وصفات الكلام الجيد والردىء ، والعصور الأدبية ، والأساس الذى عليه قسمت ، والعوامل المؤثرة فى حياة الأدب . يلزم الطالب المبتدئ بمعرفة ذلك كله قبل أن يعرف شيئا عن الأدب نفسه ، وبعد ذلك يسترسل المنهج فى تاريخ الأدب ضاربا صفحا عن الأدب نفسه ، حتى صار درس تاريخ الأدب من أصعب الدروس على التلاميذ وأثقلها ؛ إذ يلزمهم حفظ مصطلحات ، واستظهار قواعد ومستنبطات ليس لها أساس - فى عقل التلاميذ - يسند لها ، ولا دعائم تثبتها . وكان من الواجب أن يدرس تلاميذ المدارس الثانوية الأدب ونصوصه لا تاريخ الأدب ؛ حتى يتسكون لديهم ذوق أدبى .

(٨) درجات فروع اللغة العربية :

وتتجمع درجات الفروع كلها لتكون درجة اللغة العربية ، ومتى نال الطالب خمسا وعشرين منها فقد فاز ، ولو كان نصيبه فى أحد هذه الفروع صفرا ، وفى ذلك

من الشذوذ والغرابة الشيء الكثير ؛ إذ كيف يستساغ هذا الوضع مع قولنا : إن فروع اللغة حلقات تؤلف سلسلة واحدة ، إن مقتضى كلامنا هذا أن يرسب الطالب في اللغة كلها إذا رسب في فرع من فروعها ؛ لأن السلسلة المتصلة إذا فقدت حلقة واحدة من حلقاتها انفصلت وانقطعت ، ولكن هذا الطالب الذي ينال صفراً في الأدب مثلاً قد ينجح ، فشتان ما بين نظرياتنا وتطبيقنا لتلك النظريات . وقد عرف الطلاب هذا الخطأ واستمروا به ، فأخذوا يهملون بعض الفروع اتسكالا على قوتهم في بعض آخر ، فأهملوا الخط والإملاء في المدارس الابتدائية اعتماداً على قوتهم في الإنشاء ، وأهملوا الإنشاء حينئذ اتسكالا على إلمامهم بالقواعد والأدب في المدارس الثانوية .

ولو أننا حددنا لكل فرع نهاية صغيرة كما في مجموعة الآداب أو الرياضة مثلاً لوجدنا التلاميذ يصرفون جهداً ملاًئماً في الفروع كلها ، فلا يطغى أحدها على الآخر .

(٩) المكتبات المدرسية :

حقاً إن مكتبات المدارس مليئة بالكتب العربية القديمة ، وتلك الكتب في موضوعاتها وأساليبها وطريقة طبعها ربما لا تفيد التلاميذ كثيراً ؛ فما أحوجها إلى التهذيب والتنقيح ، والتبويب والتنسيق ، ثم الطبع الجميل ، حتى تتم بها الفائدة ، فإذا ما تركنا هذه الكتب القديمة ، واتجهنا صوب الكتب الحديثة وجدنا الأعداد القليلة التي لا تروى من جمهور التلاميذ ظمأً ، ولا تنقع غليلاً ، وبناء على ذلك تكون المطالعة الحرة في المدرسة — وخاصة الابتدائية — نادرة أو معدومة ، مهما تتحدث عنها المناهج ، ومهما يوص بها المفتشون . ومما يحول بين المكتبات والانتفاع بها قلة أئمتها ، وعدم الاتساع في حبرها ، ثم عدم وجود الموظفين المختصين بها .

وينبغي أن تحظى مكتبة المدرسة بعناية خاصة ، حتى تؤتي الثمر المرجو منها ،
وتؤدي الرسالة التي خلقت لها ، فنختار لها الكتب التي تناسب الفرق المختلفة ،
ونفرض زيارتها على كل الفرق في حصص خاصة داخل الجدول أو خارجه ، ويجب
أن تخصص أوقات واسعة للمطالعة الحرة بها ، وتسهل الاستعارة منها ، ويقتضى ذلك
تعيين أمين لكل مكتبة ليس له عمل غيرها ، أو تكون الجزء الرئيسي من عمله ،
كما يقتضى إيجاد الأماكن المناسبة ، والأثاث المريح ، وإنفاق الأموال للتغذية
بالكتب الجديدة المفيدة ، وما ذلك على الوزارة بعزيمتى صدق العزم، وصحت النية .

حقائق لا تنكر

من الحقائق المرة أن اللغة العربية مهمة في البيت والمجتمع ، والعناية بها أقل من
العناية باللغة الأجنبية في المدرسة ؛ فخصص اللغة العربية قليلة ، ومدرس اللغة
العربية مرهق لأنه يجاهد وحده في سبيل النهوض بها ، في حين أن مدرسى المواد
الأخرى يدرسون باللغة العامية . والطالب المصرى مرهق بكثرة المواد ، وطول
المقررات ، وهو مكلف أن يدرس في الثانوى ثلاث لغات ، فهل نعجب إذا انتهى
من المرحلة الثانوية ، وهو لا يجيد لغة من اللغات ؟ فبدلاً من دراسة لغتين أجنبيتين
ينبغي أن يدرس لغة أجنبية واحدة يختارها ، ونعمل على أن يجيدها ، ويجيد اللغة
القومية فينتفع بهما معاً .

واجبنا نحو النهوض باللغة العربية

إن اللغة العربية ليست مادة عادية من المواد الدراسية ، ولكنها اللغة القومية ؛ لغة القرآن الكريم والدين ، لغة الوطن والعروبة ففي إحيائها إحياء للدين ، ومحافظة على القرآن الكريم ، وتمجيد للوطن والعروبة . وفي إهمالها إهمال لهذه الشعائر المقدسة ، وتهاون في شأنها .

فاللغة العربية أهم مادة أساسية في جدول الدروس ، وهى المادة التى يجب أن تنال كل عناية من كل مدرسة ، وكل مدرس . وتعليمها يجب أن يكون أهم الأغراض التى نرمى إليها ، وأساتذتها يجب أن يوضعوا فى المراكز التى تلائم ما يبذلون من جهد عظيم فى إعلاء منار الدين ، ولغة الدين ، وفى خدمة الوطن ، ولغة الوطن .

فاللغة العربية لدينا وسيلة لدراسة المواد وفهمها ، وبغيرها لا يمكن درس ولا تعليم . وإن التلميذ المبرز فيها يستطيع بسهولة أن يفهم كل مادة من المواد الدراسية الأخرى ، ولا يجد صعوبة فى دراسة كتاب جغرافى ، أو تاريخى ، أو صحى ، أو أدبى . فالتقدم فيها يساعد من غير شك على التقدم فى غيرها ، والنهوض بها نهوض بغيرها من المواد ؛ فهى اللغة التى نعبر بها عن آرائنا وأفكارنا ، وهى الوسيلة التى نشرح بها كل علم من العلوم ، أو فن من الفنون . وبها نفكر ونفهم ، وبها نحاول تفهيم غيرنا ما نشاء .

ويجب أن نصرح بأن من الواجب أن يعنى كل مدرس باللغة العربية - مهما تكن المادة التى يقوم بتدريسها - ويعمل للنهوض بها ؛ بحيث لا يسمع التلميذ فى أى درس من الدروس إلا اللغة العربية ، ولا يناقش ولا يسأل ولا يُشرح له شيء

إلا باللغة العربية^(١) . ولهذا يجب أن يجيدها كل مدرس ، بحيث يستطيع أن يقرأ قراءة صحيحة ، ويكتب بلغة سليمة ، ويتحدث ويشرح ويسأل بلغة خالية من الخطأ ، بعيدة كل البعد عن اللغة العامية ، قريبة ما أمكن القرب من اللغة الفصحى . فإذا سمع التلميذ لغة عربية في كل درس ، ووجد عناية بها من كل مدرس - سواء أكان مدرساً للآداب أم للعلوم أم للفنون ، أم للغة العربية - تقدم التلميذ تقدماً واضحاً ، وشعر بمالها في الحياة من أثر بالغ ، وأهمية عظيمة .

وبهذه الطريقة غير المباشرة تستطيع المدرسة أن تقوم بما يجب عليها نحو لغة الوطن ، ويستطيع المدرسون القيام بواجبهم نحو أمتهم . ولسنا ننكر أثر العناية باللغة العربية وطرق تدريسها ، في الأوقات المعينة لها ، ولكننا ننكر أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للنهوض بها ؛ فالأوقات التي خصصت لتعليمها محدودة ، وهي لا تكفي للوصول بها إلى الغاية المنشودة .

ولا نستطيع أن ننسى أن اللغة العامية التي يتحدث بها التلميذ في المنزل والمجتمع عقبة كأداء في سبيل اللغة العربية ، وأن البيت قد يهدم ما تبنيه المدرسة ، وإذا كنا لا نملك وسيلة لمحاربة هذه العامية في البيوت والمجتمعات ، فإن المدرسة تستطيع أن تعيد مجد العربية ، وترفع شأنها ، وأن تحارب العامية ، وتخضع شوكتها ، في فصول الدراسة ، وفي فناء المدرسة كما تفعل المدارس الأمريكية والفرنسية ، للنهوض باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ، وكان من أثره ما يظهره التلاميذ من نجاح كبير في اللغة الفرنسية بمدارس اللغتين ، وفي اللغة الإنجليزية بالمدارس الإنجليزية والأمريكية ،

(١) يستثنى من هذا طبعاً تدريس اللغة الأجنبية ، للنهوض بها يجب أن تكون الأسئلة باللغة الأجنبية ، والأجوبة والشرح والنقاش بها أيضاً .

ولا نرى له مثيلاً من تلاميذنا المصريين في دراسة اللغة العربية مع الأسف الشديد .
وليس السبب تقصير مدرسي اللغة العربية أو إهمالهم ، ولكن السبب ضعف مدرسي
المواد المختلفة في اللغة العربية ، واعتمادهم على العامية في الشرح والمناقشة .
ولا شك أنه إذا تعاون المنزل مع المدرسة على النهوض باللغة العربية ، وتعاون
مدرسو المواد الأدبية والعلمية والفنية مع مدرسي اللغة العربية ، فاعتمدوا عليها في
دروسهم ، تقدمت تقدماً كبيراً من حيث لا نشعر ، وظهر أثر هذا التقدم في حب
التلاميذ للقراءة والاطلاع ، وفي صحة أسلوبهم في الكتابة والمحادثة ، وفي التفكير والتعبير .
ولذلك يعد كل مدرس في المدارس المصرية مسئولاً عن اللغة العربية ، ويجب
أن يتحمل نصيبه من التبعة في تعليمها ، والنهوض بها في دروسه عرضاً أو قصداً ،
بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . ولا يعد المدرس قائماً بواجبه ، ناجحاً في عمله ، إلا
إذا أدى اللغة العربية حقها من العناية والرعاية ، فإن إجادة اللغة العربية شرطاً أساسياً
للمنجح في تدريس أى مادة من المواد .

وعلى كل مدرس ألا يقبل خطأ في اللغة ، أو لحناً في النطق ، أو ركة في التعبير .
بل يعمل على إصلاح كل خطأ ، وتقويم كل لسان ، وتهذيب كل عبارة ركيكة .
ولن يستطيع المدرس أداء هذه الرسالة إلا إذا عرف اللغة العربية حق المعرفة مهما
تكن المادة التي يقوم بتدريسها ، فلن يمكنه أن يقوم السنة التلاميذ ، ويهذب
لغتهم ، ويصقل عباراتهم ، إذا كان جاهلاً باللغة ؛ فإن فاقد الشيء لا يعطيه . وعلم
المدرس بدقائق الجغرافية ، وحقائق التاريخ ، ومسائل الرياضة والعلوم لا يكفي ، بل
لا بد أن يعززه علم تام باللغة العربية ؛ ليستطيع التعبير الصحيح عما يريد شرحه
من هذه الحقائق .

والحق أننا إذا عطينا باللغة العربية في كل درس ، وشعر التلميذ بهذه العناية والغيرة من كل مدرس ، تقدم في لغته من حيث لا يدري ، ونهضنا بلغتنا من أقرب السبل ، وتخرج الطالب من مدرسته الثانوية ، وهو مجيد للغة القومية قراءة وكتابة وحديثاً ، واستطاع أن يقرأ أى كتاب عربى ، حديث أو قديم ، وأن يفهمه حق الفهم ، ويشعر بما فى قراءته من لذة وممتعة وجمال .

ولتشجيع التلاميذ على التكلم باللغة العربية ، يجب ألا نكتفى بالأجوبة الموجزة عن الأسئلة التى نلقها عليهم ، وأن نشجعهم على التعبير عن أفكارهم بعبارات مختلفة ؛ حتى يعتادوا التعبير السليم . وإذا قرءوا قطعة من القطع كلفناهم ذكر معناها بعبارة من إنشائهم ، من غير تقييد بعبارة الكتاب ، أو أسلوب المؤلف ، حتى يرسخ المعنى فى أذهانهم ، ويشجعوا على التعبير الشفهى حيناً ، والكتابى حيناً آخر .

وكثيراً ما يكون خطأ التلاميذ فى الإجابة ناشئاً عن الخطأ فى التعبير ، أو عدم فهم العبارة ، أو الغموض فى الفكرة ، أما إذا كانت العبارة واضحة ، والفكرة جلية لدى التلميذ ، كان من السهل عليه أن يعبر عنها تعبيراً صحيحاً .

وهناك تعبيرات كثيرة فى كتب مدرسية كتبت خاصة للأطفال ، لا يستطيع الأطفال أن يدركوها ؛ لأن اللغة التى كتبت بها تختلف كل الاختلاف عن اللغة التى اعتادوها ، أو التى تدخل فى حيز إدراكهم ، وهناك تعبيرات اصطلاحية لا يمكنهم أن يفهموها إلا إذا شرحت لهم ، ووضحت بطريقة حسية .

ولكى نصل إلى الغرض الذى نشده ، والمثل الأعلى الذى نطمح إليه فى تدريس

اللغة العربية، يجب أن يكون التعاون تاماً - بين مدرسيها ومدرسي المواد الأخرى - على إحياء لغة البلاد . ويجب أن يعنى كل مدرس بترغيب التلاميذ في اللغة العربية وتشويقهم إلى الاستمرار في دراستها ؛ حتى ينتفعوا بما فيها من ذخائر أدبية ، شعرية أو نثرية ، ويتكون لديهم الذوق الأدبي ، والأسلوب الفني ، ويستطيعوا الحكم على اللغة وأساليبها ، ويقدرُوا ما فيها من روعة وتأثير وجمال .

ولا مانع من أن يقرأ المدرس لتلاميذه رحلة جغرافية في كتاب أدبي ، أو قطعة أدبية في كتاب تاريخي ، أو يقرأ لهم قصصاً لبعض العظماء والأبطال ، أو روايات تاريخية ، أو موضوعات أدبية أو اجتماعية أو خلقية .

وليس من العسير أن تكتب العلوم بلغة أدبية ؛ لتسير العلوم والفنون والآداب مع اللغة العربية جنباً لجنب ، فكتب الحيوان للجاحظ مثلاً يعد كتاباً أدبياً مع أنه يبحث عن الحيوان، ومميزات كل نوع منه . وكتب الحسن بن الهيثم كتب علمية ألقت بلغة أدبية ، ومقدمة ابن خلدون وتاريخ الطبري وابن الأثير كتب تاريخية، ولكنها تعد في مقدمة الكتب الأدبية .

ومن السهل تشجيع تلاميذ السنة الرابعة الابتدائية ، وتلاميذ المدارس الثانوية، على بحث موضوع تاريخي، كسيرة سيدنا أبي بكر، أو عمر، أو عثمان، أو علي، أو خالد بن الوليد، أو عمر بن عبد العزيز، أو صلاح الدين الأيوبي، أو محمد علي باشا، أو مصطفى كامل، أو محمد فريد، أو سعد زغلول أو غيرهم من العظماء ، بأن تذكر لهم المراجع والفصول التي يقرءونها باللغة العربية ، والكتب التي يطلعون عليها ، للبحث عن عناصر الموضوع المطلوب ، فإذا قرأ التلميذ الموضوع في عدة كتب ، استطاع أن يختار مادته ويرتبها ،

ويكتبها منظمة منسقة ، بإرشاد مدرس اللغة العربية ومدرس التاريخ ؛ حتى يستطيع في النهاية أن يعد محاضرة صغيرة عن أحد العظماء والأبطال ، تستغرق ربع ساعة إن كان في السنة الرابعة الابتدائية ، أو ثلث ساعة إن كان في السنوات الأولى والثانية والثالثة الثانوية ، أو نصف ساعة إن كان من طلبة الثقافة أو التوجيهية .

بهذه الوسيلة نعود التلاميذ البحث والاطلاع في أوقات الفراغ ، والترجمة والتأليف من الصغر ، فإذا شبوا استطاعوا أن يعتمدوا على أنفسهم في البحث والتنقيب ، والكتابة والتأليف ، وأن يعبروا عن أفكارهم باللغة العربية أصح التعبير ، وصاروا كتابا بارعين ، وأدباء ممتازين ، أو علماء باحثين ، أو مؤرخين مدققين .

وكما نشجع التلاميذ على إلقاء محاضرات صغيرة باللغة العربية ، يجب أن نشجعهم على الاشتراك في مناظرات في موضوعات اجتماعية أو خلقية أو وطنية ؛ لنعودهم التعبير الشفهي والكتابي ، ونمرنهم على الجدل والنقاش ، والبحث والمناظرة ، والإلقاء والتمثيل .

ويجب ألا ننسى تمثيل بعض الروايات المناسبة في المدرسة ، فهذه أحسن وسيلة لتمرين الطلبة على حسن الإلقاء ، وإجادة التعبير والحفظ ، والشجاعة في الظهور أمام المجتمع ، بتمثيل كل طالب دوره في القطعة التمثيلية ، والقيام بنصيبه في إعداد المسرح ، واختيار الملابس ، بالاشتراك مع زملائه ، والتعاون معهم على إخراج الرواية بدقة ومهارة .

ولتقويم السنة التلاميذ يجب أن نشجعهم على أن يحفظوا أكبر مقدار ممكن

من القرآن الكريم . ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر القرآن الكريم في تقويم
اللسان واللغة ؛ فهو المثل الأعلى الذي يقتدى به الكتّاب في كتابتهم ، والأدباء في
أسلوبهم ، ويجب أن نجعله دائماً نصب أعين التلاميذ ، ونختار لهم منه ما يلائمهم ،
حتى يتذوقوا جمال اللغة ، ونصاعة الأسلوب ، ودقة العبارة ، وروعة التأثير ، وعذوبة
التعبير ؛ فحفظ كثير من الآيات القرآنية يساعد التلاميذ في المستقبل على الاقتباس
من القرآن ، والانتفاع بما فيه من حكم وعبر ومواعظ ؛ فأسلوبه غير عادي ، وجماله
لا يقدر ، ولا يمكن أن يمل مهما يكرر . فإذا أردنا النهوض باللغة العربية وإصلاح لغة
التلاميذ ، وترقيتها مستواها ، وجب أن نشجعهم على حفظ كثير من الآيات القرآنية ،
وقراءة كثير من قصص الأنبياء المكتوبة بأسلوب عربي جميل .

ولا يكفي أن يحفظ التلاميذ هذه الآيات ، بل يجب أن يفهموها حق الفهم ،
ويتذوقوا ما فيها من جمال وروعة وتأثير . وفي أثناء التلاوة يجب أن نغني بحسن
الإلقاء ، وتمثيل المعنى ، وإخراج الحروف من مخارجها ، والوقف حيث يجب الوقف ،
والوصل حيث يجب الوصل .

بهذه الوسيلة نخدم اللغة العربية ، ونقوم السنة التلاميذ ، ونبت فيهم
الروح الديني ، ونحب إليهم اللغة القومية ، لغة القرآن والدين ، لغة العرب
والإسلام .

وعلى المدرس أن يعد عقول تلاميذه للتعمق في مادته ، فتزداد أفكارهم
ومعلوماتهم ، ويقوى أسلوبهم بكثرة القراءة ، وطول المراتبة .

ومن الواضح أن كل درس من دروس اللغة العربية لا بد أن يعتمد على

موضوع علمي ، أو تاريخي ، أو فني ، أو اجتماعي ، أو اقتصادي كما يشاهد في دروس المطالعة ، وموضوعات الإنشاء ، وقطع الإملاء والمحفوظات ، وأمثلة القواعد . وهكذا يستطيع التلاميذ في كل درس من دروس اللغة العربية أن يققوا على بعض الحقائق والمعلومات النافعة في كل ناحية من نواحي الحياة .

هذا ما يجب أن نقوم به لنشد أزر اللغة العربية في حجرة الدرس ، والعمل على وصلها بالحياة .

ولكي نهض بها نهوضاً قوياً يعيد إليها عصورها الذهبية يجب علينا أن نرجع إلى تاريخ نهضتها في العصر العباسي ، فإذا نحن قلبنا صحائف هذا التاريخ وجدنا أن من أسباب نهضتها الترجمة والنقل . فاللغة العربية الغنية بألفاظها ، ومجودها العلمي القديم - لا تزال فقيرة في مجهودها الثقافي الحديث ، ولا تزال جامعتنا الكبيرة تعتمد على المراجع الأجنبية في كثير من أبواب المعرفة ، وألوان الثقافات . وما تزال المكتبة العربية في أشد الحاجة إلى كثير من المؤلفات . وإلا فآين المكتبة العربية التي تضم مجموعة في الكتب الطبية بهذه اللغة ، أو مجموعة في علم النفس ، أو مجموعة في الفنون الجميلة ؟

فإذا أردنا لهذه اللغة نهوضاً سريعاً تشارك فيه أعظم اللغات الحية في هذا العصر فما علينا إلا أن نتخذ الترجمة سبيلاً إلى ذلك . وقد وصلت اللغة العربية إلى سيادتها العلمية والأدبية في أيام العباسيين ، حين وعت حضارة الفرس ، وحكمة الهند ، وفلسفة اليونان . فعوامل النهوض باللغة العربية ترجع إلى أسباب داخلية - وقد أشرنا إليها في صدر هذا البحث - وإلى أسباب خارجية ؛ وهي نقل مقومات المدنية الحديثة ،

ومشخصاتها إلى اللغة العربية . فإن نحن فعلنا ذلك قمنا بخدمة جليلة للعلم ، واستطاع
تلاميذنا وعامة المثقفين في مصر أن يجدوا أمامهم فضلاً زاهراً من المؤلفات الحديثة ،
التي تشبع نههم العلمي ، وتلبي ذوقهم الأدبي ، ورغبتهم في الاطلاع والبحث . وحين
نوفق إلى تحقيق ذلك سنجد طلبة الجامعة يعتمدون على المراجع العربية في دراستهم ،
ونجد العلم الأوروبي في كتبنا العربية . وهناك نكون قد حققنا كل ما نرجوه
اللغة العربية من أبناءها من عناية بها ، ونهوض بشأنها ؛ حتى تسترد عظمتها ، وتنبأ
مكانها اللائق بها بين أرقى اللغات الحية الناهضة .

وخلاصة القول أن نهضة اللغة العربية نهضة للأمة ، وإحياءها إحياء للعروبة .
ومن الواجب التعاون على النهوض بها وبرجالها . وكل مدرس يجب أن يعنى باللغة
العربية - مهما تكن المادة التي يقوم بتدريسها - ويحرص على التكلم بها ، والعمل
على إنهاضها ؛ فالنهوض بها نهوض بغيرها من المواد . وبغيرها لا يمكن درس
ولا فهم ولا تعليم .

وفي الختام نسأل الله الهداية والتوفيق ؟

(١) المراجع العربية

(١) المفضل ، في قواعد اللغة السريانية وآدابها ، والموازنة بين اللغات السامية .
تأليف محمد عطية الإبراشي .

(٢) الأساس ، في الأمم السامية ولغاتها ، وقواعد اللغة العبرية وآدابها . تأليف

المرحوم الدكتور علي العناني ، وليون محرز ، ومحمد عطية الإبراشي .

(٣) كتاب العهد القديم ، باللغات العبرية والعربية والإنجليزية .

(٤) معجم البلدان ، لياقوت .

(٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، للسيد محمود شكرى الأنوسى البغدادى .

(٦) المزهر ، لجلال الدين السيوطى .

(٧) الصحاح ، لأحمد بن فارس .

(٨) فقه اللغة ، لأحمد بن فارس

(٩) نهاية الأرب ، للنويرى .

(١٠) البلغة في أصول اللغة ، للسيد محمد صديق حسن ، طبعة القسطنطينية

سنة ١٢٩٦ هـ .

(١١) نجعة الرائد وشرعة الوارد ، لليازجى .

(١٢) الخصائص ، لابن جنى .

(١٣) تاريخ التمدن الإسلامى ، لجورجى زيدان .

- (١٤) الفهرست ، لابن النديم .
- (١٥) وفيات الأعيان ، لابن خلكان .
- (١٦) تاريخ آداب اللغة العربية ، لجورجى زيدان .
- (١٧) تاريخ حياة اللغة العربية ، للمرحوم حفنى ناصف بك .
- (١٨) فهرس خريطة الممالك الإسلامية ، للمرحوم أمين واصف بك .
- (١٩) مجلة المقتطف ، أكتوبر ١٩٣٨ ، نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية .
- (٢٠) تراث العرب العلمى ، تأليف قدرى حافظ طوقان ، هدية المقتطف سنة ١٩٤١ .
- (٢١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، تأليف آدم متز ، وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى أبى ريدة .
- (٢٢) حضارة الإسلام فى دار السلام ، تأليف الأستاذ جميل نخلة المدور .
- (٢٣) تراث الإسلام ، ترجمة لجنة الجامعيين لنشر العلم .

(ب) المراجع الإنجليزية

- (1) The Jewish Religion, by Friedlander, Pub. Shapiro, Vallentine & Co.
- (2) Text - Book of The Jewish Religion, by M. Friedlander.
- (3) Elements of Comparative Philology, by R. G. Lathan.
- (4) Jewish Encyclopedia, Vol. xl. P. 184 - 192
- (5) Arabia The Cradle of Islam, by S.M. Zwemer.
- (6) Arabia Before Muhammad, by O' Leary.
- (7) Characteristics of The Hamitic Languages, by O' Leary.
- (8) Encyclopaedia of Islam, Ed. by Arnold, Basset & Hartmann.
- (9) A Dictionary of Islam, by Hughes. 1885.
- (10) Sketches from Eastern History, by Nöldeke. Black.
- (11) Lectures on The Comparative Grammar of The Semitic Languages, by William Wright, Cambridge.
- (12) Dictionary of The Koran, by Penrice.
- (13) The Story of The Jewish People, by Jack M. Myers.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

اللغات السامية

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥	نشأة اللغات السامية .	١٣	الصلة بين اللغات السامية وغيرها
٦	ارتباط اللغات السامية بعضها ببعض .	١٤	المهد الأول للساميين .
٧	خواص اللغات السامية .	١٧	الصلة بين اللغات السامية .
٩	اللغة السامية الأولى .	١٨	تقسيم اللغات السامية .
١٢	العقلية السامية .		

الفصل الثاني

اللغة العبرية

١٩	اللغة العبرية .	٢٧	عناصر المشنا .
١٩	كنعان .	٢٧	قوانين التلمود .
٢٣	أسفار الكتاب المقدس :	٢٨	عصر نفي بني إسرائيل في بابل .
٢٣	(أ) التوراة .	٢٩	حلول اللغة الآرامية محل اللغة العبرية .
٢٥	(ب) الأنبياء .	٣٠	اختلاف اللغة العبرية القديمة عن الحديثة .
٢٦	(ح) المكتوبات .	٣١	المقاييمون .
٢٦	التلمود .	٣٣	اللغة العبرية في القرون الوسطى ،
٢٦	المشنا .		واللغة العبرية الحديثة .
٢٦	الجَمَارَا .		

الفصل الثالث

اللغة الفينيقية

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تشبه اللغة الفينيقية اللغة العبرية .	٣٩	اللغة الفينيقية .	٣٥
أهمية اللغة الفينيقية .	٤١	فينيقية .	٣٥

الفصل الرابع

اللغة الآرامية

٥٠	اللهجة السامرية .	٤٢	اللغة الآرامية .
٥٣	اللهجات البابلية المشرقية .	٤٥	تقسيم اللغة الآرامية .
٥٤	خواص اللغة الآرامية .	٤٦	الآرامية القديمة .
٥٦	اللهجة السبيئية .	٤٨	اللغة الآرامية في الترجوم وغيره .
		٤٩	اللهجة الآرامية المسيحية في فلسطين .

الفصل الخامس

اللغة السريانية

٦٣	أهمية اللغة السريانية .	٥٧	اللغة السريانية .
٦٦	السريانيون .	٥٧	اللغة السريانية في الرثا .
٦٩	الترجمة إلى السريانية .	٥٩	تغير المعاني بتغير الحركات .
٧١	الترجمة إلى العربية .	٦٠	خواص اللغة السريانية .
٧٢	الترجمون من السريانيين والفلسفة .	٦١	آداب اللغة السريانية .
٧٨	قضاء اللغة العربية على اللغة السريانية .	٦٢	طريقتا ضبط الكلمات .

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨١	اعتناق المسيحيين السريانيين الدين الإسلامي .	٨٣	اللغة السريانية وما فيها من الدخيل .
٨٢	اللغة السريانية الحديثة .	٨٣	الخطوط السريانية .

الفصل السادس

العرب

٨٥	العرب .	١٠٠	الحياة العربية .
٨٨	أقسام العرب .	١٠٠	الطفل العربي .
٩٠	أخلاق العرب وصفاتهم .	١٠٣	التربية عند العرب .
٩٧	علامات قبائل العرب .	١٠٤	أثر العرب في الرياضيات والعلوم .
٩٨	فضل العرب .		

الفصل السابع

اللغة العربية

١٠٦	اللغة العربية .	١١٤	خصائص اللغة العربية ومميزاتها .
١٠٨	اللغة العربية القديمة .	١٢٢	سنن العرب .
١١١	لهجة قریش التي نزل بها القرآن .	١٢٩	معرفة الألفاظ الإسلامية .

الفصل الثامن

ثروة اللغة العربية

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣١	ثروة اللغة العربية .	١٥٦	في الكبر والتواضع .
١٣٦	لسان حال اللغة العربية .	١٥٦	في الذكاء والبلادة .
١٣٧	اللغة العربية غنية .	١٥٧	في الصبر والجزع .
١٤٠	فصول صغيرة في العلم والعلماء .	١٥٨	في السمو إلى المعالي والقعود عنها .
١٤٢	في الأدب .	١٥٨	في الكيس والحق وذكر الجنون
١٤٣	في الحفظ .		والخرف .
١٤٣	في التأليف .	١٦٠	في الشجاعة والجن .
١٤٤	في الفصاحة .	١٦٠	في الرقة والقسوة .
١٤٦	في البلاغة .	١٦١	في سهولة الخلق وتوعره .
١٤٨	في الخطابة .	١٦٢	في الحلم والسفة .
١٤٩	في الكتابة والإنشاء .	١٦٢	في الغضب وإطفائه .
١٥٠	في الشعر .	١٦٣	في الطمع والقناعة .
١٥٣	في النقد .	١٦٣	في تقدم الرجل على أقرانه .
١٥٤	في الجدل .	١٦٤	في القدوة والاحتذاء .
١٥٥	في حسن المنظر وقبحه .	١٦٤	في العزة والذلة .

الفصل التاسع

جمال اللغة العربية وميراثها العلمى والأدبى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٧٩	أثر اللغة العربية فى اللغات الأخرى .	١٦٥	جمال اللغة العربية وميراثها العلمى والأدبى .
١٨٢	أثر الأدب العربى فى الآداب الغربية .	١٦٦	عناصر جمال اللغة العربية .
١٨٣	مقامات الهمذانى والحريرى .	١٦٧	أسرار جمال اللغة العربية .
١٨٣	بديع الزمان الهمذانى .	١٦٨	مآثر العرب فى العلم والفلسفة .
١٨٣	ترجمته .	١٧٠	أمثلة تدل على جمال اللغة العربية .
١٨٣	نسبه ونشأته .	١٧٠	أبيات لبشامة بن حسن النهشلى .
١٨٤	مساجلته للخوارزمى .	١٧١	أبيات لمعن بن أوس .
١٨٥	أخلاقه ومواهبه .	١٧٢	أبيات لابن الجهم فى الفراق والشوق .
١٨٦	نثره وشعره .	١٧٢	من قصيدة للبحتري فى المدح .
١٨٧	مقامات بديع الزمان .	١٧٣	أبيات للمتنبى فى المدح .
١٨٧	موازنة بين مقامات البديع ومقامات الحريرى .	١٧٣	أبيات لابن المعتز فى الكرم .
١٨٨	مقامات الحريرى .	١٧٦	مركز اللغة العربية .
١٩٢	اللهجات العربية الصغيرة .	١٧٧	الأدب العرب أدب عالمى .
		١٧٩	أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية .

الفصل العاشر

الخط العربي وتاريخه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٥	الخط العربي وتاريخه .	٢٠٦	سلسلة النسخ واليوناني والحميري
١٩٨	عدد الأقلام العربية .	٢٠٧	والآرامى .
٢٠١	الإعجام .	٢٠٨	حروف أبجدية شرقية متنوعة .
٢٠٣	أدوات الكتابة .	٢٠٩	نسخ وحميري ونبطي وأنبارى .
٢٠٤	سلسلة الخط العربي على رأى الإفرنج .	٢١٠	نسخ وفينيقى وصفوى وثمودى ولحيانى .
٢٠٤	سلسلة الخط العربي على رأى العرب .	٢١١	نسخ وحميري وحبشى وجعزى وبربرى .
٢٠٤	سلسلة الخط العربي على رأى المرحوم حفى ناصف بك .	٢١٢	عربى ومصرى وفينيقى ومسند وآرامى ونبطى أو كندى وحميرى أو أنبارى .
٢٠٥	سلسلة الخط العربى والمصرى والفينيقى .		

الفصل الحادى عشر

كيف نهض باللغة العربية ؟

٢١٢	كيف نهض باللغة العربية ؟	٢١٧	اللغة العربية فى المدارس المصرية الحديثة .
٢١٢	اللغة من مقومات الأمة .	٢١٩	حياة اللغة العربية .
٢١٤	اللغة العربية فى حاضرها وماضىها .	٢٢٠	اللغة العربية تحمّل معها بعض الأدواء .
٢١٥	هل اللغة العربية فى المدارس ضعيفة ؟		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٢١	العقبات في سبيل اللغة العربية :	٢٢١	(١) المنزل .
٢٢٢	(٢) البيئة العامة .	٢٢٣	(٣) المدرسة .
٢٢٤	(٤) الفتنة بكل ما هو أجنبي .	٢٢٤	(٥) مزاحمة اللغة الأجنبية
٢٢٤	للغة العربية .	٢٢٥	(٦) قلة عدد الحصص في
٢٢٦	(٧) تاريخ الأدب .		المدارس الثانوية .
٢٢٦	(٨) درجات فروع اللغة		
٢٢٧	(٩) المكتبات المدرسية .		
٢٢٨	حقائق لا تفكر .		
٢٢٩	واجبنا نحو النهوض باللغة العربية .		
٢٣٨	المراجع العربية .		
٢٤٠	المراجع الإنجليزية .		
٢٤١	فهرس الموضوعات .		
٢٤٨	فهرس الأعلام .		

فهرس الأعلام

(١)

آدم ، الرسول : ٣٨ ، ٣٧ ، ٢٣

آرام : ٥٨ ، ٤٢ ، ٥

إبان بن سعيد : ١٩٧

إبراهيم ، الرسول : ٩٠ ، ٨٦ ، ٥٧ ، ٢٣

ابن الأثير : ٢٣٤ ، ١٩٠

ابن باجة : ٧٤

ابن الجهم : ١٧٢

ابن حزام العُقَلِيّ : ١٢٠

ابن خالويه الهمداني ، أبو عبد الله :

١٢٨ ، ١١٩

ابن خلدون : ١٠٤ ، ١٠٣ ، ٧٨ ،

٢٣٤ ، ١٩٥ ، ١٠٥

ابن خلكان : ٢٠١

ابن رشد : ١٠٣ ، ٧٨ ، ٧٤

ابن سيدة ، أبو الحسن علي : ١١٦

ابن سينا : ١٠٣ ، ٧٨ ، ٧٦ ، ٧٣ ،

١٠٥ ، ١٠٤

ابن الصليبي : ٦٥

ابن العبري ، أبو الفرج : ٦٦ ، ٦٥

ابن العربي : ١٠٣ ، ٧٨

ابن فارس : ١٢٠ ، ١١٦ ، ١١٥ ،

١٣٠ ، ١٢٥

ابن الفارض : ١٩٠

ابن مسكويه : ١٠٣

ابن المعتز : ١٥٢ ، ١٧٣

ابن المقفع ، عبد الله : ٩٨ ، ٧٤ ، ٧١ ،

١٠٣

ابن مقلة : ١٩٩ ، ١٩٨

ابن ناعمة الحمصي : ٧٥

ابن النبيه ، الشاعر المصري : ٦٦

ابن الهيثم ، الحسن : ٢٣٤ ، ١٠٥

أبو الأسود الدؤلي : ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩

أبو الحسين بن فارس : ١٨٤

أبو العتاهية : ١٥٢

إديسون كلارك : ٨٨
 أرسطو : ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ١٦٨
 أرشميدس : ٧٣
 أرفكساد : ٥
 أرميا : ٢٢، ٢٦
 إستر : ٢٩
 إسحق ، أسقف نينوى : ٦٦
 إسحق ، الرسول : ٢٣
 إسحق بن حماد : ١٩٨
 إسحق بن حنين : ٧١
 أسد : ١١٣
 أسطفان البيزنطي : ٣٧
 الإسفرائيني ، أبو العباس الفضل بن أحمد :
 ١٨٤
 الإسكندر المقدوني : ٢٩، ٥١، ٦٤
 أسلم بن سيرة : ١٩٥
 إسماعيل ، الرسول : ٨٥، ٨٦، ٨٧
 ١٩٥، ٩٠
 أشعيا : ٢٢، ٢٥
 آشور : ٥
 الأصمعي : ١١٥، ١٢٠، ١٣٨

أبو بكر : ٢٣٤
 أبو بكر بن دريد : ١١٥
 أبو تمام : ١١٨
 أبو حنيفة الدينوري ، أحمد : ١٠٥
 أبو زكريا ، يحيى : ٦
 أبو زيد الأنصاري : ١١٥
 أبو زيد البوهيمي : ١٨٩
 أبو زيد السروجي : ١٨٩
 أبو سعيد محمد بن منصور : ١٨٤
 أبو سفيان : ١٩٦، ١٩٧
 أبو سلمة بن عبد الأشهل : ١٩٧
 أبو عبشان المسلكاني : ٩١
 أبو عبيدة بن الجراح : ٦٧
 أبو علي الفارسي : ١١٥
 أبو علي عيسى بن إسحق : ٧٢
 أبو عمرو بن العلاء : ١١٣، ١٤٠
 أبو نواس : ١٥٢
 أبياتيل : ٥
 أتاتوس الآمدي : ٦٨
 أثناسيوس جورجيوس : ٦٧
 أحمد الإسكندري ، المرحوم الشيخ :
 ١١٥

(ب)

باباي ، السكير : ٦٦

البارون دي شلين : ١٧٨ ، ١٩٠

البحترى : ١٧٢ ، ١٧٣

البخارى : ١١٦

بختنصر ، ملك بابل : ٢٥ ، ٢٦

بذرودى الكالا : ١٩٣

برثلوت : ٦٦

بردقوس : ٧٦

البرديصانى : ٦٨

برستون : ١٨٨

برونى ، المستشرق الإنجليزى : ١٧٦

بشامة بن حسن النهشلى : ١٧٠

بشر بن عبد الملك الكندى : ١٩٦

بطرس ، القديس : ٦٥

بطليموس : ٧٣

بقراط : ٧٣

بلوتارك : ٧٠

بلوتس : ٤٠

بنريس : ١٧٩

الأعشى : ١٧٨

إفرايم ، مار : ٢٢ ، ٣١ ، ٦٥

أفلاطون : ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ١٦٨

أقليدس : ٧٣

أكيدر بن عبد الملك : ١٩٦

الألوسى ، محمود شكرى البغدادى :

١٣٩ ، ٩٨

إلياس برشناية : ٧٩

أمبدقليس : ٧٨

امرؤ القيس : ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٦٦ ،

١٧٦ ، ١٧٨

أمون : ٨٦

أنطون بومسترك : ٦٣

أنطيوخس : ٣٢

أنكلوس : ٤٨

أنوشروان بن خالد : ١٨٩

أوزال : ٥

أوفير : ٥

إيدوم : ٨٦

أيوب ، الرسول : ٢٦

إيئون كيث فالسكوزر : ١٧٠

جشم بن بكر : ١١٣ : ١٠٢ : ١٠١
 جعفر بن يحيى البرمكي : ٢٠٣ : ٢٠٢ : ٢٠١
 جعفر المتوكل : ٢٠٢ : ٢٠١ : ٢٠٠
 جهيم بن الصلت : ١٩٧ : ١٩٦ : ١٩٥
 جورجى زيدان : ٦٦ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ : ٢٠٢ : ٢٠١
 الجوهرى ، الإمام أبو نصر إسماعيل
 ابن حماد : ١١٦ : ١١٥ : ١١٤
 جويدي ، إجنار : ٩ ، ١٦ : ١٥ : ١٤

(ح)

حاتم الطائي : ٩١ : ٩٠ : ٨٩
 الحارث بن حلزة الشكري : ١٧٨ : ١٧٧ : ١٧٦
 الحارث بن عباد : ١٢٣ : ١٢٢ : ١٢١
 الحارث بن هجان الشيباني : ١١٨ : ١١٧ : ١١٦
 حاطب بن عمرو بن عبد شمس : ١٩٧ : ١٩٦ : ١٩٥
 حافظ إبراهيم بك ، المرحوم : ١٣٥ : ١٣٤ : ١٣٣
 الحافظ ، أبو القاسم : ٨٤ : ٨٣ : ٨٢
 حام : ١٩ ، ٥ : ١٨ : ١٧ : ١٦
 حاماث : ٤٣ : ٤٢ : ٤١
 حامد عبد القادر ، الأستاذ : ٦٩ : ٦٨ : ٦٧
 حميش بن الأعسم : ٧١ : ٧٠ : ٦٩
 حَبَقُوق : ٢٥ : ٢٤ : ٢٣

بوكارت : ٧ : ٦ : ٥
 بول ، ستانلى لين : ١٨٩ : ١٨٨ : ١٨٧
 بولس ، القديس : ٦٥ : ٦٤ : ٦٣
 بريك هارديت : ١٠١ : ١٠٠ : ٩٩

(ت)

تَيْتَس : ٣٠ : ٢٩ : ٢٨
 تميم : ١١٣ : ١١٢ : ١١١

(ث)

ثابت بن قرة : ١٠٥ ، ٧٢ : ١٠٤ : ١٠٣
 الثعالبي : ١٨٦ : ١٨٥ : ١٨٤
 ثقيف : ١١٣ : ١١٢ : ١١١
 ثيودوسيوس ، البطريك : ٦٨ : ٦٧ : ٦٦
 ثيوفيل الرهاوى : ٦٨ : ٦٧ : ٦٦

(ج)

الجاحظ : ٢٣٤ ، ١٤٧ ، ٧٤ : ٢٣٣ : ٢٣٢ : ٢٣١
 جالوت : ٨٩ : ٨٨ : ٨٧
 جالينوس ، الطبيب : ٧٣ ، ٦٨ : ٧٢ : ٧١ : ٧٠
 جرجيس ، الكبير : ٧١ : ٧٠ : ٦٩
 جريجور يوس ، الأسقف : ٦٨ : ٦٧ : ٦٦
 جَزِ نَيْس ، المستشرق الألماني : ١٦٥ : ١٦٤ : ١٦٣

خلف الأحمر : ١٣٩

الخليل بن أحمد : ١١٥

الخنساء : ٩٠

الخوارزمي ، أبو عبد الله : ١٠٤ ،

١٨٥ ، ١٨٤

الخوارزمي ، محمد بن موسى : ١٠٤

الخيام ، عمر : ١٠٥

(د)

دأبورا : ٢٠

دانيال : ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٦

داود ، البيت رباني : ٦٨

داود ، الرسول : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٨٩ ، ٥٥

درووي ، وزير المعارف الفرنسي :

١٣٩

دقلة : ٥

دي جوج : ١٠

دي ساس : ١٨٨

دي ديؤ ، المستشرق : ١٦٥

دي ها مَر بيرجستول : ١٣٣

ديشاتوبريان : ٥١

الحجاج : ٢٠١ ، ٢١٩

حجّي : ٢٥

الحريري : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٨٩ — ١٩١

حزقيال : ٢٦

حسان بن ثابت : ١٢٩

حماد الراوية : ١٣٩ ، ١٤٠

حمزة الأصبهاني : ١١٩

حنانيا الحدياني : ٦٥

حنين بن إسحق : ٧١ ، ٨١

حواء : ٢٣

حويطب بن عبد العزى : ١٩٧

حويّلة : ٥

(خ)

خالد البرمكي : ٢٠٣

خالد بن سدوس : ١١٨

خالد بن عبد الله : ٩١ ، ٥٠٦

خالد بن الوليد : ٩٠ ، ٢٣٤

خالد بن يزيد بن معاوية : ٧١

الخشناني ، أبو علي الحسين بن محمد :

١٨٥

(ذ)

ذو الرياستين الفضل بن سهل : ١٩٨

(ر)

الرازي ، فخر الدين : ١٠٥

راعوث : ٢٦

رايت ، وليام ، المستشرق الإنجليزي :

١٠ ، ٦٣ ، ١٧٠

الرشيد . ٧١ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، ٢٠٣

رؤبِنز دوفال : ٦٣ ، ٦٦

رينان ، المستشرق الفرنسي : ١٣ ،

٦٣ ، ٧٨ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،

١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٩١

(ز)

زكريا . الرسول : ٢٥

الزنجشري : ١١٨

زهير بن أبي سلمى : ١٧٨

(س)

سام بن نوح : ٥٨ ، ٥٧ ، ٨ ، ٥

سبرنجر : ٩ ، ١٠ ، ٦٨

السبكتي : ٦٨

سبتيك : ١٨٠

ستاني : ١٨٠

سجبان وائل : ١٤٦

سرجيوس ، الرأس عيني ، الطبيب :

٦٨ ، ٧٠ ، ٨١

سعد بن أبي وقاص : ٩٠

سعد زغلول ، المرحوم : ٢٣٤

سعيد بن يوسف الفيومي المعروف

بسعديا : ٢٢

السفاح ، أبو العباس : ٢٠٣

سفيان بن أمية : ١٩٧

سقراط : ٧٠ ، ٧٧

سكريدَر : ٩ ، ١٦٥

سكليتَنز المستشرق الهولندي : ١٦٥

سكيت : ١٨٠

سكيد ، المستشرق الهولندي : ١٦٥

سليمان ، الرسول : ٢٥ ، ٢٦

سمعان الطيبوتي : ٦٨

سنكن يتن السكتعاني : ٣٨

سهل بن نوبخت : ٧١

سويرس ، الأسقف : ٦٧

(ط)

طاليس : ٧٧

الطبرى : ٢٣٤

طرفة بن العبد : ١٧٨

طلحة بن عبد الله : ١٩٧

طومويمس الأول : ٥٢

(ع)

عامر بن جذرة : ١٩٥

عاموس : ٢٥

عبد الله بن الزبير : ٩٠

عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ١٩٧

عبد الله بن طاهر : ٢٠٢

عبد الله بن مسعود : ١١٣

عبد شمس بن يشجب : ٥٦

عبد الملك بن مروان : ٢٠١ ، ٢١٩

عبد يشوع ، الأسقف : ٦٦

عبر : ١٩

عميد بن الأبرص : ١٧٨

عثمان بن سعيد : ١٩٧

عثمان بن عفان : ١١٣ ، ٢٣٤

عدنان : ٨٩

السيد محمد صديق حسن : ١٣٠

سيراك : ٣٠

سيس : ٩

سيمون : ٣٢

السيوطى : ١١٦ ، ١٢١ ، ١٩٥

(ش)

شالف : ٥

شبا : ٥

الشعبى : ٢١٩

شلوزر : ٥

الشنةيطى : ١١٨ ، ١١٩

(ص)

الصاحب بن عباد : ١١٥ ، ١٨٤

صفنيا : ٢٥

صلاح الدين الأيوبي : ٢٣٤

صموئيل : ٢٥

الصنوبرى : ١٥٢

الصهباء بنت حرب بن أمية : ١٩٦

صول : ٢٥

(ض)

الضحاك بن عجلان : ١٩٨

عزرا : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٦

العلاء بن الحضرمي : ١٩٧

علي بن أبي طالب : ٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٣٤

عمانويل الرشماري : ٦٨

عمر بن الخطاب : ٦٧ ، ١١٣ ، ١٤٠ ، ٢٣٤ ، ١٩٧

عمر بن عبد العزيز : ٢٣٤

عمرة بنت علقمة : ٩٠

عمرو بن العاص : ٢٠٠

عمرو بن كلثوم : ١٧٨

عنتر بن شداد : ٩٥ ، ١٧٨

عوبال : ٥

عوبديا : ٢٥

عيسى ، الرسول : ٢٣

عيلام بن سام : ٥ ، ٦ ، ٦٣

(غ)

الغزالي : ٧٤ ، ٧٨ ، ١٠٣

غليوم ، ولهم ، إمبراطور ألمانيا السابق :

٢١٣

(ف)

الفارابي ، أبو نصر : ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ٢٠٣

الفرّاء : ١١٥

فرعون : ٢٣

فريريوس : ٧٣

فلوطين : ٧٥

فون كريم : ٩ ، ١٨٨

فيثاغورس : ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٧

الفيروزابادي : ١١٦ ، ١٣٣

(ق)

قاش : ٨٦

قحطان : ٨٩

قدرى حافظ طوقان : ١٠٥

قس بن ساعدة : ١٤٧

قسطا بن لوقا : ٧١

قصي بن كلاب : ٩١

قطبة الخطاط : ١٩٨

(ك)

كاسطيل : ٧

كامل شجاع بن أسلم : ١٠٥

كسرى أنوشروان : ٧٠

كشاجم : ١٥٢

كعب بن مامة : ٩١

المتوكل : ٧٤
 متى بن يونس : ٧٢
 محمد بن عبد الله ، الرسول : ٢٣ ، ٥٦ ،
 ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٧٤ ،
 ١٩٥ ، ١٧٥
 محمد بن علي بن عيسى القمي : ١٧٢
 محمد عبده ، المرحوم الشيخ الإمام : ٢١٤
 محمد علي الهندي : ١٧٦
 محمد علي باشا : ٢٣٤
 محمد فريد ، المرحوم : ٢٣٤
 المختار بن أبي عبيد الثقفي : ١٤٠
 مدين : ٨٦
 مرامر بن مرة : ١٩٥
 مرتضى ، السيد محمد : ١١٦
 مريم العذراء : ٦٥
 المسيح ، عليه السلام : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ،
 ٦٥ ، ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧
 مصطفى كامل ، المرحوم : ٢٣٤
 مصطفى كمال باشا ، المرحوم : ١٨٠
 معاوية بن أبي سفيان : ١٩٧
 المعتصم : ٧٤
 المعري ، أبو العلاء : ٧٤

كلثوم بن عمرو العتابي : ٦٧
 الكميت : ١٥٢
 الكندي ، أبو إسحق : ١٢٨
 الكندي ، يعقوب بن إسحق : ٧٣ ،
 ١٠٣ ، ٨٢ ، ٧٥
 كنزى : ١٨٨
 كنعان : ١٩
 (ل)
 لبيد بن ربيعة : ١٢٩
 لفنجستون : ١٨٠
 لنزنج : ١٦٦
 لود : ٦
 لودواف : ٧
 (م)
 مارو : ٨٤
 ماكيل : ١٨٢
 المأمون : ٧٤ ، ٨٤ ، ١٠٤ ، ١٩٨
 المبرد ، أبو العباس : ٢٨
 متاثياس : ٣٢ ، ٣١
 المتنبى : ٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٠

نولدكه ، العالم الألماني : ٦ ، ٥٦ ، ٦١ ،

١٣٨ ، ١٣٥ ، ٦٣

(ه)

هدورام : ٥

هرم بن سنان : ٩١

هسيود : ٤٢

الهمذاني : ١٣٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩

هُوتِنَجَر : ٧ ، ١٦٥

هوجو ، فيكتور : ١٨٢

هوشع : ٢٢

هولاكو : ٧٤

هُومِل : ٩

هومير : ٤٢

(و)

الواثق : ٧٤

وَارْتُون : ١٨٢

الوليد ، الخليفة : ١٣٩

(ي)

يارح : ٥

(م — ١٧)

معن بن أوس : ١٧١

المقتدر : ١٩٨

مَلَاخِي : ٢٥

المنصور : ١٠٤

مَوَّاب : ٨٦

موسى ، الرسول : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٢٧ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٨٩

موسى بن خالد : ٦٨

موسى بن كيثا : ٦٥ ، ٦٨

ميخا : ٢٥

(ن)

النافغة الجعدى : ١٢٩

النافغة الذبياني : ١٧٨

ناحوم : ٢٥

نَحْمِيَّا : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩

نسطور ، بطريك القسطنطينية : ٨٣

نَسِيل : ٦٤

نصر بن عاصم : ٢٠١

نوبخت : ٧١

نوح ، الرسول : ٥ ، ١٩ ، ٢٣

يعقوب ، الرسول : ٢٣
 يقطان : ٥
 يهودا : ٣٢
 يهودا بن قريش : ٧
 يوثيل : ٢٥
 يوباب : ٥
 يوسف ، الرسول : ٢٣
 يوناثان : ٣٨
 يونس ، الرسول : ٢٥

اليازجي : ١٥٧ ، ١٤٣ ، ١٤٢
 يافت : ٥
 ياقوت الحموي : ٨٤ ، ٨٢
 يزيد بن أبي سفيان : ١٩٧
 يسوع : ٤٩
 يشوع : ٢٥
 يعقوب ، أسقف سروج : ٦٥
 يعقوب ، الإيدسي أو الرهاوي : ٥٢
 ٢٠٠ ، ٦٨ ، ٦٥

محمد فريد ، الرحمن : ٥٦
 المختار بن أبي عبد الله : ١٤٠
 مدين : ٨٦
 مرمر بن مرة : ١٩٩
 مرقس ، السيد محمد : ٨٧١
 مريم المذلة : ٦٥
 ٥٦ : ٥٦

٢٦ : ٢٦
 ٥٧ : ٥٧
 ٦ : ٦
 ٦٣ : ٦٣
 (٥)

السبح ، عليه السلام : ٢٦ ، ٢٦ ، ٢٦
 ٢٦ : ٢٦
 ٢٦ : ٢٦
 ٢٦ : ٢٦
 ٢٦ : ٢٦
 ٢٦ : ٢٦
 ٢٦ : ٢٦
 ٢٦ : ٢٦

٥٧ : ٥٧
 ٢٨١ : ٢٨١
 ٢٦ : ٢٦
 (٥)
 ٥ : ٥
 (٥ - ٧٦)

كتب للمؤلف

٥٠	(١) روح التربية والتعليم
٥٠	(٢) الاتجاهات الحديثة في التربية
٥٠	(٣) التربية والحياة ، أو كيف نصلح التعليم ؟
٣٠	(٤) التربية الإنجليزية
٥٠	(٥) جان جاك روسو وآراؤه في التربية والتعليم
١٥	(٦) جان جاك روسو المصلح الاجتماعي
١٥	(٧) الشخصية
٤٠	(٨) في علم النفس (ج١) بالاشتراك مع الأستاذين : عبد القادر ومظهر
٥٠	(٩) في علم النفس (ج٢) » مع الأستاذ حامد عبد القادر
٦٠	(١٠) في علم النفس (ج٣) » » » » »
١٥	(١١) أروع القصص لشارلز دكنز
١٥	(١٢) قصص في البطولة والوطنية
٣٥	(١٣) الآداب السامية ، مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وآدابها
	(١٤) المفصل ، في اللغة السريانية وآدابها . (طبعة الوزارة) .
	(١٥) الأساس ، في اللغة العبرية وآدابها بالاشتراك مع المرحوم الدكتور على العناني ، والأستاذ ليون محرز . (طبعة الوزارة)
٧	(١٦) أحسن القصص ، في سبيل الوطن . بالاشتراك مع
٦	(١٧) » » ، خليفة في الخيال . الأستاذين عبد اللطيف
٦	(١٨) » » ، الحصان المسحور . وحسن جوهر

مفاتيح

ظهر حديثا للمؤلف

- (١) جان جاك روسو وآراؤه في التربية والتعليم ٠٥
- (٢) جان جاك روسو المصلح الاجتماعي ٠٥

ظهر اليوم

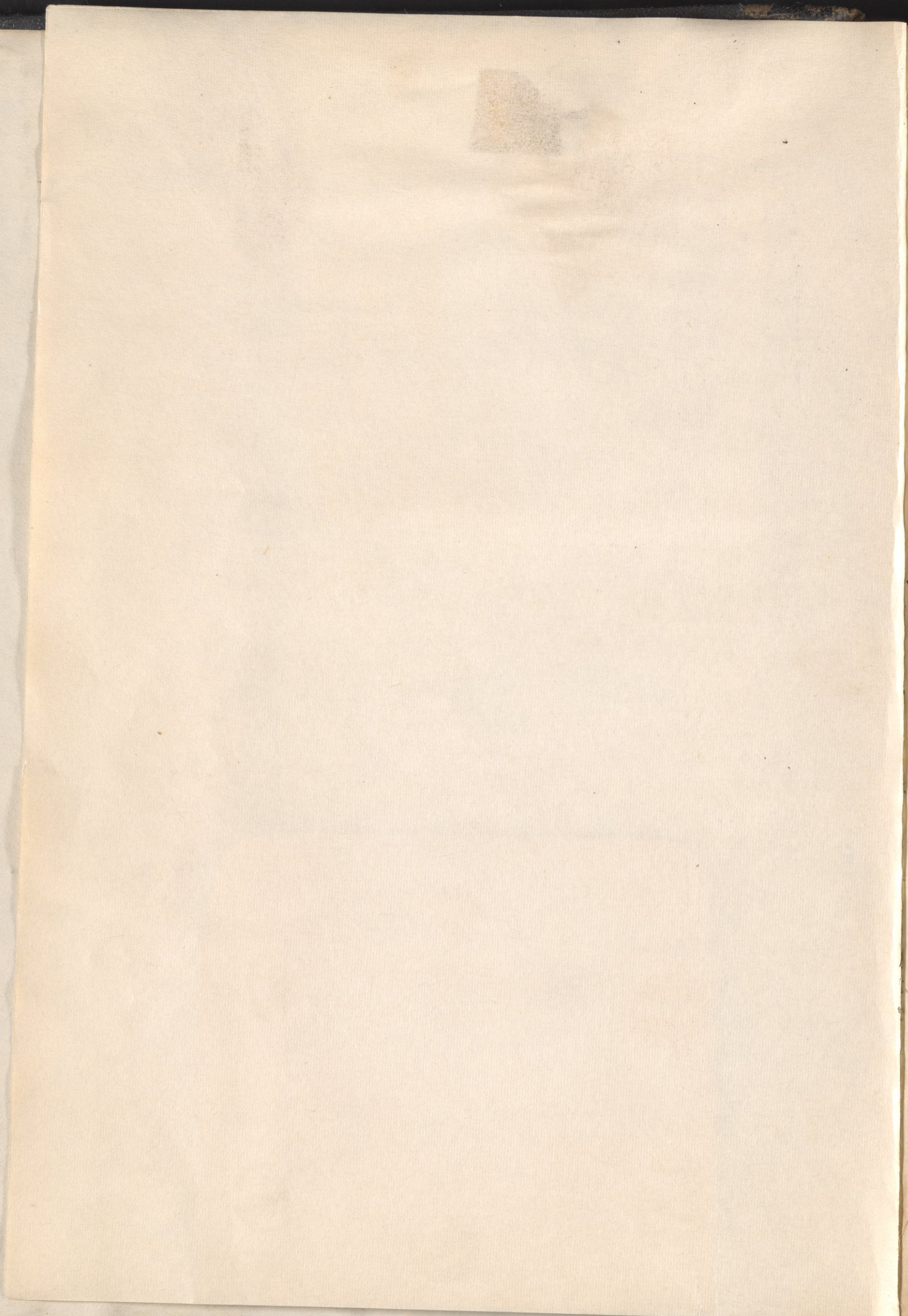
- كتاب الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وثروتها وأسرار جمالها ، وكيف ننهض بها . ٠٥

يظهر قريباً

- (١) كيف نعالج الجهل والفقر والمرض ؟ ٠١
- (٢) الطرق الحديثة في تدريس اللغة العربية . ٠٦

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

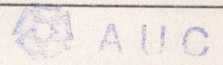
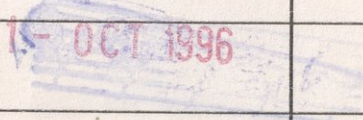
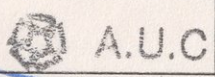
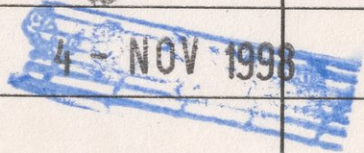
- (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)



AUC - LIBRARY



DATE DUE

PJ
6074
I 2
1946



1 0 0 0 0 0 4 9 1 8 9

B 12090001
I 13378491



052075

JUN 30 1975

SE 30 75

JUN 30 1975

SE

